أ. ج. غريماس

سيميائيات السرد

ترجمة وتقديم

عبد المجيد نوسي

المركز الثقافي العربي

لتحميل زاد المعرفة وتتاج
عظماء وقادة الفكر
وميراث الأدب العالمي والعربي
انقر على الرابط التالي
HTTP://ARABICBOOKS.ORG/

أ. ج. غريماس

سيميائيات السرد

ترجمة وتقديم: د. عبد المجيد نوسي

المركز الثقافي العربي

الكتاب

سيميائيات السرد

تأليف

أ. ج. غريماس

ترجمة وتقديم

د. عبد المجيد نوسي

الطبعة

الأولى، 2018

عدد الصفحات: 272

القياس: 14 × 21

الترقيم الدولي:

ISBN: 978-9953-68-863-3

جميع الحقوق محفوظة

© المركز الثقافي العربي

الناشر

المركز الثقافي العربي

الدار البيضاء ـ المغرب

ص.ب: 4006 (سيدنا)

42 الشارع الملكي (الأحباس)

هاتف: 0522 303339 ـ 0522 307651

فاكس: 212 522 305726+

Email: markaz.casablanca@gmail.com

بيروت ـ لبنان

ص.ب: 5158 ـ 113 الحمراء

شارع جاندارك ـ بناية المقدسي

هاتف: 01 750507 ـ 01 352826

فاكس: 961 1 343701+

Email: cca_casa_bey@yahoo.com

تقديم

لا شكّ أن سيميائيات غريماس قد انتشرت في حقل الدراسات السيميائية والنقدية بفضل كثير من الدراسات[1] التي عملت على بسط المفاهيم وتقديمها والتعريف بها في سياق إنجاز دراسات تطبيقية وتحليلية. ورغم هذا الانتشار، فإن النظرية لم يقيد لها أن تقدَّم من خلال ترجمة الأعمال التمثيلية الرئيسة التي تقدِّم الأصول والأُسُس النظرية والتحليلات التطبيقية.

نهدف في هذا العمل إلى تقديم سيميائيات السرد من خلال ترجمة النصوص التي تتسم بالتمثيلية، حيث تقدِّم تصوراً شمولياً للنظرية، يقف عند:

---

(1) انتشرت مفاهيم السيميائيات السردية اعتماداً على كثير من الدراسات التي أولت اهتماماً للجانب النظري (بسط المفاهيم) والتطبيقي من خلال تحليلات تستثمر هذه المفاهيم. انظر على سبيل المثال:

- بنكراد، سعيد، **السميائيات، مفاهيمها وتطبيقاتها**، منشورات الزمن، 2003.
- مفتاح، محمد، **دينامية النص**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء - بيروت، 1987.
- نوسي، عبد المجيد، **التحليل السيميائي للخطاب الروائي**، المدارس، 2002.

- الأصول المعرفية التي غذّت هذه النظرية، وبخاصة أن هذه الأصول تتميز بالتعدّد والغنى، ذلك أنها تنهل من اللّسانيات والمنطق والأنثروبولوجيا وغيرها من الحقول.

- كما يقف عند الأُسُس النظرية التي يمثلها الجهاز المفاهيمي الذي صاغته السيميائيات من خلال نماذجها.

- كما قدّمنا إلى جانب هذه النصوص النظرية دراسات تحليلية تبرز مدى إجرائية هذه المفاهيم في علاقتها بالخطابات التي تناولتها.

وقد راعينا في اختيار هذه النصوص معايير التمثيلية وديناميةالنظرية، حيث انصبَّ الاهتمام على ترجمة الأعمال التي شكلت نصوصاً مرجعية بالنسبة إلى المفاهيم المركزية التي سيُبنى عليها جسد النظرية، وبخاصة النحو السردي الذي ينظِّم كل المستويات التي تتمفصل إليها النظرية.

كما أن اختيار النصوص المترجمة لا يرمي إلى تقديم نصوص ترسم تطور النظرية بصيغة أفقية وحسب، ولكن الاختيار ارتكز على تقديمها في بُعدها الدينامي، أي في تطورها من الاقتراحات الرئيسة الأولى التي صاغها أ. ج. غريماس في **علم الدلالة البنيوي** (البنيات الأولية للدلالة)[1]، إلى الاقتراحات التي غطّت مستويات المسار التوليدي في جانب التركيب السردي والتركيب الخطابي، وبخاصة كتاب: **في المعنى II**[2].

كما تُعد هذه الرؤية أيضاً الموجِّه الرئيس لاختيار الدراسات

---

(1) Greimas (A. J.), *Sémantique structurale*, Larousse, Paris, 1966.

(2) Greimas (A. J.), *Du sens II. Essais sémiotiques*, Seuil, Paris, 1983.

التحليلية، فقد تعددت ما بين الدراسات التي تناولت الحكاية الشعبية إلى النصّ السردي المتمثل في القصة القصيرة إلى مظهر خطابي من مظاهر الخطابات الاستهوائية.

قام الفصل الأول على ترجمة نصين يتخذان شكل حوار مع ألجيرداس جوليان غريماس، ينصبُّ الأول على البنيات الأولية للدلالة، أما الثاني فيكون فيه غريماس موضع سؤال، حيث يبادر جيل من السيميائيين إلى مُساءلته حول الأصول المعرفية وتجليات هذه الأصول على مستوى النموذج النظري وصيغة إدماجها في الجسد العام للنظرية. وتُعد هذه النقطة المتعلقة بالأصول المعرفية للسيميائيات السردية أساسية بالنسبة إلى هذه المدرسة لأن قراءة إبدالات علمية متعددة هي التي أفضت إلى بناء النموذج النظري في تمفصلاته العامة، ويرجع ذلك إلى تجاوز صعوبة مزدوجة[1]:

1- قدرة السيميائيات السردية على التركيب بين إبدالات علمية مختلفة وعلى خلق التجانس بينها.

2- القدرة على إيجاد مركز منظم داخل هذا الحقل من المفاهيم التي تتعدّد وتتشعّب على طول مراحل تشكل النظرية.

يرتكز النص الأول على البنيات الأولية للدلالة[2] بصفتها المكوِّن الرئيس في البناء النظري العام الذي هو المسار التوليدي، حيث تمثّل بعناصرها البنيوية وبعلاقتها الاختلافية مصدر تبلور شروط

---

(1) Zilberberg (Claude), *Raison et poétique du sens*, PUF, Paris, 1988, p. 65.

(2) Greimas (A. J.), « Entretien avec A. J. Greimas sur les structures élémentaires de la signification (Frédéric Nef) », in *Structures élémentaires de la signification*, Éditions Complexe, Bruxelles, 1976.

الدلالة. إن البنية الأولية للدلالة بعناصرها الممثلة في «المواقع» أو «العقد» تمثل مفهوماً إجرائياً يفترض وجود شبكة علائقية محايثة لكل موضوع سيميوطيقي، كما يسمح بإدراك الموضوعات السيميوطيقية.

وإذا كان هذا المفهوم يحتلُّ موقعاً مهماً على مستوى المسار التوليدي، فإن صياغته نظرياً ترجع إلى إبدال علمي متعدّد، لذلك فإن السؤال حول علاقة السيميائيات السردية بالمرجعية اللِّسانية وبخاصة الفونولوجيا وبعض الأعمال المنطقية مثل أعمال بلانشي، يمكّن من تفسير مقاربة غريماس لهذه النماذج التي كانت تميّز الحقل الإبستيمولوجي:

لقد كتب غريماس دراسة بشكلٍ مبكر قبل أن يصدر كتابه: **علم الدلالة البنيوي**، تمثل قراءة لعمل دوسوسير بعنوان: «راهنية السوسيرية»[1]. يعتبرُ في هذه الدراسة أن أصالة وجدّة إسهام دوسوسير تكمن في رؤية خاصة به، وهي أن العالم يمكن أن يدرك بصفته شبكة واسعة من العلاقات، معمارية من الأشكال المحملة بالمعنى، وقدرته على تحويل هذه الرؤية إلى نظرية للمعرفة والميتودولوجيا اللِّسانية.

سيسعفُ مفهوم الشبكة العلائقية في تصور البنية الأولية للدلالة التي تنهض على مجموعة علاقات، وتكون وظيفتها هي إبراز شكل تبلور دلالة ما.

- الاتجاه الاثناني في الفونولوجيا،
- الاتجاه الاثناني لكلود ليفي ستروس،

---

(1) Greimas (A. J.), «L'actualité du saussurisme» (1956), in *La mode en 1830*, PUF, Paris; 2000, p. 371.

- المسدس عند بلانشي،

- التوليف النسقي المورفولوجي عند براندال، حيث يعتبر أن مقاربته كانت مقاربة «مُمارس» يهدف إلى إدماج هذه العناصر داخل «بناء موحد»، هو النموذج النظري للسيميوطيقا السردية.

لقد مكّن الاتجاه الاثناني للبنيوية من تشييد ركن أساسي في السيميائيات السردية هو البنية الأولية للدلالة، وتعود المفاهيم الإجرائية التي أسهمت في تشييد هذا المكون إلى رومان ياكبسون من خلال نمطين من العلاقات:

- علاقة الخصائص القطبية للمقولة نفسها، كما هو الأمر في الخصائص الصواتية.

- علاقة الغياب/الحضور لخاصية من الخصائص الصواتية.

لقد حضرت الاثنانية في البناء العمودي للبنية الأولية، في حين أن العلائق الأخرى، وبخاصة التقابل الحرماني (الحضور/الغياب)، قد شكلت علاقة نفي على محور التناقض.

لقد مثّل استثمار هذه المقولات نوعاً من الانتقال من المفهوم اللّساني إلى النمذجة العامة على مستوى السيميائيات.

تمثل البنية الأولية للدلالة مفهوماً إجرائياً يُبرِزُ انبثاق المعنى، غير أنها تسمح أيضاً بإنجاز نوع من النمذجة للمحكيات: إن الانطلاق من بُنية تعاقدية معيّنة على مستوى المربع السيميائي، يسمح باستنباط وضعيات سردية: فهي تفضي إلى تسريدات؛ ذلك أن صيغاً تعاقدية معيّنة مثل صيغ القبول أو المنع تترجم على مستوى النحو التركيبي السطحي إلى عوامل تنجز فعلاً، مثل أن تسمح بالقيام بفعل أو تمنعه.

إن الإسهام الميتودولوجي للمربع السيميائي يسعف في استيضاح عملية تسريد العلاقات المنطقية الموجّهة على مستوى المربع السيميائي.

النصّ الثاني[1] هو نص الحوار الذي أجاب فيه عن أسئلة وملاحظات الباحثين الذين شاركوا في عمل **رهانات سيميوطيقية**، وهو عمل اتّخذ أعمال أ. ج. غريماس في كليتها[2] نقطة انطلاق له. لذلك انصبَّت الأسئلة والملاحظات حول الأصول المعرفية التي مكّنت من تشييد النموذج النظري الذي يميّز هذه السيميوطيقا وامتدادات هذه الأصول داخل النظرية. وقد ارتكزت الاستفسارات، في جانب أول، على **نقطة التجذير** التي سمحت بانطلاق التفكير السيميوطيقي. إنها تهمّ، إذاً، التأثيرات النظرية والإبستيمولوجية التي تعرّض لها الباحث.

في معرض ردّه، يشير إلى أن كثيراً من الدراسات تبحث له عن علاقة نسب ببعض الحقول الفلسفية: الماركسية، الهيغلية... انطلاقاً من مفاهيم علاقات الاختلاف أو التضاد التي تسم النموذج

---

(1) Greimas (A. J.), « Postulats, méthodes et enjeux. Algirdas Julien Greimas mis à la question », in *Sémiotique en jeu. A partir et autour de l'œuvre d'A. J. Greimas*, Hadès-Benjamins, Paris-Amsterdam, 1987.

(2) يعدُّ الكتاب في الأصل ثمرة لأشغال العشرية التي نظمت بالمركز الثقافي الدولي لسوروزي لاسال سنة 1983. توزّع الكتاب إلى ثلاثة أقسام، القسم الأول: مواضيع السيميوطيقا: 1- أسئلة إبستيمولوجية 2- مشاكل ورهانات الوصف. القسم الثاني: سيميوطيقا الذات: 1- التلفظ والهوية 2- الاجتماعوية والتفاعل. القسم الثالث: مواجهات.

التكويني، غير أن جوهر السؤال - بحسب غريماس - هو مُساءلة غريماس اللِّساني.

- ويتحقق هذا المظهر، أولاً، بخاصة من خلال تكوينه الفيلولوجي: هذا العنصر هو الذي جعله يقدّر النص والمرجع. كما جعله، منهجياً، يعتبر أن الخطوة السابقة على التحليل السيميائي هي التحضير الفيلولوجي للنصّ. ورغم أن المحلل يبتعدُ أثناء الوصف عن النصّ، فإن النصّ يظلُّ العلاقة الوحيدة التي تربطه بالواقع.

- أما العنصر الثاني في التكوين فهو عمله في أطروحة الدكتوراه؛ رغم أنه يصفه بعمل أُنجِزَ خلال المرحلة الرومانسية من مسار البحث، فإنه يندرج في سياق تكوين اللِّسانيين، ويتعلق الأمر بعمله في علم المعجم من خلال البحث الذي انصبَّ على معجم الموضة[1].

إن أهم نتيجة استشعرها غريماس من خلال هذا العمل هي أن علم المعجم لا يُفضي إلى التحليل ولا يسمح بالبَنَيَنة. على العكس من ذلك، تبيّن له من خلال تجربة البحث هذه أن ما يحدث «تحت» الدلائل يعدُّ أهم، وأن التحليل يقتضي تجاوز ظاهر الدلائل للنظر إلى ما يحدث «تحت» الدلائل.

أما بالنسبة إلى الفكر اللِّساني، فقد اعتبرَ أن أهم نقطة تجذير كانت هي اكتشاف فردناند دوسوسير وورومان ياكبسون، وبعد ذلك لويس يامسليف. لقد كانت قراءة أعمال هؤلاء اللِّسانيين حاسمة بالنسبة إلى غريماس؛ وقد تجلّت في بناء المستويات الأساسية في النموذج الذي تنهض عليه النظرية. مفهوم القيمة عند دوسوسير

(1) Greimas (A. J.), *La mode en 1830*, op. cit.

سيكون من العناصر الأساسية التي اعتمد عليها لصياغة البنيات الأولية للدلالة. والشيء نفسه بالنسبة إلى ياكبسون ويامسليف. فمفاهيم الكلية القطبية ومستويات اللغة: العبارة/المحتوى ومفاهيم النسق/الصيرورة، تُعد كلها أساسية في صياغة مكونات المسار التوليدي مثل البنية الأولية للدلالة ومستويات المحايثة والتمظهر والعلاقات الاستبدالية والمركبية. إن إدراج فكر هؤلاء اللِّسانيين - بحسب غريماس - في الإبستيمية الفرنسية هو الذي يعدُّ مهماً بالنسبة إلى تأثير فكرهم واقتراحاتهم النظرية في مجال السيميوطيقا.

على أن الأسئلة والاستفسارات لم تتوقف فقط عند الأصول التي غذّت النظرية، ولكنها تنصبُّ أيضاً على العمل المَخبَري في الإنجاز السيميائي، وبخاصة مسألة النظرية والتطبيق والتوازن بينهما.

إن الاختيار المعرفي الذي قاد المقاربة العلمية هو الإجراء الافتراضي-الاستنباطي، مع اعتبار أن «الافتراضي» هو المظهر الجوهري، فالأهم هو صياغة الفرضيات وتقويم تماسكها، ولا يتحقق ذلك إلا من خلال الممارسة الخطابية.

يعود غريماس في هذا النصّ إلى التعقيب على سؤال حول دور فلاديمير بروب وليفي ستروس. لقد مثّل بروب من منظور قراءة غريماس للإرث الروسي مصدر تفكير حول السردية. غير أن أهم عنصر في هذا العمل، على الرغم من أن منظومته كانت رديئة بحسب غريماس، هو تضمنه لمستويين: العميق والسطحي، لذلك فالتأليف بينهما يمثل غاية نظرية على قدر كبير من الأهمية: إنه «البريكولاج» بالمفهوم النبيل.

بالنسبة إلى دور الرياضيات في النظرية السيميوطيقية، رغم

استثمار المفاهيم الرياضية في بناء المفاهيم المرتبطة بالنظرية، فإن غريماس يعتبر أن الطموحات السيميوطيقية في هذا المجال متواضعة، وأن المكانة الخاصة كانت للمنطق. فهو المكون الذي يسمح بالصورنة؛ إن مهمة السيميائيات هي الوصف المفهومي والمقولي أولاً للمفاهيم قبل أن يتم الانتقال إلى مرحلة الصورنة، لذلك فإنه يعتبر أن مجيء بتيتو[1] كان حاسماً بالنسبة إلى الصياغة الرياضية، فقد اقترح إمكانية تأسيس «فعل» سيميوطيقي بصيغة مفهومية خالصة.

بالنسبة إلى حضور الفلسفة الماركسية في النظرية، يعتبر أن ذلك يتعلق أولاً بـ«نسق مرجعي»، يحدّد من خلاله الباحث وضعيته، ذلك أنه لا يمكن القفز على المرحلة التي تلت حرب التحرير، فهي إطار إبستيمي لا يمكن تاريخياً تجاوزه، لذلك فإن «الأفكار» الماركسية التي يمكن أن «تتلاقى» داخل السيميوطيقا تفسَّر، أساساً، في إطار الديالكتيك الإبستيمي. ولا شكّ أن غريماس تحدث عن الممارسة «الجدلية»، وغيرها من المفاهيم: «النفي»، «التناقض».

غير أن غريماس في هذا النص يتتبع أيضاً مسارب المشروع العلمي وتطوره؛ يبرز كيف أن لسانيات يامسليف وبخاصة مفاهيم مثل السيميوزيس قد أثرت هذا البناء النظري. إن البحث عن المعنى داخل الخطاب يفترض أن ننظر إلى الخطاب بصفته كلّاً دالاً، وهنا يستحضر مفهوم السيميوزيس حيث إن الدليل لا يعدُّ كلمة فقط،

---

(1) جون بتيتو الذي قام بصياغة رياضية لأهم المفاهيم التي اقترحتها السيميائيات السردية.

Petitot (Jean), *Morphogenèse du sens*, PUF, Paris, 1985.

ولكنه يمكن أن يكون مقطعاً أو خطاباً كاملاً. إن هذا التصور هو الذي جعله يعتبر أن الدليل بالمفهوم السوسيري، دال/ مدلول، شكّل عائقاً أمام التطور السيميوطيقي.

استثمار هذه المفاهيم عند يامسليف جعله، في سياق تطور النظرية، يتخلّى عن علم المعجم للاشتغال بعلم الدلالة ويصبح هدف المقاربة المنهجية في السيميوطيقا هو الانطلاق من وحدة دلالة، وتحويل هذه الوحدة التي تُعد كلّاً مفترضاً إلى موضوع متمفصل. من منظور التصور المعجمي، إذا تمَّ الانطلاق من «حقل» مفهومي أو دلالي، فإنه لا يمكن أن يكون قابلاً للتمفصل. لذلك، فإن الاستناد إلى السيميوزيس الذي يجمع بين مكونات الوحدة هو الذي يسهم في حلِّ إشكالِ مسألة انغلاق المتن.

مكّن النصان من إضاءة عنصر هام بالنسبة إلى هذه السيميائيات، هو عنصر الأصول المعرفية، لأن إضاءتها تسهم في إبراز منهجية السيميائيات في البناء المفهومي: فهي تستند إلى إجرائيات الافتراض والاستنباط. استنباط المفاهيم النظرية في ضوء قراءة النماذج في عدد من الحقول المفهومية مثل قراءة فلاديمير بروب أو فيكو براندال أو فردناند دوسوسير.

– كما أنها تبرز البُعد الإبستيمولوجي الذي تنهض عليه؛ ذلك أن قراءة وتبني عدد من المفاهيم تكون مواكبة أيضاً بنقد المفاهيم، ويمثل هذا المظهر نقد مفهوم الدليل عند دوسوسير. إن الدليل يمثل بحسب غريماس الظاهر اللُّغوي، لكنه لا ينظر إلى الكون المصغر بصفته وحدة تخترقها خاصة شبكة من العلاقات.

كما أن الكشف المستمر لأصول هذه النظرية يسعف في تحقيق

إدراك شامل لمفاهيم النظرية نفسها ولآليات اشتغال هذه المفاهيم في علاقتها بالخطابات والنصوص موضوع التحليل.

في **الفصل النظري**، قمنا بترجمة دراسات لها تمثيلية على مستوى الدراسات التي شيّدت الصرح النظري للسيميائيات السردية.

النصّ الأول هو: **مبادئ النحو السردي**، يجد موقعاً له داخل كتاب: **في المعنى** الذي صدر بعد علم **الدلالة البنيوي**، وإذا كان غريماس قد صاغ مفهوم البنية الأولية للدلالة بصفته إجراء يُبرِز انبثاق الدلالة من خلال المواقع التي يتشكل منها، فإنه في هذه الدراسة سيصوغ اللُّغة المفاهيمية التي يقوم عليها النحو السردي. إن هدف السيميائيات هو:

- تعميم التحليل السردي.
- صورنة النماذج الجزئية التي تمّت صياغتها.
- إدماج البنيات السردية داخل نظرية سيميوطيقية معمّمة.

يميّز أ. ج. غريماس بين مستويين للتمثيل:

- مستوى ظاهر: يخضع فيه السرد للغة التي يتمظهر عبرها.
- مستوى محايث: يشكل نوعاً من الجذع البنيوي الذي تنتظم داخله السردية سلفاً قبل تمظهرها.

فالبنيات السردية لها ما يوازيها على مستوى التمظهر، هو البنيات اللِّسانية للمحكي، لذلك فإن التحليل السردي يقترن بتحليل الخطاب.

إن الترهينات الأولية لتشييد الدلالة تقتضي الانطلاق من كتل المعنى والنزول عبر مستويات للوصول إلى المعنى متمفصلاً، أي باعتباره دلالة.

لذلك فإن اتجاه التنظير سيجعل بناء نظرية للسرد لا يتم فقط ببلوغ مستوى من الإتقان والصورنة للنماذج السردية، ولكن بوضع البنيات السردية بصفتها ترهيناً مستقلاً داخل المعمار العام للنظرية، وهو الموقع الذي يشغله التركيب السردي داخل المسار التوليدي عامة.

إن النظرية السيميائية من منظور اهتمامها بالمعنى متمفصلاً (بصفته دلالة) لن تكون وظيفية من دون تصورها لعلم دلالة ونحو عميقين.

يبنى المكون الأول على أساس البنية الأولية للدلالة، التي يمكن أن تُبرِز شروط فهم المعنى، وهي كمسلَّمة تقدَّم بصفتها «نمواً منطقياً» لمقولة إثنانية من المقومات:

أبيض/ أسود

تحكم عناصرها علائق التضاد والتناقض. إن البنية الأولية التي تقدَّم بصفتها مسلَّمة، تُعد نموذجاً لوصف تمفصلات المعنى في أي فضاء دلالي مصغّر (كيفما كانت طبيعته واللغة التي يتمظهر من خلالها).

إنها البنية الأولية للدلالة في تصور السيميائيات السردية، تستعمل مثل شكل لإبراز تمفصل المادة الدلالية لفضاء مصغّر. إنها تمثل من هذا المنظور شكلاً قابلاً أن نأخذه بعين الاعتبار خارج كل استثمار دلالي.

اعتماداً على هذه «الكليات»، يمكن للسيميائيات أن تشيّد نموذجاً للنحو العميق. ستشيّد السيميائيات السردية النحو العميق انطلاقاً من المستويات الرئيسة المفصلية لكل نحو:

– مورفولوجيا: تقدَّم على شكل صِنافة (Taxinomie)(*) وتعد عناصرها محددة يمثلها المربع السيميائي بصفته شكلاً قبل أي استثمار دلالي.

– تركيب: يتعلق الأمر بالقواعد الإجرائية التي تسعف في مناولة عناصر المورفولوجيا.

تقوم النواة التصنيفية، إذاً، على عناصر وعلاقات محددة سلفاً، لذلك فإن إجرائيتها تتحقق بإجراء التسريد: إذا كانت النواة تُعد تمفصلاً للعلاقات العميقة؛ فإنها تُعد أيضاً قابلة للتمثيل الدينامي حينما تظهر بصفتها قادرة على إنتاج المعنى.

هذا التمثيل الدينامي يتحقق من خلال إقامة علاقة التوازي بين العلاقات العميقة المكوّنة للنموذج التصنيفي، وبين العمليات (التناقض) التي تجرى على عناصر المورفولوجيا الأولية، وهي العمليات التي يجسدها عامة التركيب. إن العمليات تتم على عناصر مصورنة كما يمكن أن تجرى على عناصر مستثمرة قيمياً، وفي هذه الحالة الأخيرة إن نتائج التحويلات تفضي إلى تغيير المحتويات بنفي محتويات محدّدة وتأكيد أخرى جديدة.

إن الجهد النظري يرمي إلى الاقتراب من النحو كما يتحقق في اللُّغات الطبيعية، لذلك فإن النحو العميق يتميز بطابع مفهومي، تغلب عليه المقولات التي تمّت صياغتها. لينتج هذا النحو محكيات تتوفر على مقومات المحكي السردي (توفرها على فواعل بشرية أو مشخصنة تنجز أفعالاً)، فإنه في حاجة إلى تمثيل مؤنسن، هو الذي

(*) تُقدم المورفولوجيا على شكل صِنافة تتكون من العناصر س1/ س2، وهي محددة بشكل قبلي.

تصطلح عليه النظرية بالتركيب السردي السطحي: يتميز هذا النحو بالصفة المؤنسنة، وهي تخالف الصيغة المنطقية التي تخصِّص مقولات النحو العميق.

تبعاً لهذا التصور، فإن المفهوم القاعدي للنحو العميق هو العملية التركيبية، أما المفهوم الذي يوافقه على مستوى التركيب السردي السطحي هو الفعل التركيبي. إن علاقة التساوي بين العملية التركيبية والفعل تفضي إلى إدماج البُعد المؤنسن داخل النحو انطلاقاً من أن الفعل يستلزم حضور الفاعل الذي يمكن أن يكون فاعلاً إنسانياً أو مؤنسناً، كما أن الفعل يتضمن إرسالية بين المرسِل والمرسَل إليه. إن الفعل داخل المنظومة السيميائية لا يتمثل في الفعل الواقعي، ولكن يتعلق الأمر بـ«الفعل اللغوي» كيفما كان شكل اللغة التي يتمظهر داخلها، طبيعية أم غير طبيعية.

إن عمليات النحو العميق تحوَّل إلى ملفوظات سردية تتخذ صورة معيارية بسيطة هي جماع فعل وعامل. وتُعد الملفوظات السردية ملفوظات تركيبية، بحيث تكون مستقلة عن المحتوى الذي يستثمر في فعلٍ معيّن.

وقد اقترحت السيميائيات السردية نمذجة للملفوظات السردية بهدف استقصاء كل أنواع الملفوظات. وتُبنى هذه الملفوظات بإدماج قيود دلالية مثل «الإرادة» أو «المعرفة» أو «القدرة»، حيث تمكّن القيود من بناء الملفوظات الجهية التي يمكن أن تُصَورن صَورنة معيارية. إن إدراج المقوم السياقي: «أراد» في صياغة ملفوظ، يمكن أن يؤول الملفوظ الجهي بصفته «رغبة في التحقيق» لبرنامج يكون موضوعاً. لذلك، يمكن تخصيص هذه الملفوظات بصياغة صورية:

م.ج: ف: أراد/عا، مو/.

من بين وحدات النحو السطحي، ستقترح السيميائيات السردية تشييد وحدة الإنجاز. إنها تشيَّد بتعالق مع وحدات النحو العميق. ويعدُّ محور التناقض فضاء لعمليتين: نفي العناصر وإثبات العناصر المناقضة. وهذه المتوالية توافق تحوّل قيم المحتوى نتيجة لعمليات النفي والإثبات. إن التمثيل المؤنسن لهذه التحولات يظهر على شكل متتاليات من الملفوظات السردية، تقوم على خاصية المواجهة بين ذاتين (عا1/عا2)، وتستند هذه الخاصية إلى فعلين متناقضين. تسمح هذه الخصائص بالقول إن الإنجاز يتميز بطبيعة جدلية قوامها الصراع والمواجهة.

أما على مستوى التقييد الدلالي للفعل التركيبي، فإنه يقيم علاقة تساوٍ بين عملية النفي والهيمنة بصفتها نتيجة للمواجهة الجدلية.

نلاحظ أن هذه الدراسة حول النحو السردي قد أبرزت مظاهر التعالق بين مستويي النحو العميق والسطحي، كما تبيّن كيفية تمثيل العمليات المنطقية من منظور مؤنسن. يتّخذ هذا التمثيل شكل ملفوظات سردية تتمفصل إلى علاقة بين عوامل. وقد أفضى هذا الجهد النظري إلى بناء وحدة سردية على مستوى التركيب السردي السطحي، هي وحدة الإنجاز التي تتسم بطابع جدلي تركيبي.

يتحصّل من هذا البناء النظري أن الأفعال والعوامل تُعد عناصر مكونة للنحو السردي، وأن الملفوظات تُعد الأشكال التركيبية الأولية لهذا المستوى. كما أن الوحدات السردية - يمثلها نموذج الإنجاز - تتمظهر على شكل متتاليات من الملفوظات السردية.

تسمحُ، إذاً، عناصر هذا المستوى باستيضاح المقولات الدلالية

المفهومية كما هي مبلورة على مستوى البنية الأولي للدلالة. كما تسمح أيضاً باستيضاح مكونات المستوى السردي في متنٍ حكائي معيّن، كما تتحقق من خلال الفواعل، العوامل، برامجها السردية موضوعاتها القيمية وأفعالها.

في سياق المنهجية التي رسمتها السيميائيات السردية لنفسها، وهي وصف المستويات المكوِّنة لنموذج التحليل السردي في تعالقها، تندرج الدراسة الأخرى التي قدمنا في هذا الفصل النظري لأنها تُكمِل التصور الواصف لمكونات الخطاب السردي. إذا كان مستوى النحو السردي السطحي قد أبرز العوامل في علاقتها بالتركيب السردي، فإن النظرية اهتمت أيضاً بمكون خطابي هو مكون الفواعل التي يمكن التعرُّف إليها داخل الخطاب، وبخاصة أن هذا المكون لم ينل، عامة، كبير اهتمام في النظرية التي عالجت الإشكالية السردية.

انطلق غريماس من تصور أن العلاقة بين الفاعل والعامل لا تُعد علاقة إدماج ولكنها تُعد علاقة مزدوجة؛ يمكن أن يتمظهر العامل داخل الخطاب بواسطة عدد كبير من الفواعل، كما أن الفاعل الواحد يمكن أن يكون التركيب لمجموعة من العوامل. تحضر البنية العاملية داخل الخطاب السردي من خلال وساطة الأدوار العاملية التي تتضح ملامحها اعتماداً على موقعها التركيبي (عامل ذات/ مرسل) وعلى شحنتها الجهية (نوعية القيم الجهية الحاصلة عليها: الإرادة، المعرفة...)، غير أن هذا الحضور يمكن أن يُفعّل سيرورة تُفضي إلى التمظهر الخطابي للسردية، وتتميز هذه السيرورة بتعالق بنيتين: بنية عاملية وبنية للفواعل.

وقد تصورت السيميائيات وجود نوعين من بنى الفواعل:

- التمظهر الفواعلي الموسّع: ويتميز بحضور فاعل مستقل لكل عامل أو دور عاملي.

- التوزيع الفواعلي المختزل: يتحقق حين يكون هناك فاعل يتحمل مسؤولية العوامل والأدوار العاملية.

إن استقراء المتخيَّل السردي يُبرِز أن الخطاب السردي يقوم على مجموعة من الأدوار العاملية تتمظهر بواسطة فواعل بصفتها عناصر للخطاب.

- إن الفواعل هي أدوات مفاهيمية تسهم في استيضاح مسارات ومسالك المعنى في الخطاب السردي.

- هي أيضاً بمثابة فرضيات يفضي إسقاطها على النصوص السردية إلى تنمية المعرفة ببنائها.

لذلك إن الإجرائيات الضرورية للتعرُّف إلى عناصر الخطاب، ومنها ترهين الفواعل، تُعد أمراً حاسماً على المستوى المنهجي:

من أجل تحقيق هذه الغاية، يستند غريماس إلى اللِّسانيات عند يامسليف، وبخاصة مفهوم الصورة. إذا كان العامل يتسم بطبيعة تركيبية، فإن الفاعل يمتّ بالصلة أكثر إلى الدلالة، إنه مثل وحدة معجمية اسمية، يمكن أن تندرج في التركيب اللِّساني أو السردي لتشتغل.

إن التمييز داخل ترهينات النموذج السردي بين مستوى سردي وخطابي، يجعل عامل السرد يتابع مسارين:

- تركيبي يقوم على البرنامج السردي بصفته توزيعاً للأدوار العاملية.

- مسار تشيّده التصويرية الخطابية، حيث يفضي وضع صورة إلى تسلسل تصويري قسري من الوحدات المعجمية.

يفضي هذا التسلسل القسري إلى تشييد تصويريات على مستوى الخطاب. (والتصويرية تحمل في داخلها كل الصور: الأسماء والأفعال والظروف الزمانية والمكانية).

تُعد التصويريات الخطابية «أشكال محتوى»، بخاصة في الخطاب، لذلك إن التمظهر الخطابي للسردية هو، بصيغة معيّنة، ضخٌّ للمقومات الدلالية في المواضيع السردية التي تتصل بالتركيب السردي (التي يولِّدها النحو السردي).

على مستوى عام، إن تعالق الترهين السردي والخطابي يعدُّ وظيفياً: إنه يستثمر المحتويات في الأشكال النحوية المعيارية للسرد.

إن التصويريات الخطابية التي تمتد على مستوى الخطاب، تعتبر مثل فضاء من «التيمات». إن إجراء الاختزال يسمح باختزال التصويرية الخطابية إلى مسار تصويري يفضي إلى تيمة. على المستوى اللِّساني يمكن أن يكون للتيمة معادل هو اسم الفاعل الذي يعدُّ من جهة صورة اسمية وفي الوقت ذاته: فاعلاً، له طبيعة شبه-تركيبية، وهو ما يفضي إلى الدور التيماتي.

إن الوحدة المعجمية «صياد» مثلاً، التي يقدِّمها على سبيل التمثيل، تشكل بناءً سطحياً خاضعاً للتكثيف: تحدّد الوحدة، من جهة، من يملك استطاعة لإنجاز فعل، بحيث يمكن أن تغطي على المستوى التصويري مقطعاً خطابياً موسّعاً. غير أنها، في الوقت نفسه، تحتفظ بخاصيتها الدلالية (دور سوسيوثقافي-مهني). إن هذه

الصورة الاسمية التي تحيل على فاعل يمكن أن يكون لها موقع في المستوى الخطابي والسردي.

مثال الوحدة المعجمية يُبرِز لنا شكل تكوّن بعض الصور، ومن بينها شخصيات الرواية؛ فالوحدة المعجمية، «صياد» مثلاً، تحمل في ذاتها كل احتمالات الفعل دلالياً وثقافياً، وحين تحوَّل إلى تشاكل خطابي يدلُّ على دور تيماتي يمكن أن يستعمل بواسطة المحكي، فإن شخصية الرواية التي تدرج حاملة، مثلاً، لاسم علم، تشيّد تدريجياً بالاستناد إلى التعبيرات التصويرية التي يمكن أن تشخّص المظهر الفزيولوجي أو المهني أو غيرها من مظاهر الشخصية، حيث تخترق الصور النصّ في كليته (مشكّلة مساراً تصويرياً) ولا تتشكل الصورة سوى في نهاية النصّ نتيجة فعل القراءة السيميوطيقي الذي ينهض به المحلِّل، وهو إبراز التصويريات الخطابية التي يتكون منها وباختزالها إلى الأدوار التيماتية التي يقوم الفاعل بإنجازها.

إن الفاعل الذي ينجز مجموعة أدوار تيماتية، يمثل تمفصلاً مركّبياً لأنه يمكن أن ينجز أيضاً دوراً عاملياً؛ فهو، إذاً، ترهين وسيطي يحقق التعالق بين المستوى السردي والخطابي، بل إنه ينظِّم الانتقال من البنيات السردية إلى البنيات الخطابية.

فالفاعل هو فضاء اتصال البنيات السردية والبنيات الخطابية، فضاء التقاء المكون النحوي والمكون الدلالي، بحكم قابليته لتحمّل دور تيماتي ودور عاملي، حيث يبرز الدوران حدود فعله أو حدود كينونته.

إن العناصر النظرية التي تمّت صياغتها في هذه الدراسة تسمح

بإبراز آلية «تسريد الخطاب». نلاحظ، من هذا المنظور، أن النحو السردي يولِّد مواضيع سردية «محكيات». تأخذ هذه المواضيع شكلاً بصفتها مجموعة مسارات سردية، محددة بتوزيع للأدوار العاملية التي تتحدد بدورها من خلال مواقع وقيم جهية في إطار برنامج سردي. يمكن للموضوع السردي أن يستثمر بتمظهره خطابياً من خلال محتوى. يتحقق الاستثمار الدلالي باختيار الأدوار العاملية للأدوار التيماتية التي تستثمر المستوى المعجمي للُّغة وتَبرُز مثل صور تتخلق على شكل تصويريات خطابية.

في **الفصل التطبيقي** قمنا بترجمة مجموعة من الدراسات تستجيب لخاصية التمثيلية، حيث تبرز القدرة الإجرائية لعناصر النموذج التحليلي الذي صاغته السيميائيات على استيضاح شكل المغنى، من خلال وصف مستويات تكوّن الخطاب في مظاهره التركيبية والخطابية والدلالية.

يتمثل العمل الأول في دراسة غريماس للقصة القصيرة: **الخيط** لموباسان[1]، وبخاصة دراسة مكوني الوصف والسردية.

لقد عمل غريماس على تشغيل مجموعة من المفاهيم في التحليل، وبخاصة مفهوم الوحدات الوصفية والوحدات السردية، حيث سيعتبرها (على مستوى عام) نماذج توقّعية لتنمية المعرفة بالنصّ السردي.

من أجل تحقيق هذا الهدف، سيختبر أحد الإجرائيات التي

---

(1) Maupassant (Guy de), *Contes et nouvelles*, Gallimard, Paris, 1974, p. 1080.

اقترحتها السيميائيات: التقطيع، وهو الإجراء الشكلي الذي يحلُّ محلَّ الفهم الحدسي للنصّ. يستند في إنجاز التقطيع إلى معايير تتعلق بإجرائيات التخطيب، وهي التزمين والتفضية، في علاقتها بانتقالات الفاعل داخل الفضاء بناءً على أن الإطار المكاني لا يمثل إطاراً شكلياً، ولكن يعدُّ فضاء لانتقالات وأفعال الفواعل، ما يجعل العلائق دالة سردياً. هذا التعالق يكون الطوبولوجيا السردية.

كما يوظِّف التحليل مفاهيم الجدلية في النصّ السردي، حيث يُبرِز التحليل أن البنية السردية تتقدم بصفتها مواجهة بين فاعلين رئيسيين: الفرد والمجتمع.

كما أن الجدلية تتضح أيضاً على مستوى التقطيع بحسب المعرفة، حيث يتقدم المحكي بصفته مجابهة بين معرفتين، وبين نوعين من معرفة-الفعل: الفرد الذي يحاول إقناع الرأي العام والبطل-المضاد (المجتمع) الذي يواجه الفرد بتأويله الخاص للأحداث، هذه المعرفة الاختلافية تقابلها المعرفة المطلقة للذات الساردة التي تتحدث عن الناس وعن الأشياء، كما أنها تُعد حاضرة في كل مكان و«عالمة بكل شيء».

يرتقي مكون المعرفة إلى أن يصبح معياراً في التقطيع يضاف إلى المعايير الأخرى، حيث إن الجزء الأول من المحكي يخصص لتمثيل الكينونة والأفعال الفردية والاجتماعية للفواعل، في مقابل الجزء الثاني (من المحكي) الذي يقوم بتمثيل المعرفة الاجتماعية والفردية.

تقترح السيميائيات السردية، إضافة إلى المعايير السابقة، معيار التقطيع بحسب المعيار النحوي. يقدِّم المحكي معياراً يتمثل في تقيُّد الكاتب بالقواعد الكلاسيكية للنثر في القرن التاسع عشر، وهي

القواعد التي تخصّص الوحدات النصية المختلفة: الوحدات الوصفية، المحكيات، الحوارات، بسِمات زمنية خاصة، حيث تتميز هذه الوحدات الوصفية باستعمال زمن محدّد للاستثمار الدلالي، وتقوم أزمنة الماضي البسيط بتسييج هذه الوحدات الوصفية من خلال إدراج مقطع حدثي.

- ويردف غريماس هذا التقطيع، بتحليل دلالي للمقاطع الوصفية، حيث ينطلق من تصور أن انتظام الخطاب مركّباً إلى مقاطع وصفية وحدثية، يوافقه إجمالاً تقابل المحتويات.

- فالوحدة الوصفية الأولى تصوِّر انتقال الذوات داخل الفضاء، والحال أن الانتقال يحلَّل، عامة، سردياً، مثل رغبة، مثل مظهر سردي لجهة الإرادة. إن موضوع رغبة الانتقال هو بحث عن التواصل الاقتصادي والاجتماعي داخل زمنية «يوم السوق».

أما الوحدة السردية، فتنقسم إلى ثلاث فقرات تيبوغرافية توافق تقديم ثلاثة أنماط:

- الرجال.
- النساء.
- الناس داخل العربات.

يعدُّ توزيع الوحدة متناظراً، لأنه يدمج مقولتين تصنيفيتين متمايزتين:

إن الذوات: الرجال/النساء، تمثل، بصيغة الجمع، المجتمع. غير أنهم، بصفتهم راجلين، يدخلون في تقابل مع فئة: الناس بالعربات.

تنطوي هذه المقولة التصنيفية على اعتبارات الغنى والجاه التي

تخصص بصفة عامة التراتبية الاجتماعية بناءً على نوع من السلطة: السلطة المادية. سيبرز التحليل أن هذا الترتيب المزدوج بحسب الجنس وبحسب السلطة سيصبح مثل المبدأ المولِّد للوصف.

تمكن عناصر نصّ موباسان من صياغة مفهوم آخر هو: الفاعل التصويري. إن الوحدة السردية الوصفية الثانية تحدد المجتمع بصفته:

تركيبياً: مكون للعامل الجماعي.

دلالياً: يحدد المجتمع بواسطة عنصر مركّب من مقولة:

/الحيوانية/ + البشرية/

غير أن هذه الوحدة لا تتصل فقط بالإدراك البصري للسارد (كما هو الأمر بالنسبة إلى الوحدة السردية الأولى)، ولكنها تقترن بالتنويع على مستوى أنظمة الحواس؛ حيث يمثل هذا التنويع مبدأ للتنظيم الداخلي:

ينجز الوصف بناءً على هذه الإدراكات:

- إدراكات بصرية.
- إدراكات سمعية.
- إدراكات شمّية.

تسهم هذه الأنظمة في إنتاج أثر «الكُلّيانية الحواسية»، أي الإدراك الشامل للمجتمع بواسطة الحواس، لذلك إن علة وجود هذه الوحدة، بحسب غريماس، هي تمثيل المجتمع بصفته فاعلاً تصويرياً.

لقد اهتم التحليل انطلاقاً من مبدأ الملاءمة بالمظهر الوصفي في قصة موباسان، لذلك انصبَّ على استثمار إجراء التقطيع وفق معايير. إنجاز التقطيع سيقترن بالتنظيم العميق للنصّ حينما ينظر إليه بصفته

كلّاً دالاً، حيث وافقت المقاطع النصية مجموعة من المقومات الدلالية التي تنتُج عن ملاحظة الفواعل في علاقتها بموضوع الرغبة، وفي علاقتها بالفعل الاجتماعي الذي تنجزه.

إن استكشاف المظهر الوصفي للنص يُبرِز أيضاً أن النصّ يعدُّ منظماً وفق قواعد السردية وأنها بالمعنى العام تعتبر أحد مبادئ تمفصل النصوص. رغم أن الوصف قسّم النصّ إلى لوحات، ترصد فيها عين السارد الفضاءات المتعاقبة، فإن المشهد المأساوي الذي يرمي إلى تصويره، يلزم السارد بتشخيص هذه المواجهة بين الذات الفردية والذات الجماعية.

الدراسة الأخرى التي تندرج في سياق الجانب التطبيقي تتخذ متناً لها مجموعة من الحكايات الشعبية الروسية، وينسجم هذا المنحى مع المقاربة التي نهجتها السيميائيات السردية، وترمي إلى تحليل النصوص القصيرة ونصّ الحكاية الشعبية.

يؤطر غريماس هذه التأملات حول الحكاية الشعبية مثل افتراضات ترمي، علمياً، إلى تحقيق هدفين:

1- تنمية المعرفة بالنماذج السردية.

2- إضاءة العلاقات التي يمكن أن توجد بين الفولكلور والميثولوجيا.

يتكون المتن الذي يعدُّ موضوع هذه التأملات من ثلاث وثلاثين رواية من الحكاية الشعبية اللتوانية، التي لها تيمة رئيسة: مغامرات البطل الذي لا يخاف. وهي تيمة تمثل جزءاً من الحبكات والمصورات في كل أوروبا، لذلك إن الملاحظات المتصلة بالبنية السردية يمكن أن تتسم بامتدادات أكثر عمومية.

تستجلي الدراسة هذا المتن اعتماداً على المفاهيم الإجرائية التي صاغتها السيميائيات، ومن بينها:

- البنية السردية:

يذكر غريماس في أحد مرجعيات السيميائيات، وتتمثل في عمل بروب الذي يقدِّم له قراءة تركيبية:

يعتبر أن من بين وسائل استكشاف مجال غير معروف هو الانطلاق من المعروف. يعتبر في سياق هذا التصور أن المعروف بشكلٍ جيد في الحكاية الشعبية هو ما يستنتج من عمل فلاديمير بروب:

- إن خاصية «العجيب» التي تنمّط الحكايات، لم توصف من لدن بروب، وهو ما يمثل نقصاً بالنسبة إلى السنن الدلالية.

- على الرغم من ذلك، فإن تحليل بروب قدَّم عناصر أصيلة: التحديد الشكلي للحكاية، باستقلال عن المحتوى الخاص بها.

اختارت الدراسة الوقوف عند المقولات الدلالية الرئيسة التي تمنح إطارها الشكلي للبنية السردية، وقد صاغ هذه المقولات من خلال مجموعة ثوابت:

البطل والنظام الاجتماعي: تقوم الوضعية الأولية للحكاية الشعبية على مجموعة من الثوابت:

- نظام اجتماعي، يتمظهر بواسطة التمييز بين الفئات العمرية وينهض على الاعتراف بسلطة القدماء.

- اختلال هذا النظام.

- دور البطل الذي ينفصل عن المجتمع هو إلغاء الكراهية وإعادة التوازن للنظام الاجتماعي المختلّ.

تبحثُ الدراسة في عنصرٍ ثانٍ، هو صيغة تمظهر العقد على مستوى الحكاية الشعبية، حيث ينتظم محكي إعادة التوازن للنظام الاجتماعي عبر محورين دلاليين رئيسين:

1- المرسِل: السلطة الاجتماعية، تحمّل البطل (المرسل إليه) مسؤولية تحقيق الخلاص، ما يجعله ينخرط في سياق علاقة تعاقدية.

2- يؤسِّس العقد محور البحث (البحث عن إقامة نظام جديد)، حيث يظهر المحكي بصفته نشاطاً مبرمجاً (ضمن برنامج سردي).

- الاختبار: الانتصار أو الفشل.

يشير غريماس، في سياق قراءته لفلاديمير بروب، إلى أن تحليل البنية السردية من لدن بروب أنتج مركّباً سردياً آخر: الاختبار. هذا المركّب يقيم معادلة أساسية على مستوى المحكي: تتحدد البنية على مستوى محور الرغبة، حيث تُعد الرغبة علة وجود البطل ورغبته في الانتصار.

- الاستنباط وتعميم النماذج:

يعتمد غريماس أيضاً في مقاربته على المقاربة الاستقرائية الاستنباطية، رغم أنه يحصر تأملاته في السياق اللتواني، فهو يطرح السؤال:

ما هي عناصر الكون الميثولوجي التي يمكن أن نستخلصها من الحكاية؟

يقترن السؤال بمقاربة غريماس التي ترمي إلى استنباط مفاهيم كلية لتشييد مفهوم الكون الأسطوري سالكاً في ذلك المسلك الاستنباطي. يحدّد في هذا السياق مفهوم الفضاء الأسطوري الذي يخصصه من خلال مجموعة مقولات:

- توزيع الكائنات البشرية إلى طبقات وفق مقولة: حياة/ موت، التي تشيّد نمطاً ثلاثياً: عالم الأحياء-عالم الأموات، وبينهما يتحدّد عالم ثالث: (عالم الأرواح).

- صنافة الكائنات صورية وليست ضرورية: تُعد الكائنات الخاصة قادرة على التحول من طبقة إلى أخرى: الأحياء يتحولون بواسطة السحر إلى طبقة الأموات-الأحياء.

- الحدّ الذي يميّز عالم الأحياء عن عالم الأرواح يمكن أن يرسم بمقولات زمنية: ليل/نهار، أو مكانية: أعلى/ أسفل، أو توليفات أخرى من المقولات.

أما النصّ الآخر الذي قمنا بترجمته في الجانب التطبيقي فيمثل مظهرين بالنسبة إلى السيميائيات السردية:

- المظهر الأول هو مقاربة التوسّع الذي تعتمده السيميائيات، حيث انصبَّ فيه التحليل على صورة معجمية وخطابية واحدة كما تتحدد في المعجم، ولا ينصبُّ التحليل في هذه الدراسة على متن حكائي يتمثل في القصة أو في الحكاية الشعبية، لذلك إن التحليل يستكشف الإمكانات التركيبية والدلالية لهذه الصورة، حيث يحلل العناصر التركيبية التي تدمجها هذه الصورة من فواعل وعوامل.

- كما أن هذه الدراسة التي وردت في كتاب: **في المعنى II**، تمثل توجه السيميائيات إلى تحليل نسق الأهواء، ومن ذلك التحدي الذي يجسِّد مظاهر علائق بين عناصر متعاقدة.

- ستمكن هذه الدراسة من اختبار إجرائية مفاهيم أخرى طرحتها السيميائيات على المستوى الخطابي، وبخاصة البُعد الإدراكي في الخطاب. إذا كان البُعد البراغماتي يمثل فعل الإنسان

حول الأشياء وحول الإنسان يتغيَّا إحداث تغيير، فإن الفعل الإدراكي غير ذلك، إنه يقوم على الإقناع.

لذلك، إن المفهوم الرئيس في هذه الدراسة هو الفعل التفعيلي (فعل/ الفعل) الذي يعدُّ أحد العناصر المحددة للتسخير. وتندرج في هذا السياق دراسة صورة من الصور التي تخصِّص التسخير، وهي صورة التحدي التي تقدَّم مثل «إكراه أخلاقي».

إن المحمول «حث» أو ما يشابهه من أفعال تصويرية: دفع، سير، يجسِّد على المستوى الخطابي مقولة التفعيل، وهي التي تندرج في الإطار العام للعقد من خلال مكونيه: اقتراح العقد، يفترض في الطرف الآخر من القطبية وجود الذات المتلقية التي يمكن أن تقبل أو ترفض الاقتراح.

هذا الإطار التعاقدي هو الذي يمثل فضاء لاشتغال التسخير. إن الفضاء المحدّد بين طرفي القطبية يعدُّ مجال الفعل الإقناعي والفعل التأويلي لكل من الذاتين.

يؤطِّر الفعل التأويلي، في سياق هذا الإطار التعاقدي، ضمن نمط التواصل القسري، بمعنى أن المرسَل إليه ملزم بالإجابة ولا يمكن أن يسلك موقف الحياد لأنه سيصبح خارج سيرورة التواصل؛ ذلك أن الذات التي تواجه بإثبات لا استطاعتها، لا يمكن أن تتفادى الجواب لأن هذا الموقف يؤول، جهياً، باعترافها بغياب الاستطاعة. على الرغم من طبيعة البنية التعاقدية التي تكون فيها الذات المتلقية ملزمة بالإجابة، فإن صورة التحدي تفترض أيضاً الانخراط في مرجعية من القيم الدامجة: إن الصورة الجيدة لا تتوقف على الذات الخاضعة للتسخير ورغبتها في تمثل هذه الصورة،

ولكنها تتوقف أيضاً على القيم التي تسقطها الذات المسخّرة، بمعنى أن الاشتغال الملائم للتحدي يفترض الانخراط المتبادل للترهينين المسخِّر والمسخَّر، إنه يشتغل بصيغة ناجعة حين يكون مندرجاً داخل مرجعية من القيم الدامجة. إن التطابق بين كينونة العامل المسخّر الخاضع للتحدي، وبين التمثيل الافتراضي، لا يتحقق إلا في السياق المرجعي القيمي الذي حدّده العامل المسخّر والذي يقبل به العامل المسخّر.

عبد المجيد نوسي

الباب الأول

الأصول المعرفية لسيميائيات السرد

الفصل الأول

البنيات الأولية للدلالة

(لقاء مع ألجيرداس جوليان غريماس)[1]

فردريك ناف: يبدو أن مشكل البنيات الأولية للدلالة يوجد، بالنسبة إليكم، في قلب النظرية السيميوطيقية. هل يمكن أن توضّحوا أسباب ذلك؟

ألجيرداس جوليان غريماس: إن التفكير حول البنيات الأولية للدلالة قد نتج، في اعتقادي، عن التقاء نوعين من الانشغالات، يبدوان متناقضين: يتمثل الأول في الجهد للحفاظ على ما أعدّه أساسياً في الإرث السوسيري، وأقصد بذلك المفهوم التأسيسي، الذي هو **البنية**، ولكن أيضاً في ضرورة التخلص من إشكالية **الدليل**، العائق الرئيس اليوم أمام كل تطور نظري.

فعلاً، إن «البنيوية» في وضعها غير المريح في الولايات المتحدة - بشكلٍ غير عادل - بفعل تطابق هذا المفهوم مع التوزيعية، أي مع إجراءات ذات طبيعة تصنيفية، تسمح بتقسيم المتصل الخطابي إلى وحدات مركّبة وبتحديد سُلَّميتها - ولا يمثل

---

(1) Greimas (A. J.), « Entretien avec A. J. Greimas sur les structures élémentaires de la signification (Frédéric Nef) », op. cit., pp. 18-26.

هذا، حقيقة، سوى أحد مظاهر الفعل الإنساني - عانث أيضاً أكثر في فرنسا بسبب الاستعمال المبتذل لمفهوم بنية، الذي يستعمَل ويطبَّق في أي شيء، وفي أي مجموعة من التصانيف: فلا عجب أن ينتج عن هذا الاستعمال نوع من الاستنفاذ النظري لهذا المفهوم.

إن التصور الذي ينظر إلى لغة بصفتها نسقاً من الدلائل، من جهة أخرى نعلم أن نظرية الدليل قد شكلت الحقل المغلق الذي تواجهت داخله - أثناء مرحلة ما قبل الحربين - كل المدارس اللِّسانية، لم يعد يمثل اليوم المجال الذي يمكن، انطلاقاً منه، أن يتأسس التفكير السيميوطيقي.

إن مستوى الدلائل يتحدد بالنسبة إلينا، أولاً، بصفته مستوى للظاهر اللُّغوي: إنه يخبرنا بالصيغة التي تتمظهر لنا بها الأنساق السيميوطيقية، وليس بصيغ وجودها وتنظيمها. وإذا أخذنا، بعد ذلك، بجدية تأكيد دوسوسير الذي مفاده أن الكلمات-الدلائل تُعد خالية من المعنى، وأن علائقها الاختلافية[1]، وحدها، تُعد دالة، يجب أن نقبل بأن «السيميوطيقي» يتموضع بين الدلائل وبأنه مفترض وسابق على الدلائل.

من هنا، إن البنية، إذا حدّدناها بصفتها شبكة من العلائق المحايثة للتمظهر، تصبح الفضاء الوحيد الذي يتحدد داخله التفكير حول شروط انبثاق الدلالة. ولكن، أيضاً، وفي الوقت نفسه، يصبح الجهاز الذي يسمح بإدراك الموضوعات السيميوطيقية. إن البنية

---

(1) Saussure (Ferdinand de), *Cours de linguistique générale*, Payot, Paris, 1972, p. 168.

ليست مفهوماً إبستيمولوجياً يحقق إمكانية معرفة العالم الدال وحسب، ولكنها تُعد المفهوم الإجرائي الذي يشترط ضرورة التماس، بالنسبة إلى كل موضوع سيميوطيقي، شبكة علائقية تكون محايثة له. هكذا تحل البنية الأولية محل - أو بعبارة أخرى تتطابق - مفهوم **المقولة**، مع تجنيب السيميوطيقا العودة إلى الذّرية.

غير أنه، وليكون هذا الجهاز العقلاني إجرائياً حقيقة، ولا يستغرق في تأملات ميتافيزيقية لمسألة الاختلاف، يجب أن تكون العلاقات المكوِّنة له محددة بطريقة لا التباس فيها، أو، وهو ما يحمل المدلول نفسه، أن تكون العناصر البنيوية التي تعتبر فقط بصفتها مواقع، أو بصفتها عقداً تنتهي إليها وتلتقي داخلها العلاقات، محدّدة بطريقة شمولية. إن الجهاز الإبستيمولوجي المعزز هكذا نتيجة إسهام الميتا-منطق، يتحول، إذاً، إلى بنية أولية إجرائية، و«المربع السيميائي[1]» الذي يحاول الاستعمال فرضه، لا يمثل سوى واحدة من إمكاناتها: إن إقامة هذه البنية تسمح بنوع واحد من المقاربة، هي المقاربة الاستنباطية، كما يضمن تماسك النماذج والتحليلات المطلوب إجراؤها.

ف. ناف: إذا حاولنا حصر الإشكالية بدقّة أكثر، ما هو موقع المربع السيميائي داخل نظرية الخطاب التي تنجز منذ سنة 1971؟

---

(1) - يحدّده غريماس كالآتي:

«نقصد بالمربع السيميائي التمثيل البصري للتمفصل المنطقي لمقولة دلالية معيّنة».

Greimas (A. J.), Courtés (J.), *Sémiotique. Dictionnaire raisonné de la théorie du langage*, Hachette, Paris, 1979, p. 29.

أ. ج. غريماس: سوف أكون، أولاً وقبل كل شيء، غير دقيق فيما يتعلق بالتواريخ: بالنسبة إلي شخصياً، إن التفكير حول النظام الدلالي للِّسان كان، منذ البداية، مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً لا تفصم عراه بالبُعد الخطابي لتمظهره بصفته كلاماً. ومن الحقيقي على الرغم من ذلك أن مجال السيميوطيقا الخطابية هو الذي سُجِّلت فيه الجهود الأساسية منذ سنوات، ما أصبح معه في الإمكان إحداث قلب عميق للإشكالية: بدل أن نعدَّ الخطاب متوالية من الأقوال، لم يعد محرجاً اليوم الإقرار بأن الخطاب، منظوراً إليه بصفته كلّاً دالاً، يجب أن ينتج أولاً مثل هذا المركّب، الذي ينقل تمفصله بشكلٍ تدريجي بواسطة مراحل متتالية، ويتشظى، في نهاية الأمر، إلى ملفوظات خاصة. إن هذا التمثيل للخطاب باعتباره متتالية من التمطيطات الأفقية، **الطولية**، لا يعدُّ ممكناً إلا إذا التمسنا له، في الوقت نفسه، بُعداً عمودياً يشمل عدداً من المستويات المتعاقبة من التمظهرات نحو **العمق**. لا تعدم هذه السُّلَّمية التي تتجه من الأعمق إلى الأكثر سطحية، بدورها، إثارة إشكالية الترهين الأولي لتوليد الخطاب، إشكالية الفضاء الأصلي لأولى التمفصلات الأولية، التي تكون في الآن ذاته بسيطة ومفتوحة، للدلالة: إن هذا التصور الجديد للخطاب يدفعنا، فعلاً، إلى تحديد مسألة «التعيين» ليس على المستوى السطحي الخطابي، ولكن على المستوى الأعمق.

نفهم، إذاً، القيمة والرهان النظري الحقيقي الذي يشكّله الاستعمال السليم للمربع السيميائي: إما أن الخطاب يمثل مساحة سطحية ومسطحة، قابلة لوصف «براغماتي» أو لتنظيم سردي ذي نفحة نفسية-اجتماعية، وفي هذه الحالة لا يشكل المربع السيميائي

سوى آلة منتقاة من محل لبيع التوابع، وإما أن البنية الأولية تُعد فضاء انبثاق المعنى، والخطاب، المنتوج المتلفظ، والإسقاط الخارجي لترهين التلفظ.

ف. ناف: هل يمكن لكم أن تحددوا ما تدينون به من جهة للاتجاه الاثناني الفونولوجي[1] لمدرسة براغ، ومن جهة أخرى للأعمال المنطقية لبلانشي[2]، مع إبراز ما يميز مقاربتكم المنهجية الخاصة عن هذه الأعمال؟

أ. ج. غريماس: يجب القول إن الأفق اللِّساني قد تغيّر كثيراً في فرنسا في ظرف خمس عشرة سنة، يصعب معه، بالنسبة إلى الجيل الجديد من السيميائيين، تخيل الصعوبات التي كنا نتخبط فيها، خلال هذه المرحلة، والحقول الإشكالية التي كانت في حوزتنا لكي نؤطرها ضمنها. هكذا، تتكلمون عن أعمال بلانشي، غير أن الانشغالات اللِّسانية كانت فيْ هذه المرحلة بعيدة من المشاكل التي يطرحها المنطق، ولم يحصل سوى بشكلٍ غير مباشر وجزئي - بواسطة فضول لا أربطه باللِّسانيات - أن تعرفت إلى أعمال

(1) يتعلق الأمر بالاتجاه الاثناني للبنيوية الذي تقترن به أسماء باحثين أمثال تروبتسكوي وياكبسون. وقد مكّنت مفاهيم هذا الاتجاه الفونولوجي: الخصائص القطبية للمقولة (منبور/ منخفض) أو الحضور/ الغياب، لخاصية صوتية من صياغة مفهوم رئيس في السيميوطيقا، هو مفهوم: البنيات الأولية للدلالة.

Jakobson (Roman), *Essais de linguistique générale*, Éditions de Minuit, Paris, 1963.

(2) روبير بلانشي (1898-1975): فيلسوف ومنطقي فرنسي، تناول، فلسفياً، قضايا الرياضيات والعلم والمنطق.

كارناب[1]، فيتغنشتاين[2] ورايشنباخ[3].

تتكلمون أيضاً عن الاتجاه الاثناني الفونولوجي عند حلقة براغ، غير أن الاتجاه الاثناني شكّل واقعة ترتبط بالتطبيق اللغوي ولا يفضي إلى تساؤل نظري، لقد كانت الفونولوجيا في هذه المرحلة تعرَف بصفتها آلية فعالة، وتحويل إجرائياتها إلى علم الدلالة هو وحده الذي أدّى إلى إبراز أولى الصعوبات: بهذا الشكل، نجد أن تقابلاً مثل: **موسوم/ لا موسوم**، مثلاً، لا يفتأ يطرح مشكل الاختيار بين منطق للماصدق وبين منطق للمفهوم، أو أن مفاهيم **التحييد والتعليق**، رغم تغطيتها لحقائق لسانية لا جدال فيها، تبدو خاضعة لمعالجة عسيرة ولتأويل صعب. خارج هذا الحقل، في المجال الإبستيمولوجي الذي سيصبح لاحقاً مجال السيميوطيقا، هناك جدل كان قد تأسّس بين الاتجاه الاثناني وبين التثليثي، وكان يخلط داخل فوضى عارمة، مبدأ الثالث المرفوع والجدل الثلاثي لهيغل، والاتجاه الاثناني لليفي ستروس[4]

---

(1) رودولف كارناب (1891-1970): الفيلسوف والمنطقي الأميركي.

(2) لودفيغ فيتغنشتاين (1889-1951): الفيلسوف البريطاني، اعتبر أن من أهداف الفلسفة الاستيضاح المنطقي للفكر، من أهم أعماله: **التراكتيس**.

(3) هانس رايشنباخ (1891-1953): عالم الرياضيات والفيزياء والفيلسوف الألماني.

(4) اكتسى تقابل: طبيعة/ ثقافة في أعمال كلود ليفي ستروس أهمية كبيرة وبخاصة في عمله: **ميثولوجيات**. لقد شكّل هذا التقابل تشاكلاً دلالياً يمكن أن يستثمر في تحليل الأسطورة. يمكن لهذا التقابل أن يميز بين حالتين: حالة اللاتميز والحالة المعقلنة.

= Lévi-Strauss (Claude), *Le cru et le cuit*, Plon, Paris, 1964

والتثليثيات لديْميزيل[1]، وقد بلغ صداه إلى حدود اللِّسانيات، تحت شكل اختيار ضروري بين الثنائية الكلاسيكية للموضوع والمحمول، والبنية الثلاثية بمهيمنة فعلية، لتانيير[2].

إن المقاربة الخاصة بي، داخل هذه الالتباسات، كانت مقاربة ممارس يبحث، وبرغبة الحفاظ على المكسب الميتودولوجي، عن التوفيق بين المتناقضات الظاهرة، بإدماج، داخل بناء موحد، مجموعة الوقائع المعروفة لدي وقتذاك، ولم تكن مقاربة منظِّر يفكر

= - *Du miel aux cendres*, Plon, Paris, 1966
- *L'origine des manières de table*, Plon, Paris, 1968
- *L'homme nu*, Plon, Paris, 1971.

(1) جورج ديميزيل (1898-1986): نحوي مقارِن، فيلولوجي. اهتم بالميثولوجيا وديانات الشعوب الهند-أوروبية.

(2) لوسيان تانيير (1893-1954): اللِّساني الفرنسي، المسلَّمة الأساسية التي بنى عليها تانيير دراسته في التركيب هي استقلالية هذا المكون عن المكونات الأخرى (المورفولوجي...). يقر تانيير، في سياق هذا التصور، بأسبقية الجملة عن الكلمة. يشبّه الجملة بدراما صغيرة، وهو ما يفضي إلى هذا التوازي:
- الجملة/ عوامل/ فعل/ ظرف.
- الدراما/ ممثلون/ صيرورة/ المقام.
يسند تانيير موقعاً مركزياً لـ«العقدة الفعلية» (مهيمنة فعلية بحسب غريماس). ونظراً إلى أهمية العقد الفعلية، فإنه ينشر العوامل وفق أصوات حضورها، وهي:
- سمة مشاركة: تشارك العوامل، بدرجة معينة، في صيرورة الفعل.
- سمة تفارقية: تنتج عن تحليل الصيرورة، وتميِّز بين: عامل ينجز الفعل (العامل الأول)، وعامل يقع عليه الفعل (العامل الثاني)، انظر:
Tesnière (Lucien), *Éléments de syntaxe structurale*, Klincksieck, Paris, 1959.

حول طبيعة العلاقات المنطقية، إن ما أدين به، بشكلٍ أساسي، يرجع إلى فيكو براندال[1]، الذي اقترح توليفاً نسقياً للتقابلات المورفولوجية، إن إسقاطه للعنصر: **محايد**، خارج المحور المكون للتقابل الاثناني، وتصوره للعنصر: **المركّب**، الذي يجمع، في خطوة ثانية، عناصر هذا التقابل، كانا مضيئين بشكلٍ خاص، حيث سمحا بإدماج العلاقات الاثنانية والعلاقات الثلاثية داخل بنية أولية وحيدة. إن الاستيضاح، من لدن ليفي ستروس، لبنية الأسطورة بصفتها مكونة من زوجين متقابلين متعالقين، قد مكّنت من إعطاء الشكل «المربع» للتقديم البصري لهذه الشبكة العلائقية. إن الصياغة المنطقية لهذه العلاقات التي تمَّ التعرف إليها بشكلٍ أو بآخر «ميدانياً» لم تتحقق إلا بشكلٍ متأخر، وسمحت، إلى جانب أشياء أخرى، بالتقاربات مع المسدس عند بلانشي.

---

(1) فيكو بروندال (1887-1942): اللّساني الدنماركي، في دراسته للبنية المورفولوجية، ينهج بروندال مقاربتين:

1- مقاربة استقرائية: من بين ستة عناصر اقترحها، ينجز الانتقال من مستوى التمظهر إلى مستوى المحايثة، ويحصر العناصر في أربعة: أ- محايد. ب- سلبي. ج- مركّب. د- مركّب سلبي ومركّب إيجابي.

2- مقاربة استنباطية: حيث يعود إلى زوجين من الخصائص، تجمع بينهما تقاطعات، هما خاصية: منفرد/ محايث، وخاصية: اتصالي/ انفصالي.

انظر:

Brondal (Viggo), *Essais de linguistique générale*, E. Munksgaard, Copenhague, 1943.

يشير غريماس في الحوار إلى ما يدين به إلى بروندال، حيث مكّنت اقتراحات اللّساني الدنماركي (العناصر الأربعة) غريماس من صياغة المربع السيميائي بصفته تمثيلاً بصرياً للبنية الأولية للدلالة.

ف. ناف: في دراسة توجد ضمن هذا المؤلَّف الجماعي، يبيّن كومبي[1] في دراستكم «مبادئ النحو السردي[2]»، ظهور حالة ثانية للمربع، هل يمكن لكم أن تعيدوا التذكير بالطريق المؤدي من «لعبة الإكراهات السيميوطيقية[3]» (1968) إلى «المبادئ» (1969)؟

أ. ج. غريماس: أعتقد بأن الإكراهات السيميوطيقية، وعلى الرغم من أنها كانت تحمل طابع الانشغالات التصنيفية، كانت تطرح في وقت مبكر مشاكل التنظيم السردي للخطاب. إن حُلم اللِّساني الذي كان يبحث عن أداة تسمح له بوصف الفضاءات الدلالية التي تكسوها اللُّغات قد ترك المجال لمشروع أقل طموحاً، يتمثل في استيضاح الفضاءات المصغّرة الخاصة التي تُعد بنيات قاعدية دامجة للعدد من المربعات وقادرة على إنتاج عدد كبير من الخطابات

---

(1) الدراسة التي أنجزها جورج كومبي حول إمكانية تعقيد البنية الأولية بنقلها من الاثنانية إلى التثليثية. انظر:

Combet (Georges), « Complexification et carré performatoire », in *Structures élémentaires de la signification*, Éditions Complexe, Bruxelles, 1976.

(2) هي الدراسة التي صدرت في كتاب غريماس: **في المعنى**، والتي صاغ فيها المبادئ التي يقوم عليها النحو السردي كما اقترحه. وتقدَّم هذه الدراسة مترجمة في هذا العمل، لأنها تبرز مستويات النحو السردي والمفاهيم الإجرائية المكونة له. انظر:

Greimas (A. J.), *Du sens. Essais sémiotiques*, Seuil, Paris, 1970, pp. 157-185.

(3) الدراسة التي صدرت أيضاً في كتاب **في المعنى**.

Greimas (A. J.), « Les jeux des contraintes sémiotiques », in *Du sens*, op. cit., pp. 135-157.

السردية. إذا كان تحليل الإكراهات والإمكانيات السيميوطيقية يتوقف بالأساس على مبدأ التوليف، فإنه يؤدّي مع ذلك إلى إنجاز نوع من النمذجة للمحكيات: يسمح بمعرفة كيف، انطلاقاً من موقع استراتيجي محدّد، هو موقع بنية تعاقدية، أن عدداً لا يستهان به من الوضعيات المتميزة بالمواجهة، المولِّدة للسرد الجدلي، يمكن أن يستنبط.

بالمقارنة مع **الإكراهات** التي لا تنشغل سوى بالحالات السردية، فإن **المبادئ** تطمح إلى تفسير العمليات التي تفضي إلى تسريدات. في الواقع، فكما أن الصيغ التعاقدية، القبول أو المنع، تفترض على مستوى النحو السطحي وجود عوامل تسمح أو تمنع فعلاً معيّناً، فإن المربع التصنيفي، حتى في الوقت الذي يحدد فيه مواقع عناصره بواسطة علاقات التناقض مثلاً، يمكن أن يتصور بصفته الفضاء الذي يمارس داخله التناقض، أي القول النافي لعنصر يعمل على إبراز العنصر «المناقض له». إن تأويلاً جديداً للبنية الأولية للدلالة - الذي لا يعدُّ مناقضاً للأول - يبدو حينئذ ممكناً: إذا كانت الأولى تبحث في الصيغة التي يمكن للمعنى أن يتمفصل بها ليفهم بصفته دلالة، فإن الثانية تسمح بدورها أن تتمثل الكيفية التي تنتج بها الدلالة بواسطة مجموعة من العمليات الخالقة لمواقع اختلافية.

إن الإسهام الميتودولوجي - وليس الإبستيمولوجي - لهذا التأويل يقضي - يبدو لي - بإضاءة، بجزء يسير، ظاهرة التسريد التي يمكن أن تتصور، على المستوى العميق، بصفتها متوالية من العمليات المنطقية الموجهة التي تُعد إجرائية داخل الإطار المتوقع بواسطة المربع السيميائي.

ف. ناف: إن الأعمال التي استلهمت المربع السيميائي تتوجه حالياً نحو تعقيد النماذج. نعاين، من بين عناصر أخرى، عملية إظهار المربع العاملي الذي يحقق تمفصل الإشاريات... إلخ. هل يمكن لكم أن تحدّدوا انشغالاتكم الخاصة في علاقتها بهذه الأبحاث؟

أ. ج. غريماس: إني أعترف بأني أفاجأ بلطف بتجديد الاهتمام بالتفكير النظري حول البنيات المنطقية-الدلالية التي خصَّصتُ لها في وقت ليس بالبعيد حلقات منذ عام 1965 إلى حدود عام 1969. لدي انطباع بأن مصدر ذلك هو توسّع وتعميق الممارسة التحليلية التي فرضت إعادة تناول الصياغات النظرية، ولكن ذلك يعود أيضاً إلى صعود جيل جديد من السيميائيين الذين يعدّون أكثر إحساساً بالمظاهر المنطقية والاستنباطية للسيميوطيقا.

إن تعقيد المربع يسير - أو يجب أن يسير - في اتجاهات عديدة متباينة. يمكن أن يتعلق الأمر، بادئ ذي بدء، بالإغناء الداخلي للمربع، الذي يمكن أن نحصل عليه بالتحديدات الأكثر دقّة للعلاقات التفاعلية وبالتعرُّف إلى مواقع جديدة نهائية: فعلاً، إن العمليات التي يمكن أن نجري على المربع التصنيفي، تولِّدُ عناصر موقعية من التوليد الثاني (عنصر مركّب ومحايد، عناصر متوازنة، أو مهيمنة إيجابية أو سلبية، عناصر تكميلية، تغطي الإشاريات... إلخ).

على أن التعقيد، وهذا ما يغيب علينا أحياناً، يلازمه التبسيط: وهكذا، إن بعض الثقافات أو بعض أنواع الخطابات تنتقي، من بين الإمكانات التي يتيحها التنظيم العام للمربع، بعض الأجهزة

المنطقية-الدلالية البسيطة نسبياً (بنيات تثليثية لبعض الخطابات الدينية، بنيات اثنانية لبعض الخطابات المنطقية) وتجعلُ منها استعمالاً حصرياً أو على الأقل استعمالاً تفضيلياً. انطلاقاً من هذه الاعتبارات، إن نمذجة للثقافات (أو للإبستيميات) تكون ربما أكثر مردودية من التي يطيب لنا اقتراحها انطلاقاً من تقدير الدلائل، يصبح من السهل تصورها.

يبدو التعقيد، في نهاية الأمر، مثل مقاربة تسعى إلى استيضاح تمفصل الأكوان المصغّرة المولِّدة للخطابات، الموسومة بالتناسب والتطابق أو بتعالق عدد كبير من المقولات المقوماتية، وإلى إقامة، بهذه الصيغة، التشاكل بين البنيات العميقة وتمظهراتها على مستوى السطح. إن هذه المقاربة الأخيرة هي التي يبدو أنها تخصِّصُ عدداً غير يسير من الدراسات التي يكتنفها هذا المؤلف[1].

إن مضاعفة عدد المربعات العاملية يبدو، منذ الآن، من هذا المنظور، نتيجة نظرية وتطبيقية في الوقت ذاته للتقدم الذي حققه التحليل السيميوطيقي. هكذا يكفي، على المستوى النظري، أن نلتمس بأن المقولة لا تُعد سوى مفهوم موحد وذرّي، غير أنها تُعد عنصراً كلياً يغطي البنية الأولية للدلالة، وليظهر عامل ما مثل موقع شبه عاملي، قابل في كل لحظة للتشظية، وفق المصطلحية المقترحة من لدن ج. ك. بيكار (J. C. Picard)، إلى:

(1) يشير إلى المؤلف الذي يشمل مجموعة دراسات حول البنية الأولية للدلالة، ومن بينها هذا الحوار: *Structures élémentaires de la signification*, op. cit.

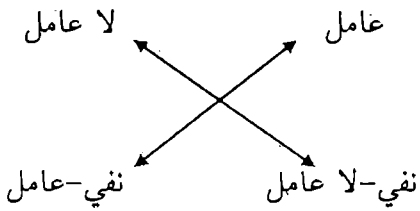

على المستوى العملي، من جانب آخر، تبدَّى لنا بسرعة بأنه إذا كان المحكي، في صورته الأكثر بساطة، يمكن أن يتطابق مع برنامج سردي، فإن حضور المعاكس يُبرِز سلفاً، بصورة مجازية، برنامجاً مضاداً ضمنياً ويُظهِر بجلاء البنية **الجدلية** للسرد: هكذا يواجه عامل مضاد العامل-الذات. لا يوجد ما يثير الاندهاش حينئذٍ من كون تحليل النصوص، كيفما كان تعقيدها، يرغم على مضاعفة المواقع العاملية، وهكذا يبرز، إضافة إلى سيرورته المركبية، التمفصل الاستبدالي للسردية.

ف. ناف: إن تعقيد المربع السيميائي يصاحبه أيضاً «التربيع» الذي نلاحظه على مستوى كل المستويات البنيوية للخطاب السردي. ما هي الأهمية التي تولّونهَا لإعداد الانتقال من البنيات العميقة إلى البنيات النصية السطحية؟

أ. ج. غريماس: لا أعتقد أنه من الممكن في الوقت الراهن تصور الاقتصاد العام لنظرية الخطابات بصيغة مخالفة لما هو عليه الأمر الآن، وهو تصوره على شكل جهاز من المستويات المنتمية للمستوى العميق، تسمح بإدراج، داخل كل مستوى، مكونات جديدة دلالية-تركيبية (تمثيل مُؤنسَن، تزمين وتفضية، إضافة مكون التصويرية... إلخ) تقرِّب، تدريجياً، الخطاب من سطحه النصي. يوجد لدي انطباع أكثر من ذلك بأن جهود التحليل السيميوطيقي

ستسفر عن الرفع، بشكلٍ كبير، من عدد هذه المستويات. يتعلق الأمر هنا، أولاً، بمسألة تتعلق بالاستراتيجية التحليلية: إن مضاعفة المستويات الخطابية يسمح بإعطاء تمثيل أكثر وضوحاً عن كل مكون من المكونات. غير أنه يشكّل أيضاً ضرورة نظرية: إن تشكيل الخطاب من مستويات سُلَّمية يجب أن يستجيب لنمذجة معيّنة من الخطابات بإبراز أن كل مستوى خطابي يعدُّ قابلاً للتمظهر بصفته نموذجاً لخطاب مستقل تكمن خصوصيته في مدى عمقه.

هذا الجهاز النظري، وعلى الرغم من كونه يبدو مقنعاً للوهلة الأولى، يكاد أن يبقى افتراضياً ما دام أن مشكل **التساوي** بين مختلف مستويات المكوّن العميق لم يُطرح بعد بشكلٍ واضح، وما دام أن إجرائيات **التحويل** من مستوى إلى آخر لم تنجز بعد. وهكذا، فإن الأبحاث التي تهدف إلى تشييد جسور من مستوى خطابي إلى آخر لا تبدو لي مهمة وحسب على المستوى النظري، ولكنها تستجيب أيضاً إلى متطلبات استعجالية للممارسة السيميوطيقية.

ف. ناف: نجد في كتاباتكم منذ المبادئ إلى الدراسة الأخيرة الحديثة حول مواضيع القيمة (مجلة لغات، 31، 1973)، الانشغالات الطبولوجية نفسها. يمكن أن نتساءل بخاصة، كيف تفهمون تمفصل نمذجة المسارات التركيبية العاملية في علاقته بنمذجة مسارات مواضيع القيمة؟

أ. ج. غريماس: لا تجهلون من دون شك الحُلم القديم الذي يمكن للِّسانيات وفقه أن تتصور، يوماً، مثل «جبر للُّغة» لا تتحدد داخله كل العناصر إلا من خلال علاقاتها ومواقعها المتميزة بالاقتضاء المتبادل. إن التحليل، ولو السطحي منه، للمحكي

البروبي[1]، يسمح سلفاً باستشراف هذه الإمكانية: تتعرف داخله بسهولة إلى انتقال في مستوى الفضاء، يتحدد على المستوى التصويري للعوامل (انتقالات العوامل، نقل المواضيع)، يمكن للفضاءات السردية أن تحدّد (داخل هذا المحكي) من هذا المنظور، ليس في ذاتها ولكن في علاقاتها بالعوامل، وكذلك في علاقة العوامل ببعضها البعض. إن التبادل التصويري يمكن، منذ هذا الحين، أن يُعتبر مثل نتيجة لتحويل التواصلات التي تتم وفق نظام توقعي، مواضيع القيمة التي تتحول من عامل إلى آخر، تواصلات يمكن أن نمثلها بصفتها انفصالات واتصالات.

مسارات المواضيع هذه لا يمكن تخيلها إلا إذا قبلنا بمبدأ البنية الجدلية للخطاب السردي، بعبارة أخرى بوجود محور استبدالي يجمع، على الأقل، عاملين يتميز كل واحد منهما، على الأقل ببرنامج سردي موازٍ: تتحدد مسارات مواضيع القيمة (ونعني بالقيم، على حدّ سواء، القيم الأكسيولوجية والقيم الجهية) طبعاً على مستوى هذا المحور الاستبدالي.

وإذا أخذنا بعين الاعتبار الآن السرد في بُعده المركّبي، حيث يظهر كل برنامج سردي مثل صيرورة مكونة من الامتلاكات والفقد للقيم، من الإغناء والتفقير للذوات، يتبدّى لنا بأن كل خطوة نخطوها

---

(1) المحكي كما تصوره فلاديمير بروب كان يهدف إلى وصف نسقي للحكاية من خلال تفكيكها والبلوغ إلى مورفولوجيا الحكاية. يستخلص بروب في نهاية عمله أن الحكاية العجيبة هي التوالي المماثل والدائم لإحدى وثلاثين وظيفة. انظر:

Propp (Vladimir), *Morphologie du conte*, Seuil, coll. « Points», Paris, 1970, p. 32.

إلى الأمام، على مستوى المحور المركبي، توافق (وتتحدّد بـ) تحركاً طبولوجياً على مستوى المحور الاستبدالي.

وهكذا، إن عاملاً للبرنامج السردي يتجزء مركّبياً، بفضل العمليات الاستبدالية، إلى متوالية من الأدوار العاملية (عامل ممكن، عامل الإرادة، عامل وفق القدرة، عامل محقق... إلخ)، أدوار تتحدد، في الوقت نفسه، بـ«محتويات» جديدة مكتسبة، ولكن أيضاً **بموقعها** داخل سيرورة البرنامج. هكذا، يجدِّد تنظيم المسارات الاستبدالية اتجاه المسار المركّبي، كما أن العكس يعدُّ صحيحاً أيضاً. هكذا نرى، في هذه الشروط، كيف أن التحديدات الطبولوجية يمكن، احتمالاً، أن تحلَّ محلَّ التحديدات «المضمونية».

وعلى الرغم من ذلك، لا يتعلق الأمر هنا إلا بتركيب يحوّل، بواسطة الانفصالات والاتصالات، ملفوظات الحالة ولا يعطي عن المحكي سوى تمثيل ثابت لمتوالية من الحالات السردية. كما هو الأمر بالنسبة إلى المربع التصنيفي الذي يجب أن يعتبر بمثابة فضاء تتم داخله العمليات المنطقية، فإن متواليات ملفوظات الحالة منظّمة ومحوّلة بواسطة ملفوظات للفعل وبواسطة عوامل محولة تنتظم داخلها.

ف. ناف: هناك من يؤاخذ، ربما بنوع من السهولة، على المربع السيميائي «طبيعته المبتذلة». ماذا تجيبون على هذا المأخذ: الابتذال الرياضي؟ ألا ترون أن أهمية المربع السيميائي تكمن في طابعه الإجرائي؟

أ. ج. غريماس: بين مأخذين متناقضين - مأخذ «الصورنة القصية» ومأخذ «الابتذال» - يعدُّ السبيل الذي تنهجه السيميوطيقا،

والمتميز بنزعته العلمية طبعاً، غير مريح. إذا أمكن أن نعترف أن الرياضيين كانوا على حقٍّ بخصوص وجهة نظرهم المتألقة، يمكن أن نجيب ببساطة بأن مختلف أنواع المنطق التي تبنى حالياً ليست أقل تفاهة فيما يتعلق ببنياتها القاعدية. إن ما يُنقِص أيضاً، حقيقةً، السيميوطيقا الخطابية هو الجزء المتعلق بـ«الحساب» الذي يمكن ويجب أن يستنبط منها. إلا أنه، وعكس اللغات الشكلية الرياضية والمنطقية، يتعلق الأمر - بالنسبة إلينا - ببناء سيميوطيقا، أي ببناء نحو وعلم دلالة. لا يتعلق الأمر، إذاً، ببناء لغة شكلية مستجيبة لتماسكها الخاص بها، ولكن ببناء نحو مطابق لنوع من الواقع.

إننا نخضع لعائق مزدوج، ونماذجنا يفترض فيها أنها تمثيلات لوقائع دلالية تكون متمظهرة بطريقة ما، وتبدو، لهذه الغاية، مقاومة وعنيدة. أيضاً هل نحن على اقتناع بهذه البنيات «المبتذلة» لسبب بسيط، وهي أنها تنقاد إلى المناولة، كما أنها تستطيع أن توضِّح عدداً من المواضيع السيميوطيقية التي لا يزال عددها في نمو مطرد. إن السيميوطيقا، وهذا ما لا يجب أن يغيب عنا، هي أولاً، وقبل كل شيء، ممارسة.

الفصل الثاني

المسلَّمات، المناهج والرهانات: أ. ج. غريماس موضع سؤال(*)

لا يوجد هناك رئيس لإدارة هذه الجلسة[1]. في غياب المرسل، أريد بادئ ذي بدء أن أعبِّر عن امتناني وعن تأثري لرؤيتكم بهذا العدد الكبير، وبهذا الصبر في اجتماع أعدَّ بالنسبة إليه ذريعة. يجب، أيضاً، أن أعبِّر عن الضيق الذي أجدني فيه وأنا أرى نفسي، هكذا، في وضعية جثة تشرَّح على مختلف الأشكال. إنه نوع من الموت المسبق، المقلق جداً بالنسبة إلي. أنا الذي أجاهد على الدوام لكي

(*) النص مقتطف من كتاب:

Greimas (A. J.), «Postulats, méthodes et enjeux. Algirdas Julien Greimas mis à la question », in *Sémiotique en jeu. A partir et autour de l'œuvre d'A. J. Greimas*, op. cit., pp. 301-330.

(1) يشتمل هذا الكتاب على أشغال الندوة الخاصة بالسيميائيات التي انعقدت سنة 1983. اتخذت الندوة موضوعاً لها، أعمال ألجيرداس جوليان غريماس بصفته مؤسِّس المدرسة الفرنسية للسيميائيات. إضافة إلى مداخلات الباحثين، عقدت جلسة كانت فيها الأعمال العلمية لغريماس – على المستوى المنهجي والتحليلي وصيرورة بناء النظرية – موضوع سؤال من لدن الباحثين المشاركين.

أظلُّ شاباً، هذا ما يسمح لي بأن أفهم، قليلاً، أحسن **الصديقان**[1] لموباسان حين تمَّ نقلهما، وهما ممدّدان، إلى مكان الاختبار. بالنسبة إلي، الاختبار الرئيس سيحدث الآن، ما دمتم ستختبروننني بأسئلتكم. يجب أن أقول إنه إلى جانب الضيق الذي يسببه وضع الجثة، أحسست بنوع من الانزعاج الثقافي، وأنا أحس بأني أقل ذكاء من الذين سيعقّبون على أعمالي. حينما يحاول أحد ما من الخارج توضيح إشاراتك اللِّسانية، تدرك أن فكرك يتجاوزك. إني أتساءل، إذاً، ما إذا لم يكن مفيداً أكثر التوجه إلى باري[2] أو إلى بتيتو[3] بدلاً مني لمعرفة ما أفكر فيه!

لقد كانت الأسئلة كثيرة، وقد قسّمتها إلى مجموعتين، مجموعة ذاتية ومجموعة موضوعية. في القسم الأول، طبعاً، سُئلت بصفتي ذاتاً ملموسة، محققة، وفي القسم الثاني تمَّ التوجه إلى خطابي أكثر مما تمَّ التوجه إلي.

في المجموعة الأولى من الأسئلة، هناك جانب من التاريخ الاستملاحي. في الواقع، لا أعرف ما هي الأهمية التي يمكن أن نوليها للحياة بصفتها ملحة، حتى إن تعلق الأمر بملح ثقافية. السؤال الأول هو لميشال أريفي[4]:

---

(1) يشير إلى قصة **الصديقان** لموباسان التي حللها غريماس في كتاب كامل:
Greimas (A. J.), *Maupassant, la sémiotique du texte. Exercices pratiques*, Seuil, Paris, 1976.

(2) هرمان باري (Herman Parret).

(3) جون بتيتو (Jean Petitot).

(4) ميشال أريفي (Michel Arrivé).

«ما هي نقط التجذير التي سمحت بانطلاق التفكير السيميوطيقي؟».

من بين نقط التجذير هذه، يثير أولاً وظيفة ودور تكويني، وهو تكويني الفيلولوجي. إني ممتن لميشال أريفي الذي فكّر في أن يطرح علي هذا السؤال لأني في مرحلة من مراحل هذه العشرية قد شرحت في علاقتي بالتأثيرات التي يمكن أن أكون قد تعرضت لها: غريماس، هو هيغل، هو ماركس... إلخ. لقد كان ذلك مشرِّفاً جداً، غير أني لم أكن أشعر حقيقة أن الأمر يعنيني. إن غريماس اللِّساني بخاصة هو الذي ينبغي أن يكون موضع سؤال، وهذا لم يحدث؛ لذلك إن ميشال أريفي يسدّ، إذاً، ثغرةً. فعلاً، إن أول تكوين تلقيته هو تكوين الفيلولوجي؛ وبفعل أستاذ متميز، يمكن أن أزعم بأني تكونت جيداً - مثل فيلولوجي - وهذا شيء مهم! بمعنى أنني أقدِّر النص حقّ التقدير، أقدِّر المرجع، أقدِّر فكر الآخر. وهذا التأثير يعدُّ في غاية الأهمية حينما يتعلق الأمر بالممارسات النصية. إن الخطوة السابقة على كل تحليل سيميوطيقي هي الفيلولوجيا، هي التحضير الفيلولوجي للنصّ. إنه من المضمرات التي لا يمكن إغفالها. يجب أن نعرف ما هو النصّ، سواء تعلّق الأمر بالمؤرخ، باللِّساني أو بالمنطقي، يكون النصّ نقطة الانطلاق ونقطة تجذير لصياحنا، وإذا صحّ القول إنه يسوغها ويؤصلها. لاحقاً، أثناء الوصف، نبتعد طبيعياً من النصّ، غير أنه يعد العلاقة الوحيدة التي تربطنا بواقعنا المختلف عن الواقع الرياضي، عن الواقع الطبيعي... إلخ.

السؤال الثاني: «ما هو الدور الذي لعبه علم المعجم البنيوي؟».

يذكر، أريفي، بودٍّ أن أطروحتي لنيل دكتوراه الدولة انصبّت حول معجم الموضة[1] خلال المرحلة الرومانسية. فعلاً، لقد بدأت بأبحاث لا أملك اليوم الجرأة على نعتها بالأبحاث، ولكنها تتأطر ضمن طريقة تكوين اللّسانيين، وكان ذلك ما بين عامَي 1940-1950. أعتقد أن وظيفة لقائي بعلم المعجم والانتقال عبره كانت هي وظيفة استشعار الفشل، لأنني تبيّنت، بعد عمل دام خمس أو ست سنوات، أن علم المعجم يفضي إلى الباب المسدود - وأن الوحدات المعجمية أو الدلائل لا تؤدّي إلى أي تحليل، ولا تسمح بالبنينة، بالفهم الشمولي للظواهر - وفهمت أن «تحت» الدلائل تحدث الأشياء. نعم، السيميوطيقا هي نسق من الدلائل[2]، ولكن

---

(1) يتعلق الأمر بأطروحة ألجيرداس جوليان غريماس:

La mode en 1830. Essai de description du vocabulaire vestimentaire d'après les journaux de mode de l'époque.

وقد قدمها لجامعة باريس لسنة 1948. ثم نشر الأطروحة بعد وفاة غريماس. انظر:

Greimas (A. J.), *La mode en 1830*, PUF, Paris, 2000.

ضمَّ الكتاب أطروحتين، الأولى رئيسة - المشار إليها أعلاه - والثانية مكمِّلة بعنوان:

Quelques reflets de la vie sociale en 1830 dans le vocabulaire des journaux de mode de l'époque (thèse secondaire), 1948.

وقد كانت القوانين تفرض وقتذاك (1948) تقديم أطروحتين: أطروحة رئيسة، والثانية مكمِّلة.

(2) يذكّر هنا بتحديد دوسوسير لمفهوم السيميولوجيا في كتابه: **محاضرات في علم اللغة العام**. انظر:

Saussure (Ferdinand de), *Cours de linguistique générale*, op. cit.

بشرط تجاوز هذه الدلائل والنظر، أكرر ثانية، إلى ما يحدث تحت الدلائل. هذا النوع من المسلّمة أو الترافع كان يجب أن أعيشه لأنخرط فيه حقيقة. بالنسبة إلي، إن غياب الملاءمة بالنسبة إلى مستوى الدلائل عشته داخل تجربتي في علم المعجم، لأن علم المعجم هو ما حاولنا تأسيسه مع جورج ماتوري خلال سنوات 1940-1950(*). إن واقع الحال هذا، تفهمون ذلك، يضع بسرعة، في مناخ من الرفض، كل مفهوم مثل الحقل المفهومي، الحقل المعجمي... إلخ، هذه المفاهيم المبتذلة التي ما زالت تحوم حولنا.

لكي لا أطيل متعة إثارة الماضي الخاص بي، سأتناول السؤال الثالث لأريفي، حول:

«تاريخ وصنع القراءة الأولى ليامسليف(1)، مقال مارتيني(**)، النصّ الأصلي بالدنماركية أو الترجمة الإنجليزية؟».

إننا نلج هنا مجال الكرونولوجيا، بحسب ريكور، وأصدقكم القول إني في غاية الضعف في هذا المجال! لا أستطيع تذكر لحظة

(*) Matoré (Georges), *La méthode en lexicologie*, Didier, Paris, 1953.

(1) لقد شكلت أعمال لويس يامسليف أحد عناصر إبدال السيميائيات الغريماسية. مكّنت قراءته من استثمار مفاهيم أساسية لبناء الصرح النظري لهذه السيميائيات، على سبيل المثال مفاهيم: عبارة/ محتوى/ صورة، انظر:

Hjelmslev (Louis), *Prolégomènes à une théorie du langage*, Éditions de Minuit, Paris, 1968.

(**) Martinet (André), « Au sujet des fondements de la théorie linguistique de Louis Hjelmslev », in *Bulletin de la société linguistique de Paris*, 42, 1945.

لقائي بيامسليف. لا أعرف ما إذا كان بارت هو الذي قال لي إن عمله يعدُّ مُهماً أو ما إذا كنت أنا الذي قلت له ذلك. في هذه المرحلة، كنا نشتغل سوياً، وكنا نتبادل كل ما يبدو لنا مهماً، كل ما يسمح لنا بالاستمرار والتعلُّق أكثر بالعمل، وخوض مغامرة التحليل. لا يمكن التصديق إلى أي حدّ كان بلوغ ذلك عسيراً! لنأخذ، مثلاً، كتاب **نسق الموضة** لبارت[1]، الكتاب الذي لا نرغب في الحديث عنه الآن: إنه نتيجة عمل دام عشر سنوات، وأعيدت كتابته ثلاث مرات! كل مرة يصل فيها بارت بالنصّ، نقوم بفحصه سوياً، نعيد كتابته، وفي نهاية الأمر يعدُّ هذا الكتاب قمّة الفعل السيميائي عند بارت! لقد كان إنجازه في غاية الصعوبة! الآن، هذه النماذج التي اقترحنا قد انتشرت بشكلٍ واسع، غير أننا وقتذاك كنا نتساءل بقلق: من أين نبدأ؟ إلى أين نذهب؟ ماذا نقول؟

حينما قصدنا مارتيني[2]، الذي كان بارت يرغب في أن يشرف على أطروحته، طرح عليه بارت هذا السؤال: «بحسب تصوركم، ماهو المحل الأكثر دلالة في الموضة النسائية؟». بالتأكيد، بالنسبة إلى مارتيني، إنها السيقان. قصة السيقان هذه كانت منطلق برنامج بأكمله: كيف يمكن لموقف سيميوطيقي أن ينفصل عن الملاحظة؟ ثم قال بارت: «ولكن، ماذا يمكن أن أفعل بالساق، يتعلق الأمر بثلاث

---

(1) يندرج هذا الكتاب في سياق المشروع السيميائي لرولان بارت، يحلِّل فيه الموضة النسائية كما تصفها جرائد الموضة، وقد استلهم منهجية العمل من تصور دوسوسير للسيميولوجيا. انظر:
Barthes (Roland), *Système de la mode*, Seuil, Paris, 1967.

(2) أندري مارتيني.

مقولات مقوماتية ولا غير: بجورب أو من دونه، بخياطة أو من دونها، بكعب أو من دونه، هذا كل ما في الأمر. في حين أن الشال، هذا هو الجزء الخاص بالزينة وبالجسد الأنثوي، الذي يعدُّ أكثر تمفصلاً، كل شعرية الموضة تأخذ مكانها هنا وليس في السيقان». إقلاع السيميوطيقا يتأطر داخل وقائع مثل هذه. تتحدثون إلي عن مقال مارتيني الذي يمكن أن يكون قد أدّى إلى اكتشاف يامسليف داخل فرنسا، ولكننا كنّا لا نعرف مارتيني خلال تلك المرحلة! زد على ذلك إنه لم يقم بأي دور، وهذا شيء غريب في تطوير الفكر اللُّغوي والسيميوطيقي بفرنسا. كنا نعرف الفونولوجيا مباشرة من تروبتسكوي وياكبسون[1]، ولم نعرفها بواسطة مارتيني. أبدو وكأنني شديد اللهجة بالنسبة إليه، ولكن يتعلق الأمر، مع ذلك، بشكل من الفكر، غريب، إطلاقاً، بالنسبة إلى السيميوطيقا. لقد طرح له جون ديبوا السؤال الآتي: ماهو المثنى؟ وكانا على الشرفة، ولمحا راهبتين تذرعان الطريق: «هذا هو المثنى»، قال مارتيني! في أصل فكره، توجد هذه الواقعية الوضعية، وهي التي حالت، من جهة أخرى، دون تطور السيميوطيقا.

أخيراً، وهذا ما يعدُّ أكثر أهمية، هناك اكتشاف دوسوسير الذي قمت به بمعية بارت-سوسير، ثم ياكبسون، ليفي ستروس وبعد ذلك يامسليف. في كل الأحوال، يبدو واضحاً بالنسبة إلي أني عرفت يامسليف قبل قصة قناة السويس (1956)، مثل تاريخ للاعتلام

(1) رواد الاتجاه الاثناني في البنيوية. مكنت هذه المقولات الاثنانية غريماس، على المستوى النظري، من بناء البنيات الأولية للدلالة.

الذهني، لأني كنت في هذا الوقت في مصر. غير أنه بصيغة أخرى، ما يبدو لي حاسماً، بعد إدراج يامسليف في الإبستيمية الفرنسية، هو محاضراتنا، محاضرات بارت ومحاضراتي، سنة 1964، في معهد بوانكري، أمام باحثين في الرياضيات. لقد كانت محاضراتنا تنبني على تدريس يامسليف. هذا ما يمكن الإشارة إليه بخصوص انطلاق الفكر اللغوي للِّساني الدنماركي في فرنسا. ليس تاريخ قراءته من قبل هذا أو ذاك هو الأجدر بالاهتمام.

لنتناول الآن الأسئلة شبه المحيرة التي طرحها لي زميلي كريزنسكي.

السؤال الأول: «**كيف ندرس السيميوطيقا عامة، وبالتدقيق داخل سياق ثقافي مثل سياق أميركا الشمالية؟**».

أعتقد أني لست الأكثر كفاءة لأن أعطي مثل هذا النوع من النصائح. فعلاً، لقد تبيّن لي ما لا يجب القيام به، وليس ما يجب القيام به في الولايات المتحدة. لقد بدأت تدريسي في جامعة باركلي بإعطاء لمحة نظرية حول طريقة معالجة البنيات السردية. لحسن الحظ، تحلّى الطلبة بكثير من الصبر. لقد أصغوا إلي برزانة طوال شهر بأكمله، دون أن يفهموا معنى كل هذا؛ وبعد ذلك، أخرجت **عقلة الإصبع**[1]. عمّت الفرحة كل الوجوه! «لماذا لم تبدأ بـ **عقلة**

(1) **عقلة الإصبع** (*Le Petit Poucet*)، حكاية تنتمي إلى المتن الشفاهي الفرنسي، جمعها شارل بيرو سنة 1697. تحكي قصة الحطاب الذي قرر رفقة زوجته إبعاد أطفالهم إلى الغابة بسبب قلة ذات اليد. ويعدُّ عقلة الإصبع بطل هذه الحكاية.

Perrault (Charles), *Le Petit Poucet*, Claude Barbin, 1697.

الإصبع؟»، هكذا طرحوا علي السؤال جميعاً. هناك، إذاً، نوع من الذهنية الأنجلو-سكسونية التي تنطلق من الملموس وليس من الأبنية النظرية. في سذاجتي القارية واللاتينية، اعتقدت أنه من الضروري، أولاً، إعطاء إطار التفكير لنعرف لاحقاً أين نضع عقلة الإصبع الصغير. هذا شيء لا يجب القيام به! ثانياً، ماذا ينجح في فرنسا في مجال الأدب؟ يبدو أنه في الإعداديات، انطلاقاً من القسم السادس، النجاح الباهر هو المربع السيميائي! فصدور التلاميذ تنشرح بسرعة حين تفسِّر لهم قصيدة شعرية أو نصّاً بالاستناد إلى المربع، بخاصة في الأقسام العلمية؛ أما تلاميذ التخصص الأدبي، فإن أذهانهم قد امتلأت من قبل بالمفاهيم المعيارية مثل مفهوم «الأدبية»! في حين لمّا تكون أذهانهم صفحة بيضاء، فإن المربع يثير فضولهم. هل يمكن للمربع أن يكون إجرائياً بالنسبة إلى الأميركيين؟ لست متأكداً من ذلك: يمكن ربما لآلة أخرى مثل البرنامج السردي أن تكون أكثر نجاعة؛ بعامل الحالة الذي يتوفر عليه، بعامل الفعل وموضوع القيمة؛ تضعون القيم في مكانها، في الموضوع، ثم تركّبون الفعل بصفته صيرورة؛ إنها آلية في غاية البساطة، غير أنها عملية. لا توجد لدي تجربة كبيرة لأسدي لكم النصح أكثر من هذا.

أما السؤال الثاني، **فيتمحور حول العلائق بين تطور اللّسانيات وتطور السيميوطيقا**.

لقد شدّدت من قبل على هذا المظهر. رغم أن اللّسانيين الآن يرفضونني ولا يعدّونني واحداً من بينهم، فأنا أعدُّ نفسي لسانياً في أصولي وفي الطريقة التي أقود بها فكري. أعتقد أنني حاولت دائماً أن أدرج في الحسبان تاريخ اللّسانيات في كليته، أساساً بصفته فلسفة

للُّغة، وبصفته عبوراً لهذه الفلسفة نحو علم اللُّغة. هناك شيء بدا لي دائماً خارقاً، إنها هذه المرحلة العظيمة من بداية القرن التاسع عشر، حينما كانت «الآراء» المختلفة، كما كان يقول ديكارت متحدثاً عن عصره، قد تحولت إلى فعل علمي. ماذا وقع وكيف؟ هذا مشكل، إشكال نظري محض، حاولت أن أنقله إلى السيميوطيقا: كيف نفعل من أجل أن تتقدم السيميوطيقا، من أجل أن تتطور مثل اللِّسانيات، التي لم تعد في حاجة اليوم إلى فلاسفة لتتطور. أتكلم عن «الفلاسفة» بالمفهوم القدحي للكلمة، فقد فهمتم قصدي، الذين ينتجون الدوكسا، وليس الفعل. لقد تأثرت، من هذا المنظور، بمجموعة من الحوادث. لقد فسّر لي لساني أميركي مرة في ندوة كيف أن النحاة الجدد للقرن التاسع عشر كانوا، في نهاية الأمر، أكثر ذكاء مما كانوا عليه في الظاهر: كل ما يقولونه يبدو تافهاً، غير أن كل ما كانوا يفعلونه كان ذكياً.

أصبحت ملزماً بالتفكير، إذاً، في وجود نوع من الإبستيمية الضمنية، المختلفة كثيراً عن الآراء التي يمكن أن يعبِّر عنها هؤلاء النحاة.

فبمسايرة هذا المبدأ، حاولت أن أبني تاريخ اللِّسانيات. مثلاً، ما يقوله دوسوسير حول السيميولوجيا يعدُّ مفيداً بالتأكيد، غير أنه يدخل في باب النوادر، يتعلق الأمر بجملتين، لا يمكن أن ننهض بالسيميولوجيا بهذا، كما لا يمكن أن نعتمد عليها في السيميوطيقا أيضاً. إن ما يعدُّ أساسياً في مشروع دوسوسير هو عمله: **المبحث**[1]،

(1) Barthes (Roland), *Mythologies*, Seuil, coll. « Points », Paris, 1975.

والطريقة التي لخّص بها كل القرن التاسع عشر في الاتجاه اللُّغوي المقارن: إنها فكرته القائمة على معالجة نسق بصفته مجموعة من الترابطات. إنها السيميوطيقا بالفعل.

إن سوسير الفذّ يوجد هنا! وبعد ذلك يمكن أن نمزج بـ: دال/ مدلول، ولكن بهذا اللعب يمكن أن نخلق إمكانية كثير من الانحرافات. سوسير نفسه بدأ بـ: «شجرة»، بصفتها صورة سيكولوجية، «شجرة» بصفتها مفهوماً: إنه المزاح - لا يمكن بهذا أن نقوم بالسيميوطيقا. في سياق السلالة السوسيرية، يُعتبر كتاب **أساطير**[1] أفضل نتيجة. لقد طور فيه بارت سيميوطيقا إيحائية وليس بسيميوطيقا تقريرية تعض على الواقع. هذا جيد، فقط لا يمكن لنا أن نبدأ بالإيحاءات.

إن تطور المفاهيم الأساسية مثل مفهوم التوليدية قد تغذّى دائماً من علاقات التماثل أو التقابل التي توجد بين الاتجاهات الكبرى للّسانيات. لنأخذ مشكل التحديد. تلاحظون أن تحديداً ناتجاً عن التحليل المقوماتي أو عن التقليد المنطقي، لا يذهب بالتحليل بعيداً، لأن هناك عناصر تظلُّ غير محدّدة. على أنه توجد طريقة أخرى للتحديد: التحديد بواسطة صيغ الإنتاج؛ وهو أن نعطي، مثلاً، تحديداً لوحدة معجمية بواسطة الطريقة التي تكونت بها مثل مسار معيّن. بالنسبة إلي، كان هذا نموذجاً يوجد على الأهمية نفسها مقارنة مع توليدية تشومسكي، وربما أكثر. يتعلق الأمر بتناول

---

(1) *Mémoire sur le système primitif des voyelles dans les langues indo-européennes*, Leipzig, 1879.

التحديد بواسطة الكيف وليس بما هو كيف؟ بالتدقيق، نتيجة هذه المسارات، مسار العامل أو مسارات توليد المعنى. وهكذا تظهر معايير العلمية التي تستجيب لمستلزمات «الكيف». لقد ناقشنا من جهة أخرى تحديد الفعل، مؤخراً. لقد خلصنا بخصوص هذه المسألة أخيراً إلى القول إنه بواسطة الشروط التي يكون فيها الفعل ممكناً، فقط، نصل إلى قول شيء ما حول الفعل، وليس بمحاولة تحديد جوهر وطبيعة الفعل. بهذه الطريقة يصبح الأمر مستحيلاً.

سؤال أخير: ويهمّ التوازن بين النظرية والتطبيق.

هناك أيضاً أشياء كثيرة علّمتها لي الفيلولوجيا: لا يجب الجزم بأي شيء، بطريقة قطعية إذا أمكن أن نظل على المستوى الاحتمالي أو الافتراضي: وبعبارة أخرى، إنه احترام اليقينيات. حين أتحدث عن الافتراضي-الاستنباطي، فإن «الافتراضي» يبدو لي المظهر الجوهري. الاستنباط أو التوليد، هذا ما يأخذ مجراه بشكلٍ سلس. غير أن الأهم هو طريقة إنجاز المقاربة العلمية، هو صياغة الفرضيات ثم تقويم صلابتها. هذه الفرضيات لا يمكن أن تصاغ إلا انطلاقاً من الممارسة النصية أو الخطابية، وفي هذه النقطة بالذات تطرح مسألة بناء النماذج ومسألة تدخّل نوع من الاستنباطية، لأنه يجب بناء النماذج بطريقة لا تكون فيها الظاهرة المدروسة سوى عنصر من بين عناصر كل عالٍ سُلَّمياً. وهكذا يصبح من الممكن بناء، بالنسبة إلى كل فضاء محدّد، نموذج يستشرف المتغيرات الممكنة وكذلك التمفصلات الأعلى سُلَّمياً، والتي تُعد موضوع سؤال. هكذا، أتصور الاستنباطية. وهكذا، يمكن أن نضع الترتيب داخل سيرورة كلية، كما هو الأمر بالنسبة إلى المسار التوليدي،

مثلاً، ولكنه نوع من البريكولاج، هذا ما يسمح بوضع الأشياء في محلها المناسب لتكون الرؤية أكثر وضوحاً، على أن هذا ليس هو المهم. إن ما يعدُّ جوهرياً هو المقاربة العلمية، هو القدرة على إنتاج نموذج لا يكون تعميماً بالمعنى القدحي للكلمة، ولكنه يحلِّل اللغة أخذاً بعين الاعتبار ملاءمة المستويات. أعتقد بالفعل أن المستويات هي التي تضمن شروط العلمية، شروط إبداع معرفة مؤكدة: هناك، أولاً، أولوية ملاءمة المستويات، ولاحقاً، بناء النماذج داخل هذه «الحلوى المورقة» التي ينطبق عليها، تماماً، مبدأ الجزء من أجل الكل.

الآن، سأتناول سؤال موريزيو دل نينو[1] **الذي يتمحور حول دور بروب وليفي ستروس في سيرورة البناء النظري.**

بالنسبة إلى هذا الموضوع تُعد الأمور معروفة جداً. ما هي أوليات إسهام بروب وليفي ستروس؟ يجب أن نلاحظ، بادئ ذي بدء، أن إخبارنا بوجود ترجمة إنجليزية لمورفولوجيا بروب من لدن ليفي ستروس، جعله يمثل مصدر تفكيرنا حول السردية. أحيل هنا، طبعاً، على النقد الذي أنجزه ليفي ستروس حول المورفولوجيا في

---

(1) موريزيو دل نينو (Maurizio Del Ninno).
يتعلق الأمر هنا بكتاب فلاديمير بروب: **مورفولوجيا الحكاية**، حلَّل فيه بروب الحكاية الشعبية الروسية. ومن خلال مقاربة مورفولوجية، حدّد ثوابت الحكاية، وهي الوظائف. شكلت هذه الدراسات عنصراً من عناصر الإبدال العلمي للسيميائيات السردية.
Propp (Vladimir), *Morphologie du conte*, op. cit.

مقاله: «البنية والشكل»[1]. بالنسبة إلى ليفي ستروس، قدّم بروب منظومة مركّبة لها ميزة التحقق والوجود، غير أنها منظومة رديئة! يعدُّ التحليل الذي يقوم به بروب للظواهر الخطابية - أشرح هنا كلام ليفي ستروس - في غاية الوضوح؛ إننا نفهم كل شيء، غير أن ذلك لا معنى له. في نهاية الأمر، إن نقد الإثنولوجي هو الذي يمنح معنى لعمل بروب. غير أنه يبقى في أن مؤلف الشكلاني الروسي يلاحظ وجود مستويي العمق اللذين يقوم عليهما النحو السيميائي-السردي، المستوى العميق والسطحي. كان يجب، من الأفضل، التأليف بين الاثنين. وهذا ما يصطلح عليه باري بالبريكولاج، بالمعنى النبيل للكلمة بطبيعة الحال، وهذا تقريباً هو العمل اللُّغوي الذي أزعم الانتساب إليه.

بعد ذلك، هناك سؤال سولومون ماركيس[2] **حول دور الرياضيات في النظرية والتطبيق السيميوطيقيين.**

سأجيب باقتضاب. إن طموحات السيميوطيقا في هذا المجال تُعد متواضعة. فهي لا تستشرف سوى بناء نظرية مقولية مفهومية. ذلك أننا نشتغل بمواد خام، تضمن، مع ذلك، المظهر الإجرائي للنظرية.

من أجل الذهاب بعيداً، ولتأسيس هذه النظرية حقيقة، هذا شيء آخر! إلى حدّ الآن، إن الأساس المفهومي الذي أنتسب إليه

---

(1) *Cahiers de l'Institut de science économique appliquée, I.S.E.A., Paris, 1960.*

(2) سولومون ماركيس (Solomon Marcus).

هو، أساساً، التماسك الداخلي بصفته معياراً للحقيقة، وليس المطابقة للمواضيع.

ولكن، ماذا تبغون؟ إن اللّساني يكون دائماً أعزل أمام المناطقة ويقينياتهم؟ لقد كنت دائماً أخشى المناطقة، لقد خفت دائماً من أن يدينوننا ويعتبروننا تافهين! إذا كانت هناك طريقة لأن نكون على يقين من الأشياء، فإنها بالذات طريقة المناطقة.

لقد أسندت مكانة خاصة للمنطق، كما لو كان وحده القادر على الصورنة، على إعطاء بنية نهائية للنظرية، مع إسقاط هذه النتيجة النهائية داخل مستقبل بعيد، لأنني لا أرى كيف نستطيع أن نبلغه حالياً، يجب أولاً أن يكتمل الوصف المفهومي والمقولي ليمكن الانتقال، لاحقاً، إلى الصورنة. وهنا كان مجيئ بتيتو[1]، وكل شيء أصبح واضحاً. لقد اقترح حلاً آخر، إمكانية الحصول على يقينيات، إمكانية تأسيس بالضرورة، كما يعبّر عن ذلك جيداً، فعل ذو طبيعة مفهومية خالصة. غير أن هذا لم يعد يعنينا. ولحسن الحظ، هناك مجال يكون فيه العمل المشترك الحقيقي ممكناً، دون أن يكون علي، أنا، أن أحرّك ساكناً، لأنني لست كفؤاً في الرياضيات. وأعتقد أن المثلث له وجود واقعي، وأن صيغة الوجود الرياضي توجد، يمكن

---

(1) استثمر جون بتيتو النظرة.الكارثية عند روني توم لقراءة نموذج غريماس. ترمي النظرية الكارثية، انطلاقاً من اعتبارات رياضية، إلى فهم الاستقرار والتحول للأشكال. كان هدف بتيتو هو صياغة مفاهيم السيميوطيقا صياغةً هندسية خالصة، لذلك سيعتمد مفهوم الفرضية الموقعية (L'hypothèse localiste) لإنجاز هذا المبتغى النظري. نظر:
Petitot (Jean), *Morphogenèse du sens*, op. cit., p. 138.

أن يمحَّص وأن يحدَّد، لهذا أكنّ احتراماً كبيراً للرياضيات، على الرغم من أنني ملزم بالاعتراف بلا كفاءتي. بالنسبة إلى المنطق، الأمر مختلف، إنه نوع من الشعور بالضيق. لكم أصبحت عاطفياً! أنتقل، إذاً، إلى المظهر الآخر للسؤال: «تمثيل المعنى هل يعدُّ ممكناً من دون وهم نسقي؟» غير أنني لا أعرف ما هو النسقي بالمعنى الرياضي.

بتقديم البنية الأولية على الشكل التشاكلي للمربع، قمت بتبسيط الفرضية، هذا أكيد. غير أنني حدّدت العناصر. يوجد هنا تقدّم معيّن فيما يتعلق بفضاء القيم الأصلية، المنظمة منطقياً، لأنه هنا، فعلياً، يتحدّد موقع المربع.

تمدّدون التساؤل بطرح السؤال: «هل ترون فرصة المواجهة بالمفاهيم البورسية وتطوراتها الأخيرة؟[1]». في نظري، يتعلق الأمر بعمل غامض جداً، محدّد تاريخياً، ويتوزع في كل المجالات. فيما يتعلق بضرورة القيام بمواجهة مع أفكار بيرس، لا أعتقد أنه يمكن، ومن دون خطورة، إدراج هذه المفاهيم في النظرية السيميوطيقية التي ننجزها. من جهة أخرى، يجب القول إنه على المستوى المفهومي الذي هو مجال عملنا، نتوفر على أعمال كثيرة تنتظر الإنجاز. هناك علب سوداء في كل الأماكن، هذه البقع تستدعي أعمالاً كثيرة. على

(1) يشير السؤال إلى السيميائي الأميركي شارلز ساندرز بيرس، وبخاصة بعد ترجمة عمله إلى الفرنسية: **كتابات حول الدليل**، وانتشار المفاهيم التي يقترحها مثل: الممثل، الموضوع، المؤوّل، ركائز الدليل البورسي. انظر:
Peirce (Charles S.), *Écrits sur le signe*, (rassemblés, traduits et commentés par Gérard Deledalle), Seuil, Paris, 1978.

الرغم من أن البعض يدّعي أننا نمارس ديكتاتورية الفكر، أعتقد أنه من الصعب جداً توجيه أعمال الباحثين في هذا الاتجاه أو في هذا الاتجاه الآخر، في الواقع إن البحث يوجّه نفسه بنفسه. زلبربرغ[1] لخّص جيداً فكري في هذا الموضوع، وذلك بالقول: «إنني القائد، إذاً يجب أن أُتبع!». عند بارت، كان الأمر في غاية البداهة، ولكن يجب أن أعترف، أنا أيضاً، بأنني لا يمكن أن أفعل ما أريد. منذ عشرين سنة خلت، حاولت أن أوجّه البحث حول اللغة الإشارية دون نجاح! على مدى عشر سنوات، لم يتكلم أحد حول الموضوع، بعد ذلك، وبالصدفة، حان الوقت الذي ولد فيه الفضول بالنسبة إلى اللُّغة الإشارية. يمكن أن أقدم عدّة أمثلة لهذه الظاهرة. فريق الباحثين، بصفته عاملاً جماعياً، يتجاوز في نهاية الأمر الباحث الفردي، كما هو الأمر بالنسبة إلى إبستيمية مرحلة تتجاوز هذا الأستاذ أو ذاك. حينما يتعلق الأمر، مثلاً، بتقييم دور الماركسية، لا يمكن أن لا نتكلم عن المرحلة التي تلت حرب التحرير. بالنسبة إلينا، جميعاً، سواء كنا ضدّه أو معه، فإن الأمر يتعلق بنسق مرجعي نتموضع من خلاله. لقد كان إطاراً إبستيمولوجياً لا يمكن تفاديه إطلاقاً. هل هناك أفكار دقيقة لماركس تتلاقى داخل السيميوطيقا؟ ربما، ولكن في إطار هذا الديالكتيك الإبستيمي، أي داخل إبستيمية مرحلة معيّنة. لقد أنهيت القسم الشخصي، الاستملاحي من الأسئلة.

لنمرّ الآن إلى الأشياء الأكثر جدية، إلى الأسئلة التي تتجاوزني شيئاً ما. سأبدأ بأسئلة هرمان باري:

---

(1) كلود زلبربرغ (Claude Zilberberg).

«علم الدلالة البنيوي لم يكن ممكناً من دون مفهوم الإدراك»

الإحالة تتم، إذاً، إلى ميرلو-بونتي. سؤالان فرعيان في هذا الصدد:

أ. لماذا أبعدتم البُعد التزميني للإدراك، الذي يعدُّ حاضراً بقوة عند ميرلو-بونتي؟

ب. السيميوطيقا كما تفهمونها الآن، هل يمكن أن تعتمد الإدراك أساساً لها، أو أنها تُعد دائماً مقيَّدة بنقطة الانطلاق؟

بطرح هذا السؤال، تحيلون على كتاب **علامات**، أعترف أنني لم أقرأ كتاب **علامات**. لقد ظهر الكتاب في لحظة كانت فيها السيميوطيقا قد بدأت تشقّ طريقها، وفي وقت كان فيه الاهتمام الإخباري قد تقلّص تجاه ميرلو-بونتي. ما احتفظت به أساساً من عمله هو النموذج التصويري. أتيحت لي في أغلب الأحيان فرصة الحديث عن أهمية النماذج التصويرية في بناء نظريات اللُّغة. خذ مثلاً لعبة الشطرنج. تحضر عند كل كبار المفكرين مثل هوسرل، سوسير، فيتكنشتاين: لقد قورنت اللُّغة، دائماً، عند هؤلاء بلعبة الشطرنج. بالنسبة إلي، النموذج التصويري الذي قاد عملي وجدته في الكتاب الأول عند ميرلو-بونتي: إنه المكعب. ما هو المكعب؟ إنه بتحويل نحو هندسة الصورة، شمع العسل عند ديكارت، فيما أعتقد. يمكن أن تنظر من كل الجوانب، إنه في كل مرة مظهر مختلف، في حين أن المكعب، في حدّ ذاته، يظلُّ هو نفسه بشكلٍ أزلي. هذا تحديد جيد للخطاب بصفته موضوعاً مستقلاً، «خارج النص، لا يوجد هناك خلاص!». إنه تحديد يسمح لنا بالحديث عن الخطاب في استقلال عن المتغيرات التي يكونها الباث والمتلقي.

هناك دائماً النصّ، مثل المكعب؛ هناك البنية النصية أو السردية، مثل ثابت يمكن أن تتأسس حوله تحاليلنا. لا يتعلق الأمر باختزال هذا الثابت، كما نفعله، سواء بالنسبة إلى ذات التلفظ، أو للمتلفظ له، كما هو الأمر بالنسبة إلى استطيقا ياوس[1] مثلاً: كل شيء لا يعود إلى المنتج أو إلى القارئ. لا، بين الاثنين هناك الموضوع. يمكن أن نحجب دوره، ولكن هذا لا يمنع أن المواضيع السيميوطيقية توجد: هذه هي نقطة الانطلاق التي ألزمتني بأن أحدّد مفهوم الوجود السيميوطيقي، قليلاً كما هو واقع المواضيع الرياضية، أعتقد بأن السيميوطيقا يمكن أن تتخيل وجود هذه النظائر، هذه الأبنية، مواضيع يمكن أن تحدّد سيميوطيقياً، ويسمح نمط وجودها، بطريقة أخرى، بتجاوز مشكل الكينونة، المشاكل الأنطولوجية. إنه مهم جداً.

لنعد الآن إلى مشكل دور الإدراك في أساسيات السيميوطيقا. بغرابة كبيرة، سؤال باري يتقاطع مع سؤال ريبراشت الذي ينصُب لي شركاً سارترياً. في **الوجود والعدم**، سارتر يصادر على اللاحقية الأنطولوجية-الصورية للعدم في علاقته بالوجود، لأن العدم يفترض الوجود لنفيه، وهو ما يظهر شيئاً بديهياً. يتساءل ريبراشت، إذاً، حول النظام الذي أحدّده للنفي، يتساءل كيف أشتغل بهذا المفهوم المشوش. سأحاول الجمع بين هذين السؤالين، لأقدِّم جواباً مكتملاً. أقول، أولاً، إننا بهذه الأسئلة نتناول الفضاء التأسيسي

---

(1) Jauss (H. R.), *Pour une esthétique de la réception*, trad. Claude Maillard, Gallimard, Paris, 1978.

للبحث عن المعنى، البنية الأولية للدلالة وتمثيلها على شكل مربع.

إن تمفصل هذا الفضاء هو المشكل الذي أقلقني أكثر خلال العشرين سنة الأخيرة. اقترحت، على الأقل، أربع صياغات متتالية لتحديدات المربع. زد على ذلك، إن هذا المربع ليس من اختراعي، ولكن من اختراع شابرول[1].

إلى حدّ الآن، لا أعرف ماذا أفعل بـ«المربع»، كان الأمر مثل النثر بالنسبة إلى البورجوازي النبيل! بعض عناصر التفكير أتتني من التقليد اللِّساني، هذا التقليد الذي يعدُّ نتيجة لقرن ونصف من العمل، نهلت منه لأجد فيه من جديد علائق التناقض والتضاد، نمطين من العلاقات الأساسية. هذا كل ما تمكنت اللِّسانيات من اكتشافه وممارسته لمدة قرن ونصف.

أما فيما يخص الصياغة الأخيرة لأساسيات المربع، فإنها، بالأحرى، من نمط فلسفي وتتقاطع مع مشكل الحُكم (Jugement). الحُكم السيميوطيقي، وأساساً الحكم الإبستيمي، نؤطره داخل مجال الجزاء، وهو ما يفترض مرسلاً، فاعلاً إبستيمياً يُنجز حكماً وقضية، ليست فقط بمعنى القول، ولكن أيضاً بمعنى شيء نقترحه، نعرضه للحكم. فعل الحكم هذا الذي ينصبُّ على ملفوظ سبق وأن تمّت صياغته جهياً، يتعلق باختيار جهات، ولكنه يفرض، أيضاً، الذات التي تضطلع بالحكم، التي يجب أن تكون قادرة جهياً. استطاعته هي ضرورة، استطاعة قدرة وإرادة، وهذا يشكل وحدة عاملية جدّ قوية.

---

(1) Chabrol (Claude), « Structures intellectuelles », in *Information sur les sciences sociales*, VI, 5, 1967.

هناك أيضاً أشخاص غير مؤهلين للحكم معرفياً، وهناك سذج، الكلبيون، المتشككون... إلخ. ففي إطار الحكم بصفته فعلاً وليس بصفته جزاء، يمكن أن نؤطر السؤال اللازمني الآتي: كيف يكون فعل الحكم الأول الذي سيصبح إشارة أساسية لظهور المعنى؟ إننا هنا في قلب مسألة الإدراك. طريقتي في تصور الأشياء، طبعاً، هي أن «الاختلاف» كما هو عند دريدا[1] يتأطر داخل الإدراك، بشكلٍ سابق على الحكم. الإدراك هو أن نتموضع أمام عالم مخطط بالألوان. حين يفتح الطفل عينيه أمام العالم خلال الأسبوعين الأوليين من حياته، يرى خليطاً من الألوان والأشكال غير المحدّدة: على هذا الشكل يتقدم العالم أمامه. هنا يظهر ما أُسمّيه المعنى السلبي، أي ظلال الاختلافات والتشابهات، اللّوحات أو البقع، التي في تموضعها على الفضاءات المتشاكلة (ليكون هناك مجال للمقارنة)، تؤكد نوعاً من الاختلاف... تؤكد بـ«أنه ليس الشيء نفسه».

أقول، بتبسيط، إن دريدا يظل على مستوى الإدراك وعلى مستوى نفي معنى العالم. بالنسبة إلي، الإشارة التأسيسية، الحكم التأسيسي، هو نفي هذه العناصر الاختلافية، عناصر نافية بدورها. لنا هنا نوع من الوجود الذي لا يعدُّ أي شيء، نوع من الوجود في حالة تشكل. فعل الحكم هو نفي السلبي الذي يظهر الإيجابية. من

---

(1) الفيلسوف الفرنسي (1930-2004) صاحب نظرية التفكيكية، التي ترمي إلى إعادة النظر في عدد من التقابلات في حقول معرفية متعددة.
انظر:
Derrida (Jacques), *L'écriture et la différence*, Seuil, Paris, 1967.

هذا المنظور، مفهوم العلاقة يمكن أن يفهم بصفته ظاهرة إيجابية وليس ظاهرة سلبية. إنه مشكل ضخم، لكن كيف نستطيع تصور سيميوطيقا معيّنة بصفتها نسقاً من العلاقات إذا لم نتوصل إلى تأسيس مفهوم العلاقة؟ بالتدقيق، إن العنصر النافي هو الذي يسمح بإظهار الإيجابية. إني لا أؤول، إذاً، التناقض مثل علاقة حرمانية. بالنسبة إلي، إنه التضاد، إنه الجمع للعنصر س1، هو الذي يُظهِر العنصر المناقض. إن بنية التناقض ليست، إذاً، بنية من نوع: حضور/ غياب، إنه، بالعكس، الغياب الذي يُظهِر الحضور: لا-س1 هو العنصر الأول الإيجابي. ظاهرة غريبة، ظهور لا-س1 على محور ما تحت التضاد بصفته عنصراً أولياً إيجابياً، يقسم علاقة التناقض إلى قسمين، بمعنى أنه يدمج المنقطع العلائقي ما دام العنصر «الخاضع للقصف»، س1، يتعرض للزوال. علاقة التناقض تصبح، إذاً، مجزّأة إلى جزئين، إنها تؤسِّس في الوقت نفسه الإيجابية والمنقطع. بعد ذلك، يمكن أن نتجول داخل فضاء المربع، لنتمكن من أن نؤكد إيجابياً عناصر محور التضاد، غير أنها تعد سلفاً، إن صحّ القول، الجيل الثاني. على كل حال، ليس بهذا المحور يمكن أن نضع أولاً البنية الأولية كما فعلتُ ذلك في علم الدلالة البنيوي. لست بفيلسوف، ولكن يتعلق الأمر بإشكالات، مثل هذا الذي كان يجب أن أحل والذي واجهته بطريقتي. نرى بخصوص هذا الموضوع كيف أن العلائقية التي تستوعب العالم بصفته شبكة علائقية، لا تكون ممكنة إلا بتجاوز الإدراك وباعتبار الوجود السيميوطيقي مثل مثالية خالصة.

ريبراشت يمدّد سؤاله: «هل تستطيعون إعطاءنا تحديدكم

للفعل؟» . يعتبر التحديد الساذج الذي اقترحت مبتذلاً: الفعل هو ما يؤدّي إلى الكينونة. «ألا يوجد - يتساءل - تحديد أكثر إلزاماً؟». لا نستطيع أن نحدّد الفعل في جوهره. نستطيع فقط تخيل الشروط الضرورية والكافية لظهور هذا الحكم، سواء أكان إدراكياً أو بدنياً، الذي هو الفعل. «ما يؤدّي إلى الكينونة» يحدّد الفعل بصفته مجموعة الشروط الجهية السابقة التي تسمح بالفعل، ولكن ليس بصفته فعلاً في حدّ ذاته. هذا يبدو ساذجاً، ولكن في الإرث الفلسفي، تجدون أن الفعل يحدَّد بواسطة القصدية. لدي انطباع، دون أن أكون طموحاً إلى درجة كبيرة، بأن الاستطاعة الجهية تُعد المعادل للقصدية، وأنها مع ذلك تُعد أكثر إتقاناً من هذا. بعبارة أخرى، إن تمفصل الجهات يعدُّ أكثر مردودية، أكثر إجرائية من القصدية. باري، بهذه المناسبة، قدّم الاعتراض الآتي: في نهاية الأمر، إذا كان الفعل يعدُّ «شيئاً» يفضي إلى الكينونة، بمعنى أنه يمثل تحولاً من حالة إلى حالة أخرى، ألا توجد وسيلة لإغناء مفهوم الفعل، مفهوم التحويل، لأننا بعبارة أخرى، نولي أهمية خاصة لمفهوم الحالة. المحتوى الدلالي، طبعاً، يكون مستثمراً في الحالات، في حين أن التحويل يصبح فعلاً خالصاً فارغاً من أية دلالة. لقد أجبت على هذا النمط من الاعتراض بإعطاء نموذج أبنية الأنحاء الاصطناعية. نرى في هذا المجال أن هناك علاقة غريبة بين المورفولوجيا، الصنافة والتركيب. هناك مئات اللغات الاصطناعية، يمكن أن تبنوا لغات من نوع لا تركيبي، ولكن في هذه الحالة «نعبّئ» المورفولوجيا، نضاعف المقولات التصنيفية ونستعمل عدداً قليلاً من العلاقات التركيبية بإدماج مجموعة حروف الجر، وبتأويلها

منطقياً، وفي هذه الحالة إن الحالات تحدَّد بشكلٍ فقير، إنه مشكل تيبولوجيا نحوية. الاختيار الذي قمت به كان هو اختيار تقديم التحول بصفته حكماً، بصفته فعلاً خالصاً.

هذا ما يسمح بالتمييز بين شيئين: الفعل بصفته تحولاً، والاتصال بصفته وظيفة مكونة للحالات، بمعنى أننا نقابل بين الفعل والكينونة. لا تنسوا أن الاتصالات والتحويلات هي العلائق التي نحن في حاجة إليها على مستوى معيّن من العمق لبناء التركيب.

أنتقل إلى جون بتيتو: «**كيف ترون نقد بول ريكور[1] الذي أثار الانتباه إلى التركيبة المنطقية-التطبيقية للتركيب الذي أنجزتموه؟ التحويل يحول مركّبياً العمليات المنطقية العميقة (من المفترض أنها مساوية لتمفصل المورفولوجيا التصنيفية) إلى فعل تركيبي مؤنسن للمحكي؟**». على المستوى العميق، لدينا مفهوم التحول الذي يستوضح كل فعل وكل تغيير. على مستوى أكثر سطحية، التحول ينتقل إلى فعل، والفعل يعدُّ شيئاً آخر: لا يعدُّ حكماً خالصاً، ولكن يعدُّ علاقة تعدية بين الذات والموضوع. مفهوم التعدية يجعلنا في حاجة إلى تحويل، نتصوره مثل زيادة في المعنى وإعادة صياغة التركيب، على مستوى آخر. التعدية هي مفهوم جدّ مهم مهما كانت التسمية التي نعطيها إياه، مقصدية، توجيه منطقي... إلخ. إنه شرط تأسيس العلائق بين الذات والمحمول:

---

(1) Ricœur (Paul), « La grammaire narrative de Greimas », in *Actes Sémiotiques-Documents*, II, 15, 1980.

من دون هذا لا يمكن، في المنطق، تمييز الواحد من الآخر. لذلك أنشأت مستوى، فضاء للتعدية، يسمح بتوضيح، على مستوى السطح، مفهوم التحول.

استأنف قراءة سؤال بتيتو الذي أثار مسألة نقد ريكور: «التساوي بين التركيب العميق المنطقي-المفهومي والتركيب المؤنسن يتحقق بواسطة مفهوم الفعل التركيبي المنسجم، في الوقت نفسه، مع العمليات التركيبية ومع الفعل العادي المسنن إلى إرسالية. والحال، أن استبدال الفعل بكل المحمولات الدالة على الفعل لا يعني تحويل هذه الأخيرة إلى فعل تركيبي. لا يمكن أن نُسمّي، من دون لبس، فعلاً تركيبياً، الفعل العادي المسنن إلى إرسالية». إن ريكور يطرح، إذاً، مشكل علاقة التساوي بين، من جهة، الفعل التركيبي، الذي يعيد صياغة العمليات التركيبية إلى لغة مؤنسنة، ومن جهة أخرى، الفعل العام الذي يعدُّ المفهوم الشكلي الذي نستعيض به عن كل محمولات الفعل. ما غاب عن ريكور هو أننا، ونحن نصعد مستويات التحويل، بالذهاب من العمق نحو السطح، هناك عنصر ثالث هو الصيرورة. إذا نقل التحول إلى فعل، الذي يعدُّ فعل تعدية، فإن الفعل، من جانبه، بالانتقال إلى المستوى الخطابي يتحول إلى صيرورة. وموضوع اللِّسانيين هو دراسة الصيرورات وليس دراسة الفعل. الصيرورة هي، إذاً، فعل عادي مسنن. طبعاً، يمكن أن نقول جيداً إننا نأخذ كل أفعال الحركة ونعطي تسمية مشتركة لهذا الصنف من المواضيع والقول إن كل هذا هو الفعل: هكذا فهم ريكور الموضوع، في حين أنه بالنسبة إلي، الصيرورة هي شيء آخر: إنها فعل محوَّل وخاضع للظرفية.

إنه يشمل المكونات الثلاثة المحددة للتلفظ: التزمين، التفضية وتأسيس الفواعل. لا ننسى أن الجملة البسيطة، في اللِّسانيات، تُعد محدّدة بالزمن، الفضاء وبحضور فاعل، إنه الحدّ الأدنى الضروري من أجل تحديد الملفوظ القاعدي. إذاً! هذه هي الصيرورة. دائماً في اللِّسانيات التقليدية، نميز بين الصيرورة والحالات: إن هذا التمييز هو المحلل على المستوى الخطابي للسطح حين نتحدث عن أفعال الحركة. لكن، بطبيعة الحال، مثل صيرورة يجب أن يكون الفعل خاضعاً للظرفية. على هذا المستوى، يمكن أن نقود دراسة الظرفية لسانياً (الحروف، اللواحق، الجذور). هكذا نجد أفعال الحركة التي يمكن أن نصنفها بحسب أنواع الظرفيات: مثلاً، هناك صيرورات درامية، صيرورة شروعية، معبّر عنها بجذور وليس فقط بلواحق. هذا هو فضاء تفكير اللِّسانيين، الزمن الظرفي. ترون أننا حين ندمج هذا البُعد الجديد للخطاب، بُعد الصيرورات المتحققة، تنتظم الأشياء في مواقعها. بعبارة أخرى، إننا في حاجة، أولاً، إلى فعل تعدية، وبعد ذلك، أثناء الاغتناء التوليدي، نجد الفعل المزمن، المؤطر فضائياً، وفواعلياً.

السؤال الثاني لبتيتو، من طبيعة أخرى: إنها تهم التصويري «في تحليل مقطع: الحرب، في **الصديقان**[1]»، تتحدثون عن تماثل البنيات القيمية الأولية (النار، الهواء، الماء، التراب)، وتؤكدون في الصفحة اللاحقة بأن ذلك ينتج عنه تثمين أو تقييم للعناصر التصويرية التي ترتقي، نتيجة هذا، إلى نظام الرموز، النموذجان المتراكبان

(1) Greimas (A. J.), *Maupassant, la sémiotique du texte*, op. cit., pp. 135-165.

يكونان بنية قيمية تصويرية. وهذا يعني القبول، أنه زيادة على التصويري العميق. توجد دلالية عميقة مكونة من عناصر بنيات قيمية أولية (الحياة/ الموت، طبيعة/ ثقافة)؟». لقد كان من تعاسة حظي - ربما غياب اللياقة - أنني اقترحت مثل كليات دلالية محدّدة تسمح بإعلان نقطة انطلاق تحليل دلالي، بعض التسميات التي تُعد تصويرية، «حياة»، «موت»، مثلاً، أو «طبيعة»، «ثقافة». هذه العناصر تُعد جدّ مشبعة دلالياً، وتوحي بتأويلات جد مختلفة. ما هي مقصدياتي آنذاك؟ كنت أريد، ببساطة، اقتراح تمييز أدنى، المقولة الأكثر تجريداً التي تربط ما يمكن أن يكون الحياة والموت، الطبيعة والثقافة. كل شيء يبدأ بالموت، الشعر يستند إلى الحياة والموت، ولكن دون أن يتعلق الأمر بموت هذا الفرد أو ذاك: إنها نوع من السلبية الدلالية الخالصة. هذه التسميات، ورغم أنها تنقصها الأناقة، تعكس التقابلات العميقة المجردة على المستوى الدلالي. إن إسقاط النار، الماء، التراب والهواء، وتماثل مربع مع مربع آخر، ينتج التثمين القيمي لهذه الصور التي تُعد صوراً محسوسة وليست صوراً مجردة. توجد، إذاً، مرجعية قيمية تصويرية. هذا ما أردت قوله. أما فيما يتعلق بالقيمة، فقد كنت أكثر حذراً، عكس ما يمكن أن يظهر في سؤال بتيتو. ما هي القيمة الكونية للنار، الماء، التراب والهواء، لا أستطيع أن أجزم القول. يبدو لي أنه، بالتأكيد، في المجال الهند-أوروبي، وحتى في السياق الثقافي السامي، أن هذه العناصر الأربعة تشتغل مثل كليات، غير أن النمذجة يمكن أن تكون مختلفة بحسب المجتمعات بطبيعة الحال. لقد كان لنا هذا النقاش مع جون كلود بيكار، يزعم أن هذه العناصر الأربعة المقولية تحدّد،

في العمق، الثقافة السامية. هناك تعميم أكيد لهذه المفاهيم، غير أني لست مستعداً للذهاب بعيداً في هذا الموضوع. على كل حال، أيها السادة، لنحتفظ بانتباهنا! هناك شيء بخصوص هذا الموضوع، يعدُّ مهماً جداً. هذه المفاهيم يمكن، تأكيداً، أن تنظَّم بصيغة أخرى، غير أن هذا لا ينقص من أنها تكون مستوى الكليات التصويرية، وأنها «ترمز إلى شيء ما». هناك أبحاث أخرى تفرض نفسها في هذا المجال.

استأنف قراءة السؤال: «هكذا تؤكدون، في المقال «الميثولوجي»، بأن الثنائية عملي/ميثولوجي، لم تعد إجرائية. هل هو دائماً موقفك اليوم؟» إني أقرأه في المعجم بطبيعة الحال. في كتاب **علم الدلالة البنيوي**[1]، استعملت هذا التقابل عملي/ميثولوجي حينما كتبت أن «المستوى العملي يتطابق مع المستوى التصويري للخطاب، في حين أن المستوى الميثولوجي يوافق، في المسار التوليدي، للتنظيمات السيميائية العميقة». لم يكن ذلك واضحاً، كنت أريد أن أقول إن المستوى التصويري يجب أن يكون مكوناً للمرجعيات الداخلية. بمعنى أنه يعمل داخل الخطاب على خلق الإيهام بالمواقع. إذا قمنا بحل مشكل المرجع، دون أن نتوجه إلى المرجع الخارجي، وإذا اعتبرنا هذا النوع من المرجعية مثل سيميائية مشتركة، فلأن الخطاب نفسه يمتلك مرجعه الداخلي

---

(1) أهم عمل صدّر به غريماس نظريته في السيميوطيقا. صاغ فيه أهم الأسس والمفاهيم مثل البنية الأولية للدلالة، العوامل، المقومات. انظر:
Greimas (A. J.), *Sémantique structurale*, op. cit.

الخاص به. فالخطاب يبني هكذا الإيهام بالواقع. لنجمل: «في حين أن المستوى الميثولوجي يوافق، داخل المسار التوليدي، للتنظيمات السيميوطيقية العميقة». وكم كانت دهشتي كبيرة، فإن الأبحاث التي أُنجزت في المجال البصري، وليس في مجال الشعر، هي التي أفضت إلى بزوغ مفاهيم «الميتى» ومفاهيم «الشعرية». أعمال فلوش[1] وأعمال مجموعة من الباحثين في التشكيل، أبرزت أن وصف موضوع بلاستيكي، من نمط فوتوغرافي أو تصويري، يسمح على مستوى من العمق الكافي بالحصول على بنية أسطورية، على طريقة ليفي ستروس[2]. نتيجة غير متوقعة، هناك نوع من الأسطرة المسجلة على المستوى العميق للأثر التصويري أو الفوتوغرافي!

لدينا، إذاً، مستوى دلالي عميق، نبلغه بفضل التصويري المتمفصل إلى عناصر تعالقات التناقضات أو عناصر التضاد. الغريب في الأمر، هذه السنة في الدرس، أن عدداً من المداخلات، المستقلة عن بعضها البعض، طرحت مسألة معرفة ما هي وظائف التصويري بصفته مكوناً دلالياً. هو ما قاد إلى الحصول على البنية الأسطورية عند ليفي ستروس. في نهاية الأمر، يستطيع التصويري،

(1) استثمر السيميوطيقا بخاصة في المجال البصري، مثل الصورة الإشهارية. انظر:

Floch (Jean-Marie), *Sémiotique, marketing et communication*, PUF, Paris, 1990.

(2) Floch (Jean-Marie), *Petites mythologies de l'œil et de l'esprit*, Hadès-Benjamins, Paris-Amsterdam, 1985; *Les formes de l'empreinte*, Fanlac, Périgueux, 1986. Thurlemann (F.), *Paul Klee*, L'âge d'homme, Lausanne, 1982. Greimas (A. J.), « Sémiotique figurative et sémiotique plastique», in *Actes Sémiotiques-Documents*, VI, 60, 1984.

بصفته خطاباً واضحاً جداً وغير دال وخالياً من المعنى، أن يبنى على مستوى معيّن من العمق بصفته نسقاً من العلائق إذا اعتبرنا العناصر مثل تصويرات مجردة. إنها تفترض وجود مستوى تصويري عميق، غير أنها يجب أن تفرغ داخل المكون الخطابي.

إن فائدة الدرس لهذه السنة، بالتدقيق، كانت هي تحديد أن التصويري، بصفته دلالياً، ينقسم إلى عدّة مستويات من العمق. ولكن ما يعدُّ أكثر أهمية أيضاً - إني أنتقل من اكتشافات إلى اكتشافات أخرى - هو أن التحليل التصويري، بخاصة على مستوى التشكيل المجرد، قد أبرز جيداً وجود بنيات قررنا الاصطلاح عليها، صحبة فلوش، «البنيات الشعرية». إن الشعرية داخل مجال التشكيل، توافق، بصفة عامة، التحديد القديم للشعر: هناك انصهار مستويين: مستوى الدال ومستوى المدلول. بتحليلنا للتشكيل المجرد ودونما بحث، استطعنا أن نحدد التشكيلية، وهو ما يسمح بتحليل سيميوطيقي للفنّ المجرد. إن التعالق بين مستوى العبارة ومستوى المحتوى، كما أبرزه كوكي في دراسته حول أبولينر[1]، قد تبدّى من جديد بوضوح. هذا الاكتشاف كان مفيداً لأنه كان ممكناً منذ الآن تسميته «الشعرية» بصفتها شيئاً غير خاص بالشعر لكنها تحضر في عدد من السيميوطيقات، مع البقاء، دائماً، مخصصة بواسطة البنية شبه الرمزية للُّغة المستعملة، إن هذا شبه الرمزي هو الذي يبدو أنه يبدع «الشعرية». هذا الاكتشاف كان من بين أهم الاكتشافات

(1) Coquet (Jean-Claude), « Sémantique du discours poétique : « les colchiques » de Guillaume Apollinaire », in *Sémiotique littéraire*, Mame, Tours, 1973, pp. 115-130.

للسنوات الثلاث أو الأربع الأخيرة.

يستأنف بتيتو: «الدلالة العميقة، التي ليست هي التصويري العميق، يمكن أن تكون ببساطة شكلاً من التمفصل؛ كيف تنظرون إلى هذه المقومات الداخلية التي أنظر إليها، من جانبي، بصفتها بنيات دالة؟».

لقد حكيت لكم قصة المربع، وأنتم تعرفون الخواتم الأخيرة. ولكن في البداية، بماذا كان يتعلق الأمر؟ لقد كان جهدي دائماً هو الانطلاق من الثبات لخلق دينامية في البنيات. خلال سنوات السبعينيات، أخذ هذا التصور بالنسبة إلي شكلاً خاصاً: لقد أدركت، من جهة، ضرورة إنجاز النموذج التكويني، أي إنجاز نوع من المورفولوجيا التصنيفية العميقة الممثلة بواسطة المربع، ومن جهة أخرى، ضرورة تخيل عامل للفعل، فاعل تركيبي، «يقصف» المواقع المختلفة لهذا المربع و«يتجول» فيما بينها منتجاً المحكي على المستوى العميق. ليتمكن الفاعل التركيبي من قصف العناصر المختلفة وخلق علاقات. يجب أن يكون هناك، سلفاً، مكان، فضاء تصنيفي، يستطيع هذا الفاعل أن يناور داخله. فكرتي كانت، إذاً، هي أن هناك نموذجاً تكوينياً، غير أنه لم يكن له من استثمار دلالي سوى معنى العلاقات. بتيتو يسألني ما إذا كنا نستطيع أن نتصور، هكذا، أشكالاً خالصة مثل النموذج التكويني المورفولوجي-التصنيفي، غير مستثمرة بواسطة الكليات الدلالية، مثل حياة/موت، طبيعة/ثقافة. جوابي سيكون تفريقياً. إذا كان المربع، نفسه يعدُّ إجراء لاستيعاب المعنى، منظوراً إليه مثل دينامية، كما هو الأمر في صياغته الأخيرة، نستطيع، من دون شكّ، أن نقوم بتنسيق صنافة،

من حيث الوجود، سابقة على العمليات التركيبية. هذا هو الاتجاه الذي يريد بتيتو أن يدفع بنا قدماً إليه: البنية الممثلة بواسطة المربع، بصفته صنافة، يمكن أن تصبح بنية دلالية ما دام هناك استثمار في حدّه الأدنى.

السؤال الثالث لبتيتو: «**هل ترون، بعيداً من الوصف، أن الهدف من نظرية ما، يكون، كما يؤكد ذلك توم، هو اختزال اعتباطية عمليات الوصف، بمعنى إظهار الضرورة في المعطى التجريبي؟ إذا كان الجواب بالإيجاب، هل ترون أننا نستطيع تجنّب الصياغة الرياضية؟**».

بداهة، يمكن أن نتكلم بشكلٍ عقلاني عن اعتباطية الوصف، على الأقل لأننا ملزمين بإدماج إمكانية القراءات، ليست القراءات المتعدّدة، ولكن قراءات عديدة لخطاب. المشكل المطروح هو مشكل الوصف بصفة عامة. هكذا، إن العديد من عمليات الوصف يمكن أن تكون ناجعة؛ بالنسبة إلى كل واحدة من هذه العمليات، يجب القدرة على تقييم درجة ملاءمتها. الحقيقة أننا بحضور العديد من عمليات الوصف، نستطيع أن نطرح سؤال معرفة ما إذا كنا نستطيع اختزال اعتباطية التشاكلات. لا يمكن أن أقدِّم سوى جواب تجريبي وليس جواباً نظرياً. بطبيعة الحال، كل محاولة اختزال تسمح بتأطير النظرية في طابعها الواجب - كما أنه متعلق بالضرورة - تغريني، تحمسني! غير أن المتشكك الشيخ، الذي هو أنا، يتمالك نفسه لأننا تعلمنا أن نحذر الحقيقة. في المعنى نفسه الذي نستطيع فيه أن نتكلم عن الكون السيميوطيقي، أوافق على أن هناك واقعاً رياضياً وأن المثلث هو شيء جدّي. هو أكثر جدية من الشكل

الدائري للخبز المتوسطي الذي يتأطر، مع ذلك، داخل مدة زمنية أطول من البنيات الاقتصادية، بنيات الفيودالية أو بنيات الرأسمالية! ما هو المشكل المطروح؟ إنه مشكل كليات التاريخ. هل يمكن أن نتجنب الصياغة الرياضية؟ أقول «لا» بصفتها قاعدة ممكنة، مثل إجراء نحو «لا قدرة-لا كينونة»، نحو الضرورة التي يتم اعتبارها بصفتها جهة «القدرة على الكينونة» (وليس «واجب الكينونة» الذي يصبح جهة ذاتية). على الرغم من ذلك، أعتقد أنه يجب تقسيم المهام. مهما كانت الانشغالات النظرية، فإن التطبيق السيميوطيقي يجب أن يستمر في التقدم. سيكون من الخطأ اعتبارَ أن الصياغة الرياضية للسيميوطيقا تمثل المهمة التطبيقية الأولى. إذا كانت لدينا «ماشينيتا: آلة»، كما يقول الإيطاليون، تشتغل، يجب استعمالها وتحسينها وإتقانها: إنها واحدة من بين مهامنا الأساسية، مهمة أخرى، ترمي إلى ضمان أساسيات صلبة.

أصل إلى سؤال باري حول مفهوم «العقلنة المركّبية»: **«هل هي مختلفة عن المفهوم القديم للتركيب السردي؟ ماذا يضيف بالتدقيق مفهوم العقلنة؟ كيف يمكن إنجاز، بطريقة ملائمة ومتماسكة، مفهوم للعقلنة من دون استدعاء، في الوقت نفسه، البرهنة المرجعية ومن دون استدعاء المجموعة المبرهنة؟»**.

إنه سؤال صعب لأني ما زلت في بداية تفكيري حول الأشكال المختلفة للعقلنة. لقد كان اهتمامي كبيراً بمؤلف جون بيير فرنان

---

(1) Vernant (Jean-Pierre), « Paroles et signes muets », in J. P. Vernant, *Divination et rationalité*, Seuil, Paris, 1974.

حول التخمين[1]. لقد حاولت أن أفهم كيف تحدث الأشياء. كما هو الأمر دائماً، نقطة الانطلاق بالنسبة إلي هي التفكير اللِّساني. في دلالة اللغات الطبيعية، كانت توجد لدينا ظاهرة البناء الآتية: نكون أمام حقول مبنينة، يمكن أن نتكلم داخلها. مثلاً، على علاقات منطقية بين أنماط مختلفة من المقاعد؛ فضلاً عن ذلك، يوجد هناك ما اصطلح عليه بالفعل المبنين داخل النسق. ولكن يجب أن نأخذ بعين الاعتبار، زيادة على ذلك، حركة التاريخ؛ التي تجعل من بعض العلاقات العرضية بين المفاهيم أو بين العناصر. بين المقومات إذاً، ومن كثرة تردّدها، تتحول إلى مسكوكات. كل هذه العبارات التي نصطلح عليها بالوحدات المعجمية أو الوحدات المعجمية الموازية، مثل «تفاح الأرض» (يحيل على كلمة البطاطس)، تُعد أمثلة لحركة التاريخ التي تثبت الأشياء بواسطة التكرار. هذه الظاهرة لا يوجد فيها ما هو بنيوي، إنها تدرّجية: «تفاح الأرض». تشكل، بمتانة، كلمة واحدة. في حين أن «تفاح الصنوبر» تعتبر أقل التحاماً، وأن «تفاحة السيف» تُعد، بالأحرى، توليفاً لوحدات معجمية حرة. إجراء التسكيك هذا لماذا لا نستطيع تطبيقه على مجالات أخرى؟ على السلوكات البدنية والإشارية مثلاً، متى تظهر هذه المسكوكات؟ متى تنتج أثر المعنى بصفته شبه ضرورة، مثل علاقة ثابتة؟ يمكن أن نسجل داخل هذا التسكيك علاقات تستعمل حروفاً. إنتاج أثر معنى «التخمين»، هذه المجموعة من النتائج والحوافز التي تظهر بأنها ضرورية، غير أنها في الواقع لا تنهض سوى على مسكوكات السلوك. في حين أننا عندما ننتهج إجراء القراءة من نهاية النصّ، يمكن أن نقابل ما يسبق نمطاً آخر من العقلنة، ينبني بالتأكيد على

العلاقات السببية نفسها، غير أنها مضاعفة باقتضاءات منطقية. حتى إذا ما تعلق الأمر فقط ببداية للتفكير، نرى أن هناك إمكانية لتمييز نوعين من العقلنة، يسمحان بتفسير. لماذا داخل المجتمعات التي تُسمّى عتيقة، مثلاً، الفكر التكنولوجي الذي يعدُّ ألغوريتمياً، بصفته تسلسلاً من الافتراضات، يجد نفسه منحرفاً بواسطة المسكوكات الأسطورية للفكر ويجعل إدراج التكنولوجيات العصرية صعباً داخل هذه المجتمعات التي تُعد فيها القاعدة الأساسية هي العقلنة الأسطورية، إنها ليست سوى طريقة للتصدي للصعوبة. يمكن أن نوسع الإشكالية وأن نتساءل عن الشروط التي فيها «أشياء» مثل الحجاج أو البلاغة لا تتعلق، فعلاً، بنوع من العقلنة التي يفترض أن تكون موضوع سؤال. على كل حال، إن المشكل المطروح يتأطر على المستوى الخطابي وليس على المستوى السردي. يجب التفكير فيه، إذاً، من منظور خطابي.

سؤال آخر، إنه سؤال مارينا سبيسا: «**إذا حدّدنا سيميوطيقا اللغة مثل سيميوطيقا مزدوجة المستوى، السؤال الذي يطرح نفسه هو معرفة ما إذا كانت سيميوطيقا العالم الطبيعي تُعد أيضاً مزدوجة المستوى؟**».

لا أعرف شيئاً حول هذا الموضوع! مفهوم العالم الطبيعي الذي اقترحت كان له نجاح كبير لأنه يسمح بحل عدد كبير من المعضلات، بخاصة مشكل المرجع. بفضله، فعلاً، يذوب مشكل إحالة الخطاب على الواقع ونكون، إذاً، أمام نمط من التواصل بين سيميوطيقيات. يحل مفهوم العالم الطبيعي، أيضاً، مشاكل التكوين السيكولوجي للُّغة. القول إن العالم يتكون بمساندة اللغة هو إقرار

بأن مقولة العالم هي مقولة لغوية. يجب، إذاً، إدماج علاقات دلالية مسقطة بواسطة الذات داخل العالم، من أجل أن نقول إن العالم هو لغة، وليس مجموعة من الأشياء. حينما تطرح الأشياء بهذه الصيغة، فإننا نستطيع أن نتقدم.

إذاً يتبيّن لنا، انطلاقاً من هنا، أن اللغة الطبيعية ليست نسقاً سيميوطيقياً، أو، بشكلٍ دقيق، إنها شيء ما اصطلح عليه بالماكرو سيميوطيقا. إنه، فعلاً، الفضاء الذي تبنى داخله سيميائيات مختلفة مثل سيميائيات «الأنساق المنمذجة الثانوية». إن وجود ماكرو سيميوطيقا للعالم الطبيعي تسمح باستيضاح بناء السيميوطيقيات من النمط البصري أو الموسيقي، مثلاً، في علاقته بالعالم الطبيعي الذي يعتبر مثل مستودع كبير من مواد البناء. من هذا المنظور، سأكون مع الرأي، من دون الذهاب مع ذلك بعيداً، الذي يقول إن سيميوطيقيات العالم الطبيعي تُعد بدورها أيضاً مزدوجة المستوى. إني أفكر في «حب الطبيعة» مثلاً: ها هي أسطورة توحي بالمشاهد التي نشاهدها. هناك، إذاً، دلالة، مستوى دلالي، يمكن تعيينه كلياً داخل الطبيعة. بالنسبة إلى السيميائيين، ما يعدُّ مفيداً، بوجه خاص، هو ما نستطيع أن نفعله بالمادة الطبيعية، انطلاقاً من السيميوطيقيات بالمعنى الحصري، وما يجب تمييزه وفق نمذجة لما تنجز بعد.

سؤال آخر يهم مشكل المعايير السيميوطيقية التي تسمح بتحديد الحدود الفاصلة للنص، داخل خطابات خاصة أو عينات لمتون تمثيلية. ماذا نعني بانغلاق المتن؟

إنه نقاش قديم يعود إلى عشرين سنة. في مايو 68، كان حجة ثقيلة ضدّ البنيوية! «الشريرون» ينهجون نهج الانغلاقات، في حين أن

العالم يعد أكثر انفتاحاً، أكثر شساعة! في الواقع، الفكرة جد بسيطة: من أجل البحث عن معنى داخل الخطاب، يجب أن نضع بشكلٍ قبلي أن هذا الخطاب يظهر مثل كل دال، مثل «دليل» بالمفهوم اليامسليفي.

بالنسبة إلى يامسليف، الدليل لا يعدُّ فقط كلمة، يمكن أن يكون فقرة، خطاباً كاملاً: ما دام أن هناك سيميوزيس، هناك دليل. النتيجة هي أن مشكل التحديد يطرح على الفور: هل يمكن أن نعالج «شيئاً آخر» يكون غير متجانس دلالياً؟ إذا كانت هناك وحدة دلالة، مهمة السيميائي هي تحويل هذا الشيء، الذي لا نعرف عنه شيئاً ولكنه يعدُّ كلّاً مفترضاً، إلى موضوع متمفصل. كما يقول كوكي، يتعلق الأمر هنا بمباشرة القراءة بصفتها بناء. نستطيع أن نفكر في مسألة الانغلاق بالاستناد إلى التصور المعجمي. نقطة الانطلاق تقتضي أخذ «حقل» مفهومي أو دلالي والبحث في إمكانية تمفصله. تحديد هذا الحقل يتأسس على الفرضية التي مفادها أنه يعدُّ كلّاً دالاً. لكن هل يعدُّ، حقيقة، قابلاً للتمفصل؟ لقد أمضيت سبع سنوات ليتضح لي أنه غير قابل لذلك، وأن علم المعجم لا يمكن أن يتم التصديق عليه، وأنه يجب رميه في سلة مهملات التاريخ لنتحول إلى علم الدلالة. مشكل التمفصل لحقل مفهومي هو هذا: نأخذ، افتراضاً، كلّاً دالاً ونتكفل بتحويله إلى صنافة. غير أن هذه الصنافة يمكن أن تظهر داخل الحقل المفهومي «أشياء» لسنا في حاجة إليها، ويجب استبعادها. في نهاية الأمر، إنها حالة افتراضية هي التي تسمح بظهور صنافة، غير أن الحقل المفهومي بصفته فضاء يتغير. هناك، فضلاً عن هذا، مشكل لا يتعلق بالصنافة ولكن بمركّبية الانغلاق. في هذا المجال، أعتقد

أن مفهوم التشاكل هو الذي يسمح بالتقدم شيئاً ما، نرى ذلك جيداً في نصوص الاستجوابات غير التوجيهية، مثلاً، حينما نريد تحليلها دلالياً بأن هناك تشاكلات، متداخلة، تبدأ بتيماتية معيّنة، ثم يحدث إدراج لتيماتية أخرى، ثم نعود، بعد ذلك، إلى الأولى... إلخ. نتيجة لهذا، إن الانغلاق يجب أن يعتبر مثل انغلاق لكلٍّ دال، وذلك باستبعاد، مع احتمال تحليلها بشكلٍ منفصل، التشاكلات التي ليست من السياق نفسه.

أخيراً، مشكل الانغلاق يطرح حينما نتساءل عن العناصر المحدّدة للانغلاق. حينما يتعلق الأمر بالصنافة، فإن المشكل دلالي، هذا واضح؛ لكن حينما نكون في مواجهة الخطاب؟ هل البنيات السردية هي التي تكون معايير الانغلاق؟

يمكن أن نقول، فعلاً، إن المستوى السردي الذي يعدُّ أكثر عمقاً من المستوى الخطابي، يعدُّ ضمنياً داخل كل خطاب. إنه هو الذي يعطي، إذاً، إطار الانغلاق الذي يسمح بتحديد أين هي البداية وأين هي النهاية. نباشر الموضوع دائماً بطريقة تجريبية، كما فعلتُ ذلك أنا بنفسي بالنسبة إلى موباسان[1] انطلاقاً من تقطيع سطح النصّ، وفق المعايير الزمنية، المنطقية... إلخ. إنها انغلاقات. ولكننا نحصل على نتيجة مذهلة (بل نستطيع صياغتها مثل قاعدة إجرائية): بمجرد ما ينجز التحليل، يتبيّن أن تحديد المستوى

(1) يتعلق الأمر بالدراسة التي أنجزها غريماس حول قصة **الصديقان** لموباسان، حيث باشر تحليل هذه القصة اعتماداً على معايير زمنية ومكانية ومنطقية. انظر:
Greimas (A. J.), *Maupassant, la sémiotique du texte*, op. cit., p. 19.

السطحي لا يستقيم! هذا التقطيع لا يعدُّ سوى نقطة انطلاق مؤقتة لا توافق واقع تمفصل النص. سيكون، إذاً، ضرورياً إدماج مفهوم النصنصة، المحدد مثل ترتيب للمعطيات الخطابية بحسب الإكراهات الناتجة عن أفقية التمظهر اللفظي. إذا كان لدينا فعلان متوازيان، لا يمكن لنا أن نعقد بينهما الاتصال؛ إذا أردنا أن نحقق النصنصة، يجب أن نضع فعلاً قبل الآخر، أو يجب أن نضمر واحداً من أجل أن يظهر الآخر. يتعلق الأمر هنا بمشكلات النصنصة وليس بمشكلات البنية السردية. نفهم جيداً بخصوص هذا الموضوع أن البصري يخضع لإكراهات أخرى، مثلما هو الأمر بالنسبة إلى اللفظي أو بالنسبة إلى الشفوي، اللذين يتميزان بالخطية. البصري يمكن أن يكون ثنائي أو ثلاثي الأبعاد. لا يجب أن نبحث عن الخطية في أي مكان. أعود إلى ما يبدو لي هاماً: التقطيع الذي نجريه على المستوى السطحي للخطاب، يعدُّ مشكلاً تابعاً للسيميوطيقا الخطابية. بعد ذلك، تعرض السيميوطيقا السردية تقطيعاً جديداً. نرى، إذاً، اللاتوافق بين الخطاب المنصنص والبنيات السردية. إني أفكر في **الصديقان** لموباسان. تنتهي القصة قبل أن تستنفد البنيات السردية. هنا نوع من النداء نحو المسكوت عنه.للنصّ: هنا تولد إمكانية التأويلات المختلفة. وما دامت البنيات السردية تُعد، على نطاق واسع، توقعية، فإنها تكون نداء نحو شيء معيّن، في حين أن النصّ، نفسه، يتوقف. إنها خيط يستعمل، كثيراً، من قبل الكتّاب بنجاح كبير، نصطلح عليه بـ«أثر العمق»، هذا الخيط، هو بالتدقيق، أثر اللاانغلاق وليس بغياب حقيقي للانغلاق. بالعكس، نستطيع أن نتخيل بشكلٍ جيد أن التنظيم السيميائي السردي للنص قد تمَّ، وأن

النصّ، على الرغم من ذلك، يستمر. لا يتعلق الأمر، إذاً، بمسألة انقطاع مادي، ليس لأن الكتاب ينتهي، نعتبر أن الخطاب قد استنفد! المشكل ليس هو مادية الانغلاقات، ولكن المشكل هو تحديدها تبعاً لمستويات العمق التي يتحدد على أساسها التحليل.

إني أصل إلى أقصى المشاق. سؤال دارو:

«تقولون إن تاريخ السيميوطيقا قد أنجز على أساس نمط تجاوزات العتبات الكيفية، على أساس «الثورات». هل يعدُّ من الممكن، في هذه الشروط، تخيل مصير هذا التخصص؟ وكذلك مستقبل السيميائي؟ هل ترون مشروعاً طموحه القاضي ببلوغ نظام فاعل سياسي يغير حالة الأشياء؟».

سأبدأ بنهاية السؤال. لقد أذهلني عرض ألان رونييه حول سيميوطيقا الهندسة المعمارية. ما يريد فعله، بطبيعة الحال، هو وصف إنجازات المعماري. ولكن في الوقت نفسه، قصده، هدفه الذي يعدُّ مشروعاً من وجهة نظري، هو أن يشغل المعماريين بأدوات سيميوطيقية. في النهاية، يتعلق الأمر بتنظيم تحقق المعماري ليس فقط على المستوى الإدراكي، ولكن أيضاً على المستوى البدني والإشاري. إنني أطرح هنا ما ستكون عليه حقيقة «الممارسة» السيميائية. إنها تهدف، أولاً، إلى إغناء النظرية، غير أنها تنزع أيضاً إلى تطبيق النماذج على مجالات التجربة أو على مجالات دلالية مختلفة. ثانياً، إنها فعل حول الأشياء تحقق. حينما ألمحتُ إلى السيكودراما، في **علم الدلالة البنيوي**، فكرت أن هناك ميلاً لدى السيميوطيقا ليس فقط إلى معرفة الواقعة الاجتماعية أو الفردية ولكن أيضاً لتحويل الاجتماعي أو الفردي؛ وأن السيميوطيقا، في نتائجها

النهائية، يمكن أن تعتبر مثل وصفة علاجية للاجتماعي. لقد سخروا مني. هذه الفقرة من **علم الدلالة البنيوي** ظلّت غير مُستعملة. الآن، أرى أن هذه الأسئلة قد أصبحت راهنية من جديد. لا يعدُّ الأمر جلياً من دون شك مع أعمال المحللين النفسيين، ولكن مع ما يقوم به دارو في تطبيقاته الخاصة للتحليل النفسي، نرى أن السيميوطيقا تُعد قادرة على الفعل على حالة الأشياء من أجل تحويلها. على الرغم من أن هذه النتيجة لا يمكن البلوغ إليها إلا في مستقبل بعيد، فإن الرهان يبدو لي على غاية من الأهمية.

يمكن أن نتصور أن السيميوطيقا ستصبح نوعاً من العلم الأولي الذي يحاول العض على الاجتماعي ولا يقتصر عمله على السماح بفهمه وحسب. حين نقول إن بطلاً «يتحقق»، علام يدل هذا؟ هذا يدل على أنه أضاف شيئاً ما لبناء عالم القيم. التحقق يُفهَم بصفته فعلاً بدنياً، فعلاً ينصبُّ على مادية الأشياء. أليس هذه هي غاية السيميوطيقا؟ يجب عليها أن تباشر الظواهر أيضاً في «سطحيتها»، في آثارها الدلالية في حياة الناس، على المستوى الفردي أو على المستوى الجماعي. هناك أكثر من هذا. النظرية السيميوطيقية المفهومية لها فائدة هامة، هي أن تسمح بتأطير الإشكاليات، بإبراز الثغرات والفضاءات التي يجب ملؤها. من وجهة النظر هذه، المسار التوليدي يسمح، بالضبط، بتأطير المستويات التي فيها علب سوداء يمكن ويجب أن تتحول إلى مفهمة بنائية. بالنسبة إلى موضوع المسار التوليدي، سوء الفهم الذي يبدو أنه يسود، حالياً، ينبع من صعوباتنا في تأطير الظواهر الخطابية. كيف نبني السيميوطيقا الخطابية؟ نجد، كل واحد في مجال اختصاصه، الظواهر الخطابية. ننزع كثيراً إلى أن

نضعها داخل البنيات السردية. نريد أن نضع كل شيء في المستوى الأكثر عمقاً! لكن الأمر، كما هو عليه بالنسبة إلى مجرى نهر: إذا أفرطنا في ملئه، فإن الماء يطفح ولن يكون هناك عمق. فيما يخصني، إني أحاول أن أتصرف من أجل أن نتصور بُعداً خطابياً محكوماً بالتصويري، بالزمنية، بتصور معيّن للفضاء. سيكون من الجيد أن تكون داخل هذا البُعد أشياء كثيرة من أجل أن نتمكن، لاحقاً، من جديد من تحديد مستويات عمق داخلية للخطابي. فقط، حينما نكون قد قمنا ببناء هذا المستوى الخطابي، سيطرح السؤال اللّساني الخالص: كيف نصل إلى العمق، إنه سؤال تشومسكي؟

أتذكر ندوة بكونستانس[1]، حيث حاولنا أن نجد لغة مشتركة مع الألمان. كانت، حينئذ، فترة ازدهار مدرسة لسانيات النصّ. المشاركون الألمان كانوا يتكلمون بدرجة عالية، على مستوى سطحي، إلى درجة أن خطابنا حول البنيات السردية كان يظهر بمثابة ثمرة لاتجاه وهمي، كان متعارضاً إطلاقاً مع ما كانوا يفعلونه. لم أكن أنا وحدي الذي كنت أشعر بأنني موضوع خلاف، ولكن أيضاً كل الذين وجِّهت إليهم الدعوة، جينيت وتودوروف[2] مثلاً. من وجهة نظر الألمان، لقد كنا جميعاً مخبولين! الآن، البنيات السردية السطحية تظهر وكأنها مقبولة جداً. ما هو الهدف النظري-التطبيقي لمقاربتنا؟ إنه الوصول إلى السيميوزيس. السيميوطيقا، في الوقت

---

(1) إحالة على مدرسة كونستانس الألمانية التي اهتمت بنظرية التلقي. من روادها وولفغانغ أيزر.

(2) جيرار جينيت وتزفيتان تودوروف (رواد الشعرية والسرديات).

الحالي، تهتمُ أساساً بمستوى المحتوى، وبالمسار التوليدي، بمعنى أنها تسعى إلى عرض الشروط السابقة على ظهور المعنى. فقط، حين نصل إلى سطح المستويات السطحية، نستطيع آنذاك أن نتحدث عن النصنصة. يتحقق داخل النصنصة اتصال السيميوطيقا في كليتها، وهي منجزة بمساعدة المسار التوليدي، مع بنيات مستوى العبارة. هنا يتولد السيميوزيس. ستصبح لدينا، حينئذٍ، نظرية مفهومية مكتملة. سبيلان يبدوان لي ممكنين لبلوغ هذا الهدف: «الترييض» و«الألسنة». إنهما الوسيلتان اللتان تسمحان للسيميائيين بإنهاء مساراتهم. غير أن كل هذا يتجاوز المهام التي ألزمت نفسي بها: على السيميائيين الشباب أن يحملوا المشعل!

الباب الثاني

الأسس النظرية لسيميائيات السرد

الفصل الأول:

مبادئ النحو السردي(*)

1. السردية والنظرية السيميوطيقية:

1-1: رؤية تاريخية.

إن الاهتمام المتزايد، بقوة، منذ بضع سنوات بالدراسات حول السردية، يجب أن نضعه بالتوازي مع مطامح ومشاريع سيميوطيقا عامة، وهي مطامح ومشاريع تتحدّد شيئاً فشيئاً كل يوم. في وقت أول، سمحت مقارنة نتائج أبحاث مستقلة - أبحاث فلاديمير بروب حول الفولكلور، أبحاث كلود ليفي ستروس حول بنية الأسطورة، أبحاث إتيان سوريو حول المسرح[1] - بالتأكيد على وجود مجال دراسات مستقل. وقد عملت تعميقات ميتودولوجية جديدة - أعمال كلود بريمون التي أولت السرد في أفق صياغة منطق «للقرارات»، أو

(*) صدرت هذه الدراسة في كتاب: **في المعنى**؛ الصادر سنة 1970. انظر:
Greimas (A. J.), « Éléments d'une grammaire narrative », in *Du sens*, op. cit., pp. 157-183.

(1) يتعلق الأمر بـ«الوظائف» التي صاغها إتيان سوريو في حقل الدراما، وقد حصرها في ست وظائف. انظر:
Greimas (A. J.), *Sémantique structurale*, op. cit., p. 175.

أعمال ألان دينـدس[1] التي رمت إلى إعطاء تنظيم المحكي شكل نحو سردي - على تنويع المقاربات النظرية. وقد كان همّنا الخاص خلال هذا الوقت هو تعميم، قدر الإمكان، حقل تطبيق التحليل السردي، وصورنة أكثر فأكثر النماذج الجزئية التي ظهرت أثناء إنجاز الأبحاث: وقد بدا لنا مهماً التركيز على الطابع السيميائي-اللّساني للمقولات المستعملة في إنجاز هذه النماذج، مثل ضمانة لكونيتها ووسيلة لإدماج البنيات السردية داخل نظرية سيميوطيقية معمّمة.

1-2: السردية وتمظهرها.

إن الإغناء الميتودولوجي للتحليل السردي وإمكانية تطبيقه داخل مجالات غير مجالات الفولكلور أو الميثولوجيا، كانت لها نتائج إظهار مشاكل جمّة أفضت إلى وضع التصورات الأكثر قبولاً، عامة، في اللّسانيات موضع نقاش.

كان يجب، أولاً، قبول كون البنيات السردية يمكن أن تعرف حتى خارج تمظهرات المعنى التي تنجز من خلال اللُّغات الطبيعية: في اللُّغات السينمائية والحلمية، وفي الرسم التصويري... إلخ. غير أن هذا يعود إلى الإدراك والقبول بضرورة التمييز الأساسي بين مستويين للتمثيل والتحليل: **مستوى ظاهر** للسرد، حيث تكون مختلف تمظهراته خاضعة للمتطلبات الخاصة للمواد اللُّغوية التي تتمظهر عبرها، و**مستوى محايث** يشكل نوعاً من الجذع البنيوي المشترك، تكون فيه السردية محدّدة ومنظَّمة سلفاً قبل تمظهرها.

---

(1) ألان دينـدس (1934-2005): عالـم الفولكلـور الأميركي في جامعة كاليفورنيا. كان يريد أن يرقى بدراسة الفولكلور إلى الدراسة الأكاديمية.

فالمستوى السيميوطيقي المشترك يعدُّ، إذاً، مغايراً للمستوى اللِّساني، ويعدُّ منطقياً سابقاً عليه كيفما كانت اللغة المختارة للتمظهر.

من جانب آخر، إذا كانت البنيات السردية تُعد سابقة على تمظهرها، فإن التمظهر ليتم يجب أن يستعمل وحدات لغوية تكون أبعادها أكثر توسعاً مقارنة مع أبعاد الملفوظات: وحدات يمكن أن تكون «منظومة مركبية كبيرة» بحسب عبارة كريستيان ميتز وهو يتكلم عن سيميوطيقا السينما. **فالبنيات السردية** تقابلها، إذاً، على مستوى التمظهر **البنيات اللِّسانية للمحكي**؛ والتحليل السردي له ما يلازمه وهو تحليل الخطاب.

1-3: السردية والسيميوطيقا.

إننا نرى ذلك إذاً؛ مهما كانت درجة قبولنا أن الدلالة لا تعير بالغ اهتمام لصيغ تمظهرها، فإننا نكون ملزمين بالإقرار بوجود مستوى بنيوي مستقل، مثل فضاء لتنظيم حقول واسعة للدلالة، يجب أن يكون مندمجاً داخل كل نظرية سيميوطيقية عامة، في نطاق أن تهدف هذه الأخيرة إلى استيضاح تمفصل وتمظهر الفضاء الدلالي بصفته كلية من المعنى بطبيعة ثقافية أو شخصية. نتيجة لذلك، إن الاقتصاد العام لهذه النظرية يصبح عرضة للتشويش: إذا كنا، آنفاً، نستطيع أن نعتبر أن المشروع اللِّساني يرمي إلى وضع آلية ذات طبيعة تأليفية أو توليدية تضطلع بوظيفة، انطلاقاً من عناصر بسيطة وأنوية أصلية، إنتاج عددٍ لا متناهٍ من الملفوظات، هذه الملفوظات بدورها تتحول، تتآلف لتنشئ متواليات الملفوظات باعتبارها خطاباً. يجب

الآن، على العكس من ذاك، تصور الترهينات الأولية لتوليد الدلالة، بحيث أنه انطلاقاً من كتل من المعنى متمفصلة قدر الإمكان يمكن أن نحصل، بالنزول عبر مستويات متوالية، على تمفصلات دالة أكثر فأكثر دقة، وذلك لبلوغ، بشكلٍ متزامن، الهدفين اللذين يقصد إليهما المعنى، وهو يحقق التمظهر: الظهور باعتباره **معنى متمفصلاً**، أي باعتباره دلالة، وباعتباره **خطاباً حول المعنى**، أي شرحاً موسعاً يُنمّي بطريقته الخاصة كل التمفصلات السابقة على المعنى. وبعبارة أخرى: **إن توليد الدلالة لا يتم، أولاً، بإنتاج الملفوظات وتأليفها داخل خطاب؛ إنها مرتبطة في مسارها، بالبنيات السردية، وهي التي تنتج الخطاب الدال، المتمفصل إلى ملفوظات.** نرى، إذاً، ومنذ الآن أن إنجاز نظرية للسرد تبرر وتؤسِّس مباشرة التحليل السردي باعتباره مجالاً للأبحاث، مستقلاً بذاته منهجياً، لا يتوقف فقط عند الإتقان والصورنة للنماذج السردية التي تمَّ بلوغها بواسطة عمليات وصف أصبحت متعددة أكثر فأكثر ومتنوعة، ولا عند تنميط لهذه النماذج التي تشملها كلها، ولكن أيضاً، وبخاصة، يتوقف على وضع البنيات السردية بصفتها **ترهيناً مستقلاً** داخل الاقتصاد العام للسيميوطيقا، منظوراً إليها بصفتها عِلماً للدلالة.

1-4: مستويات السيميوطيقا العامة.

من أجل هذا العمل، يجب أن نتصور النظرية السيميوطيقية بشكلٍ يجعل بين المستويات العميقة التي تأخذ فيها المادة الدلالية تمفصلاتها الأولى وتتشكل بصفتها شكلاً دالاً، والمستويات الأخيرة التي تتمظهر فيها الدلالة من خلال لغات متعددة، ضرورة وجود

فضاء واسع يجب أن يرتب لتأسيس مستوى وسيطي تتأطر ضمنه بنيات سيميوطيقية تمتلك نظاماً مستقلاً، من بينها البنيات السردية. فضاءات تتحقق داخلها تمفصلات تكاملية من المحتويات ونوع من النحو، عام وعميق في الوقت نفسه، ويتحكم في تحديد الخطابات المتمفصلة. إن المشروع البنيوي المتعالق بهذا المستوى الوسيطي يعدُّ، إذاً، مزدوجاً؛ يتعلق الأمر، من جهة، بالشروع في بناء نماذج تمفصل المحتويات، كما هي متخيلة على هذا المستوى من مسار المعنى؛ كما يتعلق الأمر، من جهة أخرى، بوضع النماذج الصورية القادرة على مناولة هذه المحتويات وتنظيمها بشكلٍ تكون به قادرة على التحكم في إنتاج وتقطيع الخطابات، وتنظم بشروط معيّنة تمظهر السردية. وبعبارة أخرى، إن النظرية السيميوطيقية لن تصبح مقنعة إلا إذا عرفت أن تنظم داخل مجالها موقعاً لعلم دلالة ونحو عميقين.

1-5: من أجل علم دلالة عميق.

مشروع علم دلالة عميق، مغاير لعلم دلالة للتمظهر اللُّغوي، لا يمكن إلا أن يستند على نظرية للمعنى. إنه مقترن، إذاً، مباشرة بتوضيح شروط فهم المعنى وبالبنية الأولية للدلالة التي يمكن أن تستنبط منه، والتي تقدَّم بعد ذلك بصفتها مسلَّمة. هذه البنية الأولية، المحللة والموصوفة مسبقاً، يجب أن تفهم بصفتها نمواً منطقياً لمقولة مقوماتية اثنانية من نوع أبيض/أسود، تكون عناصرها، فيما بينها، في علاقة تضاد، وكل واحد يكون قادراً على إسقاط عنصر جديد يكون مناقضاً له، تستطيع العناصر المتناقضة، بدورها، أن تدخل في علاقة اقتضاء متبادل تجاه العنصر المضاد المقابل.

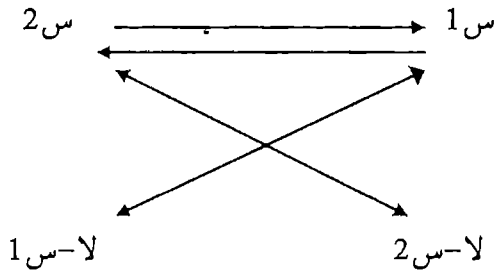

حيث:

⟵ يخصص الاقتضاء المتبادل.

⟷ يخصص التناقض.

إن الافتراض التالي يقضي بأن هذه البنية الأولية للدلالة تقدِّم نموذجاً سيميوطيقياً ملائماً لوصف التمفصلات الأولى للمعنى داخل **فضاء دلالي مصغّر**.

هناك تدقيق يفرض نفسه هنا، ويخص تصورنا للفضاء الدلالي. في وقت أولي (انظر كتابنا: **علم الدلالة البنيوي**) اقترحنا اعتباره بمثابة كلية لـ «المادة الدلالية» مدعوة للدلالة فقط بواسطة شبكة التمفصلات التي تغطيها: المعنى، لا يدرك إلا إذا كان متمفصلاً. إن تمفصلات المعنى هذه يمكن أن تفسر، كما كنا نفكر، مثل نتيجة لتوليف محقق انطلاقاً من جرد محدود من المقولات المقوماتية. خطوة أخرى إلى الإمام يمكن القيام بها اليوم، تقترح تمثيلاً أكثر دقة بعض الشيء لهذا الغطاء من التمفصلات. نتخيل، بطبيعة الحال، أن كل مقولة مكونة للتوليف - يمكن، كما رأينا ذلك، في كل لحظة أن تتطور إلى بنية أولية - تُعد قابلة للتحول إلى نموذج سيميوطيقي تكويني - إذا كانت تابعة لمقولات أخرى من الجرد نفسه تصلح أن

تكون لها تمفصلات تابعة - وتشمل هكذا حقلاً واسعاً من الدلالة، وتؤدّي وظيفة غطاء لفضاء دال مصغّر. إن الجرد العميق للمقولات المقوماتية الضروري لتمفصل الفضاء الدلالي في كليته يعدُّ، نتيجة لذلك، في الوقت نفسه الجرد الممكن لكل الفضاءات الدالة المصغّرة الممكنة، كل ثقافة، كل شخصية يمكن أن تشجع بواسطة تمفصلات قائمة على التفاضل، هذا الفضاء المصغّر على حساب هذا الفضاء الآخر (ثقافة الخمر في فرنسا، استغلال ماء العيون في تركيا).

لا يمثل النموذج التكويني، إذاً، سوى بنية أولية للدلالة، مستعمَلة مثل شكل من أجل تمفصل المادة الدلالية لفضاء مصغّر. إن تشاكل عناصر البنية الأولية للدلالة يضمن ويؤسِّس، بمعنى من المعاني، الفضاء الدال المصغّر بصفته وحدة معنى، ويسمح باعتبار، داخل مقاربتنا المُسلّماتية، النموذج التكويني مثل شكلٍ معياري، مثل ترهين للبداية من أجل علم دلالة عميق.

ولا تدخل في المقام الحالي مهمة فحص شروط هذا العلم. يتعلق الأمر فقط بتمييز، بشكلٍ واضح، مستويي - الدلالي والنحوي - المقاربة الاستكشافية المتبعة.

هل يصبح أيضاً من الأفضل أن نسجل هذا التمييز بانفصال اصطلاحي، وذلك بالحديث عن **قيم محتوى** في كل مرة يتعلق فيها الأمر بوحدات مقوماتية تمَّ إبرازها داخل فضاء مصغّر بواسطة تمفصلات للنموذج التكويني، وبأن نخصص عبارة **العنصر** البنيوي فقط للوحدات الصورية للنموذج السيميوطيقي.

1-6: من أجل نحو عميق.

وإذا كانت البنية الأولية تمثل نموذجاً لتمفصل المحتويات التي هي المواد الدلالية، وإذا كانت قادرة على جعل المعنى قادراً على أن يدل، فإنها مع ذلك تظلُّ شكلاً سيميوطيقياً يمكن أخذه بعين الاعتبار خارج أي استثمار. إنه هذا «المبدأ السيميوطيقي» الذي يؤسِّس، بحسب يامسليف، وينظِّم كل لغة بالمعنى العام لهذا المفهوم. هذا يفسر أن النموذج التكويني، وفي الوقت نفسه الذي يوجد فيه، بمثابة قاعدة لتنظيم المحتويات. يعدُّ أيضاً هذا النموذج الصوري الذي يتحكم، نتيجة لمقولاته المكونة، في المحتويات المنظمة دون أن يتطابق معها. وقد سبق لنا أن لاحظنا في مجال سابق أن المقولات الضرورية لصورنة البنية الأولية للدلالة تُعد المقولات الإبستيمولوجية نفسها المستعملة لبناء كل نظرية سيميوطيقية. بهذه «الكليات اللُّغوية» المؤسَّسة داخل نموذج سيميوطيقي، بصفته مستوى بدئياً لكل مناولة للمعنى، يمكن أن نتصور بناء العناصر الأولية لنحو عميق.

2. مبادئ النحو العميق:

2-1: النواة التصنيفية.

من الصعب في الوقت الراهن إنجاز مُسلَّمة تقوم على أساسها البنيات السردية؛ يجب التوفر في الأول على نظرية سيميوطيقية منجزة. لا يمكن إذاً إلا أن نسطر، بالإحالة على التصور العام لهذه السيميوطيقا، المستويات الرئيسة المفصلية والتسلسلات الإجرائية

المتوقعة لنحو سردي في حالته الأولى بصفته مشروعاً.

كل نحو يقدم، بطريقة شبه ظاهرة، مكونين: مورفولوجيا وتركيب، تكتسب المورفولوجيا طابع صنافة تُعد عناصرها محددة، أما التركيب فيتعلق فيه الأمر بمجموعة من القواعد الإجرائية، أو الطرق لمناولة عناصر المورفولوجيا.

لتوضيح ما يمكن أن يكون عليه نموذج تصنيفي من هذا النوع، سنعود إلى التحليل البنيوي لأسطورة أوديب الذي أُنجِز، ابتداء من سنة 1955، من لدن كلود ليفي ستروس، التحليل الذي أفضى إلى بناء نموذج غير زمني بسيط، يمكن انطلاقاً منه، بحسب الكاتب، لكل أساطير أوديب، بما في ذلك الأسطورة الفرويدية، أن تولد. هذا النموذج الذي يعدُّ نتيجة لقراءة عمودية للخطاب الأسطوري، يمكن أن يحدّد - وقد قمنا بفحصه في مناسبات أخرى - بمثابة تحقيق التعالق لعناصر متناقضة متزاوجة.

من السهل أن نرى أن هذا النموذج يعدُّ في كليته مقارناً بالنموذج التكويني الذي أسلفنا الحديث عنه، ويمكن أن يؤول باستعمال المقولات العلائقية نفسها. هكذا، ندعو خطاطة البنية التي تشمل عنصرين مرتبطين بعلاقة التناقض (س1 ↔ لا-س1 أو س2 ↔ لا-س2)، وعلاقة **الترابط**، العلاقة بين خطاطتين، تكون عناصرها إذا أخذناها واحداً واحداً، في علاقة تضاد مع العناصر الموافقة للخطاطة الأخرى (انظر 1-5). يمكن أن نقول إن النموذج التصنيفي يمثل بنية مكونة من أربعة عناصر محددة تبادلياً بشبكة من العلاقات الدقيقة التي يمكن وصفها بأنها ترابط بين خطاطتين.

في ذهن كلود ليفي ستروس، لاحظنا ذلك، يسمح هذا النموذج

بتوضيح الاستيعاب اللازمني للدلالة لكل المحكيات الممكنة المرتبطة بفضاء دلالي مصغّر معيّن. إنه نموذج صوري لا يعمل إلا على تمفصل المحتويات المستثمرة. زيادة على ذلك، يعدُّ مستقلاً عن صيغة تمظهره: فالخطاب الذي يمظهره يمكن أن يكون محكياً أسطورياً، ولكن أيضاً الخطاب الديداكتيكي لفرويد يمكن أن يكون حاضراً على شكل ذائع في عدد لا يحصى من الخطابات الأنثروبولوجية أو التحليل نفسية. بتعبير آخر، إنه هذا المستوى التصنيفي الأول الذي يمكن انطلاقاً منه أن تتمفصل وتتمظهر، بصيغة ثانية: أنساق القيم أو الأنساق الجمالية، صيرورة إبداع القيم المتواترة أو الأيديولوجيات.

2-2: تسريد النواة التصنيفية.

نرى أن النموذج التصنيفي، بفعل ثبات العلاقات التي تحدّد عناصره البنيوية، يمكن أن يعتبر مثل النواة الأولى لمورفولوجيا أولية. على الرغم من ذلك، إن بحث شروط فهم المعنى تبرز جيداً بأنه إذا كانت الدلالة، في الوقت الذي نبحث فيه لإيجادها في الموضوع، تظهر مثل تمفصل العلاقات العميقة الثانية، فإنها تُعد في الوقت نفسه قابلة لتمثيل دينامي حينما نعتبرها مثل استيعاب أو مثل إنتاج للمعنى بواسطة الذات. حينما نأخذ بعين الاعتبار هذا المظهر الذينامي، يمكن أن نؤسس شبكة من التوازيات بين العلاقات العميقة المؤسسة للنموذج التصنيفي وإسقاط العلاقات نفسها، أو العمليات التي تجري هذه المرة على عناصر محددة سلفاً للمورفولوجيا الأولية نفسها، عمليات تشكل في تنظيمها التركيب. هكذا إن التناقض

بصفته علاقة يعمل، على مستوى التصنيف، على تأسيس الخطاطات الاثنانية؛ وبصفته علاقة تناقض، يعمل على المستوى التركيبي على نفي أحد عناصر الخطاطة وتأكيد العنصر المناقض له في الوقت نفسه. إن هذه العملية حينما تجري على عناصر مستثمرة قيمياً، تكون لها نتيجة تغيير المحتويات بنفي المحتويات المحددة والموضوعة وبإبراز، مكانها، محتويات جديدة مثبتة.

يمكن، نتيجة لما سبق، أن نضع حجرة أساس أولى، مؤقتة، لتركيب عميق، وذلك بأن نقول إنه يهدف إلى خلخلة النموذج التصنيفي بتحويلات للمحتويات المستثمرة في العناصر التصنيفية التي تجري عليها عملياتها.

ملاحظة: رأينا أن الفهم اللازمني للأسطورة يعدُّ ترهيناً غير قارٍّ، وأن بنيته «الدوغمائية» تُعد قابلة في كل لحظة لأن تتطور إلى محكي. إن الدراسات التي أُنجِزت حول بعض الأنواع الصغيرة (الأمثال، عناوين المختلفات... إلخ) التي تبدو لأول نظرة تمظهرات سوسيوثقافية خالصة، تُبرِز على العكس من ذلك لا استقراريتها القوية ونزعة معلنة إلى التسريد.

2-3: توجيه العمليات التركيبية.

إن تمثيل التركيب مثل متوالية للعمليات المنجزة حول العناصر المحددة لبُنية تصنيفية، يسمح باستخلاص، بسهولة كبيرة، خاصية جديدة: **العلميات التركيبية تُعد موجهة.**

هكذا في إطار خطاطة تصنيفية واحدة، يمكن أن نتوقع عمليتين تركيبيتين وتحويلين ممكنين للمحتوى:

س1 ⟸ لا-س1

لا-س1 ⟸ س2.

كما أن النموذج التصنيفي يتكون، من جهة أخرى، من خطاطتين، فإن مسألة الأولوية المنطقية للعمليات التركيبية لا يمكن إلا أن تطرح. العمليات الموجهة يمكن أن تبدأ:

إما بالخطاطة الأولى: س1 ⟵ لا-س1 أو لا-س1 ⟵ س1

وإما بالخطاطة الثانية: س2 ⟵ لا-س2 أو لا-س2 ⟵ س2

وهو ما يعطي، كما نرى، تأليفاً أولياً من العمليات التركيبية:

وفي النهاية، إن معرفة الخصائص العلائقية للبنية الأولية - التي هي في الوقت نفسه خصائص العمليات التركيبية - تحدّد هذا العنصر:

عملية التناقض التي، بنفيها، مثلاً العنصر س1، تضع في الوقت نفسه العنصر لا-س1 كما يجب أن تكون متبوعة بعملية جديدة هي عملية الاقتضاء التي تُظهر وتفضي إلى الاتصال بين لا-س1 والعنصر الجديد س2. وهكذا، إن العمليات التركيبية لا تُعد موجهة وحسب، ولكنها منظَّمة وفق مجموعات منطقية.

2-4: خصائص النحو العميق.

إن الخصائص التي أوضحناها، والتي تُعد قابلة لأن تكون قاعدة لإنجاز نحو عميق، يمكن أن تلخّص هكذا:

1. يتكون النحو السردي من **مورفولوجيا أولية** مقدمة بواسطة

النموذج التصنيفي، ومن **تركيب عميق** يشتغل حول **العناصر** التصنيفية المحدّدة سلفاً.

2. يرتكز التركيبَ السردي على عمليات منجزة حول العناصر القابلة لأن تستثمر من خلال قيم محتوى، ونتيجة لهذا تحولها وتناولها بنفيها وبتأكيدها، أو، وهو الأمر نفسه، تؤدي إلى **انفصالها واتصالها**.

3. العمليات التركيبية، المحدّدة داخل الإطار التصنيفي المنجز، تُعد موجهة، ونتيجة لذلك، تُعد متوقعة وقابلة للحساب.

4. هذه العمليات تُعد، زيادة على ذلك، منظَّمة وفق مجموعات وتكون صيرورات قابلة لأن تقطع إلى وحدات تركيبية إجرائية.

هذه التحديدات في حدّها الأدنى تُعد شرطاً لنحو عميق، ورغم أنها غير مكتملة، فإنها تسمح بتناول المشاكل المتعلقة ببناء نحو سردي سطحي.

3. مبادئ النحو السردي السطحي:

3-1: مشكل مستويات النحو.

بامتلاك نحو عميق، يصبح ممكناً تصور مستويات نحو أكثر «عمقاً» تعمل، بتخصيص أكثر للمقولات المستعملة أو بتسجيلها بطريقة أكثر تعقيداً، على الاقتراب تدريجياً من النحو، كما يتمظهر، مثلاً، في اللغات الطبيعية. هكذا، وبالتبسيط أكثر، يمكن أن نقول إن النحو العميق الذي يتميز بطابع **مفهومي**، ليتمكن من أن ينتج محكيات متمظهرة على شكل تصويري (حيث نجد فواعل بشرية أو مشخصة

تنجز مجموعة مهام وتخضع لاختبارات، وتبلغ أهدافاً)، يجب أولاً أن يحصل، على مستوى سيميوطيقي وسيطي، على تمثيل **مؤنسن** لكن غير تصويري. إن هذا المستوى المؤنسن هو الذي نصطلح عليه **بالنحو السردي السطحي**، مع التدقيق بأن صفة «سطحي» التي لا تحمل دلالة قدحية تدلُّ فقط على أن الأمر يتعلق بمستوى سيميوطيقي، تسمح تحديداته وقواعده النحوية، بمساعدة تحويل أخير، بالانتقال مباشرة إلى الخطابات وإلى الملفوظات اللُّغوية.

إن مفهوم **المستوى النحوي** يتطلب أن يحدّد أولاً. إذا قلنا إن نحواً يمكن أن يبنى على مستويين مختلفين، هذا يعني أنه من الممكن بناء لغتين واصفتين مختلفتين تستوضحان ظاهرة لغوية وحيدة وموحدة، محدّدة على مستوى ثالث، هو مستوى التمظهر في الحالة التي نعالجها. نقول أيضاً إن هاتين اللُّغتين الواصفتين متساويتان، لأنهما متشاكلتان، إلا أنهما غير متماثلتين، مؤشرتين بهذا إلى أن مقطعاً محدداً من لغة واصفة يمكن أن يحول داخل مقطع متشاكل للغة أخرى، دون أن تكون العناصر المكونة للمقطعين، رغم ذلك، متطابقة شكلياً.

إن المقولات المكونة لهذا النحو السطحي تتميز، كما يمكن أن نقول، **بصفتها المؤنسنة** عن **الصفة المنطقية** الخاصة بمقولات النحو العميق.

3-2: الملفوظات السردية.

3-2-1: الفعل المؤنسن.

إذا كان، نتيجة لما سبق، مفهوم العملية التركيبية هو أحد

المفاهيم القاعدية للنحو **العميق**، فإنه يوافق، على المستوى السطحي، **الفعل التركيبي**.

إن إقامة التساوي بين العملية والفعل يمثل فعلياً الإدماج، داخل النحو، للبُعد المؤنسن. يمكن لهذا الفعل أن يؤوَّل بطرائق مختلفة.

في الوقت الذي يمكن أن تدرك فيه عملية منطقية مثل صيرورة ميتالغوية مستقلة، تسمح بوضع الفاعل في العملية بين قوسين (أو استعمال فاعل إجرائي «معيّن»)، فإن الفعل، سواء أكان عملياً أم أسطورياً، يتضمن بصفته فعلاً **فاعلاً إنسانياً** (أو على الأقل مؤنسناً، مثل: «يكتبُ القلمُ»). بتعبير آخر، يعدُّ الفعل عملية يتم تخصيصها بإضافة المقوم: «إنساني».

حينما نتحدث عن الفعل، فإنه من الواضح أننا لا نفكر في الفعل «الواقعي» المحدّد على مستوى سيميوطيقا العالم الطبيعي، ولكننا نفكر في «الفعل اللُّغوي» (كيفما كانت اللُّغة، طبيعية أم غير طبيعية، التي يتمظهر داخلها)، في الفعل المحول إلى رسالة. سواء تعلق الأمر في علاقته بالنسق السيميوطيقي المرجعي، **بفعل منجز أو بفعل متلفظ به**، فإن نظامه بصفته فعلاً ميتاسيميوطيقياً (لأنه موصوف) يجعل منه إرسالية-موضوع محدّدة داخل سيرورة التواصل التي تتضمن مرسِلاً ومرسَلاً إليه. **الفعل** هو، إذاً، عملية مؤنسنة بشكلٍ مزدوج: بصفتها فعلاً تقتضي فاعلاً؛ وبصفتها إرسالية، فإنها تُعد متّسمة بالموضوعية، وتتضمن محور البثّ بين المرسِل والمرسَل إليه.

3-2-2: الملفوظ السردي البسيط.

يمكن أن يتحدد التحويل - الانتقال من مستوى نحوي إلى آخر

- مثل تساوٍ بين العملية والفعل، وذلك بأن نُعطي لتضمينات مفهوم الفعل شكلَ ملفوظٍ سرديٍّ بسيطٍ.

م س: ف (عا).

يكون فيه الفعل، بصفته صيرورة للترهين، مصطلحاً عليه **بالوظيفة** (ف) وفاعل الفعل، بصفته إمكانية للصيرورة، يصطلح عليه **بالعامل** (عا). نقول، إذاً، إن كل عملية للنحو العميق يمكن أن تحوَّل إلى ملفوظ سردي تكون صورته المعيارية البسيطة هي ف (عا). يبقى مع ذلك، بطبيعة الحال، أن الملفوظات السردية تُعد ملفوظات تركيبية، بمعنى أنها مستقلة عن المحتوى الذي يمكن أن يستثمَر في هذا الفعل أو ذاك، وبأن العناصر المكونة للملفوظ، ف وعا، تُعد متشاكلة: كل تقييد دلالي للوظيفة (ف) ينعكس ضرورة على العامل (عا) والعكس صحيح. لنقدِّم مثالاً، يعدُّ العامل متشاكلاً مع وظيفته، بالطريقة نفسها التي يكون بها متشاكلاً اسم الفاعل مع فعله (مثلاً: صياد - صاد).

3-2-3: الملفوظات الجهية والملفوظات الوصفية.

هكذا، إن نمذجة للملفوظات السردية - وفي الوقت نفسه، للعوامل - يمكن أن تبنى بالإدماج التدريجي لقيود دلالية محددة. إذا كانت هناك، مثلاً، طبقة معيّنة من الوظائف مخصصة بإضافة المقوم السياقي: «الإرادة»، فإن العوامل، متشاكلة مع هذه الوظائف، ستكون طبقة مقيَّدة، يمكن أن تُسمّى **بالعوامل - الذوات**. فعلاً، إن «الإرادة» تُعد مقوماً مؤنسناً (ولكنه لا يعدُّ ضرورة تصويرياً؛ انظر: «هذه القاعدة تفترض أن. . .») يشيّد العامل بصفته ذاتاً، بمعنى أنه

فاعل إجرائي محتمل للفعل. ومنذ ذلك الوقت، يمكن إلى جانب الملفوظات الوصفية (م. و) تكوين نمط جديد من الملفوظات السردية: **الملفوظات الجهية** (م. ج).

طبعاً، من وجهة النظر اللُّغوية، **الإرادة** (أراد) يعدُّ محمولاً جهياً يتحكم في ملفوظات وصفية محضة. مثلاً:

1) يريد جون أن يذهب بيار.

2) يريد بيار أن يذهب.

هذه الملفوظات اللُّغوية، حينما تحول إلى ملفوظات دلالية، تقدَّم كالآتي:

(1) ف: أراد/ عا: جون؛ مو(ف: ذهاب؛ عا: بيار)/

(2) ف: أراد/ عا: بيار؛ مو(ف: ذهاب؛ عا: بيار)/

نرى، لغوياً، أن إدراج المقوم السياقي «أراد» هو شيء آخر غير تخصيص المحمول، ويقتضي بناء ملفوظين مغايرين، يكون الأول ملفوظاً جهياً، والثاني ملفوظاً وصفياً يمثل بالنسبة إلى الأول، لأنه ملازم له، **عامل-موضوع**. إذا لم نأخذ بعين الاعتبار، في هذه اللحظة، نتيجة أن في المثال الأول الذوات الدلالية للملفوظين تعدُّ متغايرة، وفي الحالة الثانية متطابقة، يمكن أن نؤول الملفوظ الجهي مثل «الرغبة في التحقيق» لبرنامج يكون حاضراً على شكل ملفوظ وصفي ويشكل في الوقت نفسه، بصفته موضوعاً، جزءاً من الملفوظ الجهي.

هذا يسمح لنا مسبقاً بتخصيص صوري للملفوظات الجهية، مثل:

م ج: ف: أراد/ عا؛ مو/

إنها تلفظات لبرامج ممكنة موضحة في إطار عوامل-موضوعات، آخذين بعين الاعتبار أن العامل-الموضوع للملفوظ الجهي يمكن في كل لحظة أن يحول إلى أي ملفوظ وصفي. إذا أدرجنا الآن قيداً إضافياً، يفترض أن الذات الدلالية للملفوظ الوصفي يجب أن تكون نفسها مثل ذات الملفوظ الجهي، يمكن أن نقول بطريقة معيّنة إن الفعل التركيبي يقتضي التحول من برنامج **ممكن** إلى برنامج **محقّق**.

إذا كان الملفوظ الوصفي قد تمَّ تصوره بصفته برنامجاً ظلَّ لا متغيراً، فإن التحول يمكن أن يؤوّل بصفته استبدالاً للملفوظ الجهي، المتميز بوظيفة «أراد»، **بملفوظ جهي للوجود**، وهو يعدُّ، كما نعرف ذلك، فرضية ضمنية لكل مفلوظ وصفي.

3-2-4: الملفوظات الإسنادية.

أن نفترض أن موضوع الرغبة، الحاضر مثل عامل-موضوع، يعدُّ في الواقع ملفوظاً-برنامجاً، هذا يتطلب أن نقف عند هذا الافتراض بعض الشيء. أمثلة أخرى تسمح بإدراج خصائص جديدة لهذه الملفوظات الوصفية:

(3) يريد بيار تفاحة.

(4) يريد بيار أن يكون طيباً.

هذه الملفوظات اللُّغوية يمكن أن تمثل دلالياً كالآتي:

(3) ف: الإرادة/ عا: بيار؛ مو(ف: حيازة؛ عا: بيار؛ مو: تفاحة).

(4) ف: الإرادة/ عا؛ بيار؛ مو(ف: حيازة؛ عا: بيار؛ مو: طيبوبة)/

التوضيح الدلالي، كما نرى، يسمح بإقامة، إلى جانب الملفوظات المشار إليها سلفاً والتي تعدُّ وظيفتها من **نمط الفعل**، نمطين آخرين من الملفوظات الوصفية المخصَّصة بوظائفها التي هي تارة من **نمط الاكتساب**، وتارة من **نمط الكينونة**. يمكن أن نصطلح عليها بصفتها طبقة تابعة من الملفوظات الوصفية، مثل ملفوظات إسنادية (م. إ). إن ما يميز هذين النوعين من الملفوظات، على مستوى الوصف الدلالي، هو خصائص وظائفها التي تحصر بنسبة أقل؛ يتعلق الأمر في الحالتين بعلاقة إسناد بين الذات والموضوع الدلاليين أكثر من الطبيعة الخارجية أو الداخلية للمواضيع المسندة. في الوقت الذي يمكن فيه، وذلك بالجمع بين وظائف الملفوظين الجهي والوصفي من أجل تأويلها، أن نقول إن رغبة الامتلاك تشيّد موضوع امتلاك محتمل مثل **قيمة**، نرى أن **التفاحة** تُعد قيمة خارجية في علاقتها بذات الرغبة، في حين تُعد **الطيبوبة** قيمة داخلية بالنسبة إلى الذات. إن علاقة الاختلاف هذه تُترجم بعناصر تركيبية وذلك بالقول إن العلاقة بين الذات وموضوع الملفوظ الإسنادي تُعد في الحالة الأولى **سلمية**، وفي الحالة الثانية تابعة، ونقول بتلخيص:

أ) إن إدراج، في النحو السطحي، جهةُ **الإرادة** يسمح ببناء ملفوظات جهية **بعاملين: الذات والموضوع**. ويسمح محور الرغبة الذي يجمع بينهما، بدوره، بتأويلهما دلالياً مثل **ذات إنجازية** محتملة **وموضوع مشيّد** بصفته **قيمة**.

ب) إذا كانت جهة الإرادة تثمّن الموضوع، فإن هذا الموضوع

بصفته عاملاً للملفوظ الجهي يمكن أن يحول إما إلى قول وصفي للفعل (أمثلة 1 و2) - والفعل بهذه الصفة تصبح له قيمة - وإما إلى ملفوظات إسنادية (أمثلة 3 و4). تحقيق الإرادة يفسَّر، إذاً، بامتلاك موضوعات-قيمة محددة في الملفوظات الإسنادية.

ج) التمييز بين نوعين: سلمي وتابع - من إسناد مواضيع - القيمة، يجب أن يتم الاحتفاظ به: إنه يقدِّم معياراً شكلياً للتمييز بين نوعين من القيم - موضوعية وذاتية - لهما أهمية أساسية لفهم البُنية السردية.

3-2-5: الملفوظات الجهية في علاقتها بالملفوظات الإسنادية.

يبقى لنا أن نتمّم لائحة أمثلة الملفوظات السردية بـ:

- يريد بيار أن يعرف (شيئاً ما).
- يريد بيار أن يقدر (على شيء ما).

نرى في الحال نفسه، من دون وصف دلالي، أن خاصية هذا النوع من الملفوظات تكمن في أن ملفوظاً جهياً لا يمكن أن يتخذ موضوعاً له ملفوظاً وصفياً بسيطاً، ولكن ملفوظاً جهياً آخر، يشتغل بصفته ملفوظاً وصفياً وقابلاً، نتيجة لذلك، أن يكون موضوع تثمين بدوره.

عدد معيّن من الإثباتات يمكن أن تسجل بهذا الصدد:

1. في الوقت الراهن من معارفنا، يبدو أن وحدها جهات المعرفة والقدرة، يمكن أن تؤخذ بعين الاعتبار في بناء النحو السردي.

2. من بين خصائص هذه الجهات، نخلص إلى:

أ) إمكانية تشكيل ملفوظات جهية معيارية:

م ج (معرفة أو قدرة) = ف: معرفة أو قدرة/عامل؛ مو (ف: فعل؛ مو).

ب) إمكانية أن تكون مواضيع لملفوظات جهية للإرادة.

م ج: الإرادة = ف: إرادة/عامل؛ مو (ف: معرفة أو قدرة؛ عا؛ مو)/

ج) إمكانية أن يكونوا مواضيع لملفوظات إسنادية.

م إ = ف: إسناد/عامل؛ موضوع: معرفة أو قدرة/

3-3: الوحدات السردية.

3-3-1: الإنجاز وطبيعته الجدلية.

للانتهاء من وضع الوحدات الأولية للنحو السطحي المعادِلة لوحدات النحو العميق والمرور إلى بناء وحدات أكثر توسُّعاً، يجب التأكيد على التمثيل الجدلي الذي تتخذه، على هذا المستوى من السطح، علاقة التناقض. محور التناقض الذي اصطلحنا عليه بالخطاطة يمثل، نعرف ذلك، فضاءً للنفي ولإثبات العناصر المتناقضة. إذا قبلنا بأن التمثيل المؤنسن للتناقض يتميز بطبيعة جدلية، فإن المتتالية المركبية - التي توافق تحول قيم المحتوى الناتجة، على مستوى النحو العميق، عن عمليات النفي والإثبات - يجب أن تظهر هنا مثل متتالية من الملفوظات السردية تعمل تحديداتها الدلالية على منحها طابع المواجهة والصراع. هذه المتتالية المركبية، ولتتكون، تفترض:

أ) وجود **ذاتين** عا1 وعا2 (أو وجود عامل وعامل مضاد)، الذي يوافق فعلين متناقضين، علاقة التناقض تكون، كما نعرف ذلك، علاقة غير موجّهة؛

ب) التقييد الدلالي للفعل التركيبي بإقامة التساوي بين **عملية النفي ووظيفة الهيمنة** بصفتها نتيجة للصراع الجدلي؛

ج) إقرار مبدأ **التوجيه** الملائم لمستويي النحو: لهذا التوجيه من العمليات المنطقية، يوافق هذا الاختيار الاعتباطي للذات النافية ولهيمنة فاعل من الفاعلين على الآخر.

د) قبول أن الإجراء الديالكتيكي، الذي يدلُّ على أن نفي عنصر هو في **الوقت نفسه** إثبات للعنصر المناقض، يجب أن يمثل، على مستوى التركيب السطحي، بملفوظين سرديين مستقلين، يكون الأول، بوظيفة الهيمنة، موافقاً لترهين النفي، والثاني، بوظيفة الإسناد، موافقاً لترهين الإثبات.

منذ ذلك، إن المتتالية المركّبة المُصطلح عليها **بالإنجاز**، يمكن أن تمثَّل بهذه الصورة:

م س = ف : مواجهة (عا1 ⟷ عا2).

ملاحظة: هذا الملفوظ السردي الذي يعبِّر بشكل مؤنسن عن علاقة التناقض بين عنصرين، يعدُّ، في الواقع، تركيباً لملفوظين جهيين خاصين بكل واحد من الذاتين.

م س 2 = ف: هيمنة (س1 ⟵ س2)

ملاحظة: يوافق الملفوظ انطلاق عملية النفي الموجّهة، حيث تنفي فيها الذات1 الذات2 أو العكس؛ كما رأينا، ترتكز عملية النفي

على تحول المشروع إلى المحقق، أو، وهو الشيء نفسه، على استبدال الملفوظ الجهي لإرادة الفعل بالملفوظ الجهي للوجود، وباستبدال الرغبة في الهيمنة بالهيمنة.

م ج = ف إسناد (عا1 ⟵ مو)

ملاحظة: الملفوظ الأخير يوافق ترهين الإثبات: هذه العلاقة يعبَّر عنها بصورة مؤنسنة بإسناد موضوع-قيمة.

3-3-2: العناصر المكونة للإنجاز.

في هذا المخطط الإجمالي للنحو السطحي، تمَّ التركيز - وذلك بتناول، على سبيل المثال، مركّب واحد - على إقامة التوافقات عنصراً عنصراً بين مستويي النحو، وأيضاً على استيضاح المقولات المؤنسنة التي تُستبدَل بالعناصر وبالعمليات المنطقية. النتيجة هي بناء وحدة سردية خاصة هي الإنجاز: بما أنها تكون الخطاطة الإجرائية لتحويل المحتويات، فإنها تُعد، احتمالاً، **الوحدة الأكثر تخصيصاً للتركيب السردي**.

يعدُّ الإنجاز محدّداً بهذه الصيغة وحدة تركيبية، خطاطة صورية قادرة على استقبال الوحدات الأكثر اختلافاً. من جهة أخرى، إن عاملي الإنجاز يعدّان قابلين للتبادل، الواحد أو الآخر يمكن أن يكون مهيمِناً أو مهيمَناً عليه. وفي الوقت نفسه، إن صنف المواضيع يعدُّ خاضعاً للتغير وفق الصيغ المختلفة للإسناد التركيبي.

من وجهة نظر نظامه التركيبي، إن الإنجاز يتخذ شكل متتالية من الملفوظات السردية، المبنية وفق الصيغة المعمارية: الملفوظ السردي هو علاقة بين عوامل. هذه العلاقة، المعيّنة بمصطلح

وظيفة، تُعد قادرة على أن تأخذ بعض التخصيصات الدلالية المرسلة، نتيجة تشاكل الملفوظ، للعوامل وتكون قادرة حتى على تحديد عددهم.

إذا كانت الوظائف والعوامل هي **العناصر** المكونة لهذا النحو السردي، وإذا كانت **الملفوظات السردية** هي أشكالها التركيبية الأولية، فإن **الوحدات السردية** - التي يعدُّ **الإنجاز** نموذجاً لها هنا - تُعد متتاليات مركّبية من الملفوظات السردية.

3-3-3: العلاقات المكونة للإنجاز.

مشكل العلاقات بين الملفوظات التي تتكون منها الوحدات السردية لا يفتأ يطرح في هذا الموضوع. لقد رأينا أن الإنجاز، بصفته وحدة سردية، يوافق الخطاطة التصنيفية، وأن الملفوظات التي تكونها، نتيجة لهذا، تُعد متساوية للعمليات المنطقية المؤطّرة داخل هذه الخطاطة. لقد رأينا أيضاً أن العمليات المنطقية المكونة للخطاطة كانت موجّهة.

ومع ذلك، يجب أن نلاحظ أن هذا **التوجيه** الذي يعدُّ قاعدة للنحو العميق، توافقه علاقة التضمين على مستوى النحو السطحي، مع هذا الفرق القريب، على الرغم من ذلك، الذي يتمثل في أنه إذا كان التوجيه يتبع ترتيب الملفوظات:

م س 1 ⟵ م س 2 ⟵ م س 3

فإن التضمين يعدُّ موجهاً في الاتجاه المعاكس:

م س 1 ⊃ م س 2 ⊃ م س 3

هذا التحويل الذي يسمح بتحديد الوحدة السردية بصفتها متتالية

من التضمينات بين ملفوظات، له أهمية عملية أثناء التحليل السردي على مستوى التمظهر، حيث تؤسَّس فيه قواعد الإضمار والتحفيز: الملفوظات السردية المتضمنة منطقياً في إطار إنجاز يمكن أن تكون مضمرة في التمظهر؛ فحضور الحلقة الأخيرة في سلسلة التضمينات (م س 3) يكفي للقيام، من أجل إعادة بناء الوحدة السردية، بتحفيز يعيد تأسيسها في كلّيتها.

3-3-4: توجيه الإنجازات.

الرجوع إلى الوراء والتفكير حول خصائص الملفوظات الجهية، سيسمح لنا بالقيام بتمييز بين نوعين ممكنين من الإنجازات. نتذكر أن الملفوظات الجهية التي تحدّد الإرادة وظيفة لها، تشيّد الذات بصفتها إمكانية للفعل، في حين أن ملفوظين جهيين آخرين، متميزين بجهة المعرفة والقدرة، يحدّدان هذا الفعل المحتمل بطريقتين مختلفتين: مثل فعل منحدر من المعرفة أو قائم فقط على القدرة.

إن هذين الطابعين الجهيين، المختلفين عن الفعل، يتخذان بعد ذلك تحديداً لهما في الإنجازات. هكذا، نميز بين الإنجازات الموجهة **بمعرفة الفعل** (إ = إنجاز، م) - وفق ما إذا كانت الذات القائمة بالإنجاز تفعل، على مستوى التمظهر، بواسطة الحيلة والخداع - من الإنجازات التي تمّت نتيجة **قدرة الفعل** (إ = إنجاز، ق)، والتي لا تستعمل فيها الذات القائمة بالإنجاز سوى طاقتها وقوتها، الواقعية أو السحرية.

3-4: المتتاليات الإنجازية.

3-4-1: تركيب للتواصل.

إلى حدّ الساعة، اعتبرنا الملفوظ السردي النهائي للإنجاز (م س 3) - الذي يعدُّ المعادل، على المستوى السطحي، للإثبات المنطقي للنحو العميق - مثل ملفوظ إسنادي (م إ). يمكن أن نتساءل مع ذلك ما إذا كانت هذه الصياغة مقنِعة.

يظهر هذا الإسناد - أو الحصول، بواسطة الذات، على الموضوع - بأنه يتقدم مثل فعل انعكاسي: الذات القائمة بالإنجاز تسند لنفسها، وذلك بأن تعتبر نفسها مثل ذات للملفوظ الوصفي، موضوع-قيمة. إذا كان الأمر هكذا، فإن الإسناد الانعكاسي لا يعدُّ سوى حالة خاصة لبُنية إسناد أكثر عمومية، وهي المعروفة جيداً في اللِّسانيات مثل خطاطة التواصل، أو أكثر عمومية أيضاً مثل بنية التبادل: وهي الممثلة، كما نعرف، في صيغتها المعمارية مثل ملفوظ مكوّن من ثلاثة عوامل: المرسِل، المرسل إليه وموضوع التواصل.

م إ = ف: نقل (مرسل1 ⟵ مو ⟵ مرسل- له)

إن إمكانية استعمال خطاطة متّسمة بعمومية كبيرة تُعد امتيازاً أولياً لهذه الصياغة الجديدة. فهي تسمح، زيادة على ذلك، بالتمييز بشكل واضح بين مستويين تركيبيين مختلفين: أ). المستوى الذي يوجد فيه الفاعل الإجرائي التركيبي للإثبات، مترجَماً داخل النحو السطحي مثل الذات القائمة بالإنجاز (إنه في الواقع ميتا-ذات وسبب عمليات النقل المنجزة).

ب) المستوى الذي تجري فيه عمليات النقل نفسها. إن عناصر

المرسِل والمرسل إليه لا تعمل في واقع الأمر سوى على تعمية التمييز.

المستوى الثاني - الذي هو المستوى الوصفي وغير الإجرائي - يمكن، من الآن، أن يأخذ تمثيلاً طبولوجياً مؤنسناً: فالعوامل تدرك ليس فقط مثل فاعلين إجرائيين، ولكن مثل فضاءات يمكن أن تُرسى داخلها القيم الثمينة، فضاءات يمكن أن تجلب إليها القيم أو تسحب منها. يعدُّ النقل في هذه الحالة قابلاً لأن يؤول في **الوقت نفسه** مثل حرمان (على المستوى السطحي) أو مثل انفصال (على المستوى العميق) ومثل إسناد (على المستوى السطحي) أو مثل اتصال (على المستوى العميق).

هذا التأويل الذي يعوّض الملفوظات الإسنادية بالملفوظات الناقلة (م نا) يظهر أنه يقدِّم تمثيلاً أكثر دقة للإنجاز: نتيجة هذا الأخير (م س 3) لا تُعد امتلاكاً بسيطاً للقيمة، ولكنها تُعد نقلاً: إذا كان موضوع-القيمة قد أسند للذات المهيمنة، فلأن الذات المهيمَن عليها تُعد في الوقت نفسه محرومة من هذا الموضوع-القيمة؛ فالعمليتان المنطقيتان تصبحان بهذه الصيغة ملخّصتين داخل ملفوظ واحد.

3-4-2: التركيب الطبولوجي للقيم الموضوعية.

يعود هذا التمثيل الطبولوجي لانتقال مواضيع-القيمة إلى مطابقة إشاريات التحويلات بعناصر النموذج التصنيفي، التي تعتبر مثل وحدات مورفولوجية قابلة للحصول على استثمارات محتوى. لقد رأينا سابقاً أن استثمارات قيم المحتوى تتوزع بحسب خطاطتين في

حالة تعالق. نقول الآن إن الخطاطات، على المستوى المؤنسن، توافق **الفضاءات المتشاكلة** التي هي فضاءات تجرى داخلها الإنجازات، وأن كل فضاء يتكون من إشاريتين **متصلتين** (لأنهما توافُقان لمحور التناقض نفسه)، ولكنهما غير **متطابقتين**: إنهما تعادلان، على المستوى العميق، العناصر المتناقضة:

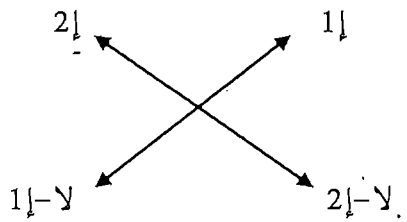

من جهة أخرى، المحاور السلمية لا-إ2 ⟵ إ1 و لا-إ1 ⟵ إ2 تكون **فضاءات متغايرة** موقعياً، تكون إشارياتها **منفصلة**، لأنها لا تنتمي إلى الخطاطات نفسها ولكنها **متطابقة**، لأنها مرتبطة بعلاقة الاقتضاء المتبادل.

منذ هذا الحين، إن انتقال القيم، مؤوّلاً مثل متتالية من تحويلات مواضيع-القيمة، يمكن أن يسلك مسارين:

(1) ف (إ1 ⟵ موضوع ⟵ لا-إ1) ⟵ ف (لا-إ1 ⟵ موضوع ⟵ إ2)

وهو ما يمكن أن يؤوّل، في الحالة الخاصة بالحكاية الروسية لبروب، بهذه الصيغة: المجتمع (إ1) يصاب بنقص، الخائن (لا-إ1) يختطف ابنة الملك (موضوع) وينقلها بعيداً من أجل إخفائها (إ2).

(2) ف (إ2 ⟵ مو ⟵ لا-إ2) ⟵ ف (لا-إ2 ⟵ مو ⟵ إ1)

وهو ما يعني: البطل (لا-إ2) يجد في مكان ما (إ2) ابنة الملك (مو) ويعيدها إلى أهلها (إ1).

هكذا، إن الحكاية الزوسية تظهر **نقلاً دائرياً للقيم** باستعمال، على التوالي، ذاتين قائمتين بالإنجاز وبتثمين واحد من الفضاءات المطابقة (فضاء البطل) على حساب الآخر (فضاء الخائن). نرى، مع ذلك، أن الأمر لا يتعلق هنا سوى بازدواجية بسيطة للمحكي. تعتبر الأساطير الأصلية بعامة غياب هذا الموضوع للقيمة أو ذاك مثل وضعية أصلية، والحصول على القيم ينجَز وفق مسار واحد (2). وهذا يفهم، فضلاً عن ذلك، جيداً: إن ما يمثل امتلاكاً للقيمة بالنسبة إلى الإشارية (إ1) يعدُّ ضرورة وفي الآن نفسه حرماناً من القيمة بالنسبة إلى الإشارية (إ2)، والعكس صحيح. تبعاً للاتجاه الذي تبنيناه، فإن مسار تحويلات القيم نفسه يكون قابلاً لتأويلين: فالمحكي هو في الوقت نفسه محكي الانتصار والفشل. إن ما يحدد اختيار واحد من التأويلين لا يعود للتركيب السردي، ولكنه يعود للتمفصل الأكسيولوجي لقيم المحتوى: من بين **الفضاءين المتطابقين**، استثمار الواحد منهما يحدّد أولياً بصفته استثمار **سرور**، والآخر بصفته استثمار **لا سرور**.

وما دمنا لا نتعرض الآن سوى لقيم موضوعية، يمكن القول إن التركيب الطبولوجي للتحويلات، بمضاعفة مسارات فهم المعنى الموصوفة على شكل عمليات منطقية على مستوى النحو العميق، ينظِّم السرد بصفته سيرورة مبدعة للقيم. إنها هي التي تُعد مسؤولة عن منح المعنى للمحكي وتكون هيكله الأساسي. هكذا، من وجهة نظر صورية، ما دامت الملفوظات الناقلة تُعد الملفوظات النهائية

للإنجازات وتتضمنها منطقياً، فإن المسارات التركيبية الموصوفة على شكل تحويلات تكون في الواقع **متتاليات مركّبة من الإنجازات**: أي أنها وحدات تركيبية من مستوى عالٍ.

3-4-3: تشييد الفاعلين الإجرائيين التركيبيين:

إن هذا التركيب الطبولوجي يعدُّ، مع ذلك، وصفياً خالصاً: لقد شدّدنا هنا، أعلاه، على هذه الخاصية بإزالة كل طابع إجرائي عن عوامل الملفوظات الناقلة التي عيّناها، وذلك لاجتناب كل لَبس، مثل إشارات وليس مثل مرسلين أو مرسلين إليهم. إن تركيباً للفاعلين الإجرائيين يجب أن يبنى باستقلال عن تركيب العمليات: مستوى ميتا-سيميوطيقي يجب أن يحدّد لتبرير تحويلات القيم.

الفاعلون الإجرائيون التركيبيون سيدركون مثل ذوات متّسمة بإمكانية خاصة للفعل، تجعلها قادرة على إنجاز عملية النقل المتوقعة. إن هذه الإمكانية للفعل ليست شيئاً آخر سوى جهة: جهة المعرفة أو القدرة؛ يمكن صياغتها، رأينا ذلك سابقاً، بطريقتين مختلفتين: إما بصفتها ملفوظاً جهياً يمثل معرفة الفعل أو القدرة على الفعل للذات الفاعلة، وإما بصفتها ملفوظاً إسنادياً يؤشر على امتلاك قيمة جهية من قبل الذات الفاعلة.

إذا كانت الذوات تتحول إلى فاعلين إجرائيين، نتيجة إسناد قيمة جهية (إسناد قمنا بتعويضه بوظيفة أكثر إقناعاً هي وظيفة النقل)، فتأسيس الفاعلين الإجرائيين، إذاً، يمكن أن يتم وفق نموذج التركيب الطبولوجي نفسه لعمليات النقل، مع استثناء أن فضاءات النقل لم تعد هنا إشارات، ولكنها عوامل-ذوات. فالفاعل الإجرائي مؤسَّساً

بهذا الشكل وحاملاً لمعرفة-فعل أو القدرة على الفعل، يصبح فقط بعد ذلك قادراً على تحقيق الإنجاز الذي خلق من أجله.

مجموعتان من الإنجازات يمكن آنذاك تمييزهما:

أ- الإنجازات الموجهة لحيازة ولتبليغ القيم الجهية.

ب- الإنجازات المتميزة بحيازة وبنقل القيم الموضوعية.

الأولى تؤسِّس الذوات مثل فاعلين إجرائيين، والثانية تنجز بعد ذلك العمليات، الأولى تخلق الإمكانيات، أما الثانية فتعمل على تحيينها.

هكذا، إلى جانب مسار طبولوجي متوقع من أجل نقل القيم الموضوعية والذي ينشِئ، رأينا ذلك، متتالية مُركّبة أولى للإنجازات، هناك مسار ثانٍ من نفس النمط يُمكن أن يُتوقع من أجل نقل القيم الجهية.

لا يمكن لنا أن نتوسع هنا حول الأصل للعامل الإجرائي الأول الذي يعطي انطلاقة المسار التركيبي: سيجرنا هذا إلى دراسة، عن قرب، الوحدة السردية الخاصة التي هي **العقد**، والتي تؤسس ذات الرغبة بإسناد جهة الإرادة، وهي تحيين محتمل لـ«فعل الإرادة» للمرسل الأصلي. يكفي أن نسجل الآن أن إرادة الذات الفاعلة هي التي تجعله قادراً على القيام بالإنجاز الأول، المتّسم بإسناد القيمة الجهية: المعرفة أو القدرة.

سُلّمية أولى من القيم الجهية يمكن أن تحدد؛ إنها توجه هكذا المسار التركيبي:

الإرادة ⟵ المعرفة ⟵ القدرة ⟸⟸ الفعل.

وتعتمد قاعدة لتنظيم المتوالية المركّبة للإنجازات، بعض

التضمينات لهذا النوع من التوجيه تعدُّ منذ الوهلة الأولى، بادية للعيان:

أ- وحدها حيازة القيمة الجهية للقدرة، التي تجعل الذات الإجرائية قادرة على أداء الإنجاز الذي يسند إليها القيمة الموضوعية..

ب- ينجم عن هذا أن حيازة القيمة الجهية للمعرفة لها نتيجة هي إسناد القدرة على الفعل (التي تُعد وساطتها ضرورية للوصول إلى تحيين الفعل).

ج- في المقابل، إن وساطة المعرفة لا تبدو ضرورية لحيازة قيمة القدرة على الفعل. هذه الخاصية الأخيرة تسمح بالتمييز بين نوعين من الذوات: الذوات «العارفة» التي تُعد قدرتها في تحقيق الإنجازات نابعة من معرفة-فعل مكتسبة منذ البداية، ثم الذوات «القادرة» بفعل الطبيعة.

ملاحظة: إن حيازة قيمة جهية بواسطة الذات (أو الذات المضادة) التي تتمظهر، مثلاً، بالحصول على فاعل سحري أو على إرسالية-موضوع للمعرفة، تؤسِّس هذه الذات مثل **مساعد** (أو مثل **معاكس**) قادر على المرور إلى الإنجاز اللاحق.

إن هذه المتتالية المركّبة، المحددة خارج الإطار الصوري للملفوظات الناقلة، أي بدون اعتبار العوامل المتضمنة، تسمح، قبلاً، بتدقيق طبيعة العلاقات بين نمطين مختلفين من الإنجازات؛ يتعلق الأمر بمتتالية من الإنجازات تُعد **مُوَجَّهَة** ما دام أن الإنجاز الذي يُؤسس الفاعل التركيبي، يكون متبوعاً بالإنجاز الذي يُجري العملية التركيبية؛ وفي الوقت ذاته إن الإنجاز الموضوعي **يتضمنُ** الإنجاز الجهي.

3-4-4: التركيب الطبولوجي للقيم الجهية.

إذا أخذنا بعين الاعتبار الطبيعة الجدلية للسردية، فإن فاعلين إجرائيين تركيبيين يعدان ضروريين لإنجاز تركيب سردي: لقد سبق لنا، فعلياً، أن اقترحنا ذاتين (عا1 وعا2) لبناء الإنجاز. لقد نَجمَ عن هذا أن محور التبادل بين هاتين الذاتين هو الذي يكون فضاء لنقل القيم الجهية، وأن إسناد قيمة جهية معيّنة لـ عا1 يَفترضُ أن عا2 يعدُّ في الوقت نفسه محروماً من هذه القيمة.

مساران لنقل القيم الجهية يصبحان متوقعين، وفق ما إذا تعلق الأمر بالذات «العارفة» أو «القادرة»، أي بحسب الأولوية الممنوحة لحيازة الواحدة أو الأخرى من بين الجهتين المعنيتين.

أ) في الحالة الأولى، المتتالية المركّبية، تصبح موجهة كالآتي:

م نا1 (عا1 ⟵ مو: المعرفة ⟵ عا2)؛ م نا2 (عا1 ⟵ مو: القدرة ⟵ عا2)

يمكن أن تؤوّل مثل حيازة، بواسطة عا2، لقدرة نتيجة معرفة محصَّل عليها سلفاً، وفي الوقت نفسه، مثل الفقدان، بالنسبة إلى عا1، لكل قدرة بسبب المعرفة المفقودة.

ب) في الحالة الثانية، التوجيه يصبح معكوساً:

م نا 1 (عا2 ⟵ مو: القدرة ⟵ عا1)؛ م نا2 (عا2 ⟵ مو: المعرفة ⟵ عا1)

يمكن أن يؤوّل المقطع مثل حيازة، بواسطة عا1، لمعرفة نتيجة قدرة معترف بها؛ وبالعكس، مثل الفقدان، بالنسبة إلى عا2، لكل معرفة، متلاحق لفقدان جهة القدرة.

واحدة من بين المتتاليتين تُعد كافية لتكوين، بالتوليف مع

مجموعة من عمليات نقل القيم الموضوعية، المحكي المكتمل. إذا اخترنا، مع ذلك، مثل مستقبل للقيم الجهية، عاملين مختلفين لكل واحد من المسارين (عا1 وعا2) - يعدُّ هذا الاختيار طبعاً اعتباطياً - فذلك لاستيضاح، في الوقت نفسه، التنظيم الخاص **للمحكي المزدوج** كما يقدَّم، مثلاً، على شكل الحكاية الشعبية الروسية التي دُرِست من لدن فلاديمير بروب. نرى فيها، بطبيعة الحالة، أولاً العامل 2، مصطلحاً عليه قيمياً **بالخائن**، يقوم بحيازة القيم الجهية على حساب العامل 1.

عا2 = مو1: المعرفة ⟵ مو2: القدرة.

ليفسح مكانه، لاحقاً، للعامل 1، المصطلح عليه **بالبطل**، الذي يحرمه تدريجياً، بامتلاكها، من القيم التي تمّت حيازتها سلفاً.

عا1 = مو1: القدرة ⟵ مو2: المعرفة.

3-4-5: الشكل العام للنحو السردي.

لقد قمنا بتحديد الخطوط الكبرى للتركيب السردي السطحي أو على الأصح لجزء فقط من هذا التركيب المتعلق بجسد المحكي نفسه. إن ما يغيب في هذا المخطط الإجمالي، والذي لا يمكن إلا أن نشير إليه باقتضاب هنا، هو دراسة وإقامة الوحدات التركيبية لتأطير المحكي، الموافقة للمقاطع الأولية والنهائية للمحكي المتمظهر.

يتعلق الأمر، في هذا الصدد، باستيضاح الوحدات التركيبية الموافقة لما يمكن، على مستوى النحو العميق، أن تكون عليه العلاقات المتلازمة للنموذج التصنيفي، أي إلى العلاقات التي يمكن

أن تتأسس في هذا النموذج بين العناصر س1 ولا س2 من جهة، وبين العناصر س2 ولا س1 من جهة أخرى، ويصبح انطلاق السرد ممثلاً مثل إقامة لعلاقة تعاقدية **اتصالية** بين مرسِل ومرسل إليه-ذات، متبوعة **بانفصال** مكاني بين العاملين. إتمام المحكي يصبح موسوماً، على العكس من ذلك، باتصال مكاني وبنقل نهائي للقيم، مؤسِّساً بذلك عقداً جديداً بواسطة توزيع جديد للقيم، الموضوعية منها والجهية.

على الرغم من أنها تظلُّ غير مكتملة، يجب على محاولتنا أن تعطي، على الأقل، فكرة معيّنة عن ما يمكن أن يكون تنظيماً تركيبياً للسردية. لقد تعرفنا في التنظيم التركيبي إلى نوعين من **المتتاليات المركّبة الموجهة**، المنظمة لنقل القيم، الجهية منها والموضوعية، في إطار تركيب ذي طابع طبولوجي. مواضيع القيمة مؤطرة داخل ملفوظات سردية نهائية تمثل نتائج الإنجازات وتتضمنها منطقياً؛ هذه المتواليات المركبة تعد في الواقع انتظاماً لإنجازات، مثل وحدات تركيبية متكررة ومتطابقة شكلياً. مبدأ آخر للتنظيم المركّبي تمَّ التعرف إليه أيضاً: الإنجازات منظمة بشكلٍ تكون معه الأولى، وهي مخصصة بإسناد قيمة جهية تؤسس الذات بصفتها **ذاتاً إجرائية**، ويجب أن تكون متبوعة بثانية تقوم بتحيين **العملية**. أما فيما يخصُّ الوحدة التركيبية النموذجية التي هي الإنجاز، فقد رأينا أنها يمكن أن تستوعب مثل متتالية لثلاثة ملفوظات سردية مرتبطة بتضمينات. بدراسة الملفوظات السردية، استطعنا إجمال نمذجة عامة؛ بإدماج التحديدات الدلالية الإضافية لوظائفها وبتنويع العدد والتخصيصات لعواملها. ميّزنا بين ثلاثة أنواع رئيسة من الملفوظات السردية:

الملفوظات الوصفية والملفوظات الجهية ثم الملفوظات الناقلة. كل ملفوظ يمثل على مستوى النحو السردي السطحي، إما علاقة وإما عملية من عمليات النحو العميق.

هذا النوع من النحو السردي، حين اكتماله، يمكن أن يأخذ في الوقت ذاته شكلاً استنباطياً وتحليلياً. سيسطر مجموعة من المسارات من أجل تمظهر المعنى: انطلاقاً من العمليات الأولية للنحو العميق التي تسلك سُبُل سيرورة تحيين الدلالة، من خلال توليفات المتتالية المركّبة للنحو السردي التي لا تُعد سوى تمثيلات مؤنسنة لهذه العمليات، تستثمر المحتويات، بواسطة الإنجازات، في الملفوظات السردية المنظَّمة داخل مقاطع أفقية من الملفوظات المعيارية المرتبطة فيما بينها، مثل حلقات من سلسلة واحدة، بمجموعة من التضمينات المنطقية.

الفصل الثاني

الخطاطة السردية[1]

- 1 -

إن التفكير حول التنظيم السردي للخطابات يجد جذوره في التحليلات التي أنجزها فلاديمير بروب[2] حول متن من الحكايات الروسية العجيبة.

في الوقت الذي ثابرت فيه السيميوطيقا السوفييتية في الستينيات، بخاصة، على تعميق المعرفة بالآليات الداخلية لاشتغال الحكايات (ميليتنسكي ومجموعته في البحث[3])، وإذا كان الأثنولوجيون الأميركيون (أ. ديندس[4])، والفرنسيون (د. بولم[5]) قد حاولوا تأويل خطاطة بروب في أفق تطبيقها على حكايات شفوية

---

(1) صدر هذا المدخل المعجمي في معجم السيميوطيقا. انظر:
Greimas (A. J.), Courtés (J.), « Schéma narratif », in *Sémiotique. Dictionnaire raisonné de la théorie du langage*, op. cit., pp. 244-247.

(2) سبق التعريف بالعمل.

(3) إيفكيني ميليتنسكي.

(4) سبق التعريف به، ص 53.

(5) دنيز بولم (1909-1998): باحثة أنثروبولوجية فرنسية اهتمت في أبحاثها بالتراث الشفوي في إفريقيا.

لإثنيات أخرى (أميركية هندية وأفريقية)، فإن السيميوطيقا الفرنسية أرادت أن ترى في هذه الخطاطة، ومنذ البداية، نموذجاً قابلاً للتحسين، وقادراً على أن يمثل نقطة انطلاق لفهم مبادئ تنظيم كل الخطابات السردية.

إن الفرضية القائلة بوجود أشكال كونية للتنظيم السردي، وضعت أبحاث بروب في قلب مشاكل السيميوطيقا الوليدة.

- 2 -

إن التوارد المتكرر لثلاثة اختبارات (تأهيلي ورئيس وتمجيدي)، أكثر من توالي إحدى وثلاثين وظيفة الذي يحدد بواسطته بروب المحكي الشفوي والذي لا نرى فيه، بصورة جيدة، المبادئ المنطقية لهذا التركيب، هو الذي يبدو مثل قانون منتظم يكشف، حين تأطيره على مستوى المحور المركبي، عن وجود **خطاطة سردية-معيار**: يمكن أن يعتبر الاختبار، إذاً، بمثابة مركّب سردي متواتر، معروف شكلياً، وحده الاستثمار الدلالي الذي يسجل في نهاية الاختبار (النتيجة) يسمح بتمييز الواحد من الآخر. إن التحليلات اللاحقة والمجهودات المبذولة لبناء النحو السردي، استطاعت أن تقلل، لاحقاً، من أهمية دور الاختبار، بل ذهبت إلى حدّ اعتباره مجرد صورة خطابية من صور المستوى السطحي: وهذا لا يمنع من أنّ توالي الاختبارات نفسه الذي يؤوّل مثل نظام من الاقتضاء المنطقي المعكوس، يظهر وكأنه محكوم بمقصدية قابلة للتعرف لاحقاً، يمكن مقارنتها بالتي تهدف عامة إلى استيضاح تطور الذات البشرية. إذا كانت الاختبارات تظهر اليوم مثل زخارف تصويرية لعمليات منطقية

أكثر عمقاً، فإن تموضعها يجعلها، على الرغم من ذلك، تسجل داخل المسارات السردية الثلاثة التي تكون حبكة خطاطة تركيبية ذات شمولية كبيرة. فعلاً، تكون الخطاطة السردية نوعاً من الإطار الصوري الذي يتجذّر ضمنه «معنى الحياة» بترهيناته الثلاثة الهامة: تأهيل الذات الذي يدمجه داخل الحياة؛ «تحققه»، بواسطة شيء يقوم «بفعله»؛ والجزاء في الأخير - الذي يعدُّ في الآن نفسه حكماً واعترافاً - هو وحده الذي يضمن معنى أفعاله ويحدّده بصفته ذاتاً بحسب الكينونة. إن هذه الخطاطة على قدر كبير من العمومية، يسمح بكل التنويعات حول هذا الموضوع: إن تصورها على مستوى كبير من التجريد وتفكيكها إلى مسارات، يساعد على جعلها قادرة على توضيح وتأويل أنواع مختلفة من الأنشطة، الإدراكية منها والبراغماتية.

- 3 -

هناك انتظامات أخرى يمكن التعرف إليها بتحليل خطاطة بروب، وهي ليست ذات طبيعة مركّبية، ولكنها عمودية. إن الإسقاط، على المحور المركّبي لمقولات عمودية، يسمح باعتبارها، في مقاربة أولى، مثل مركّبات سردية منقطعة. إذا كانت الانتظامات المركّبية تنهض على التواتر لعناصر مماثلة، فإن الانتظامات العمودية تُعد تواتراً متكرراً لوحدات مع بُنيات أو محتويات معكوسة. وهو الأمر نفسه بالنسبة إلى التنظيم التعاقدي للخطاطة السردية. إن الاختبارات الثلاثة للعامل تُعد مؤطرة على مستوى سُلَّمي عالٍ ببُنية تعاقدية: تبعاً للعقد المبرم بين المرسِل والمرسل إليه-الذات، يمر هذا الأخير بمجموعة من الاختبارات للوفاء بالالتزامات التي قطعها

على نفسه، ويجد نفسه، في النهاية، مكافأ من لدن المرسل إليه الذي يقدِّم، بدوره، إسهامه التعاقدي. وإذا تفحّصنا بدقة هذا النموذج، يتضح لنا، رغم ذلك، أن إقامة هذا العقد تتخذ موقعها نتيجة اختلال توازن النظام القائم (أي نتيجة عقد اجتماعي ضمني تمَّ خرقه): تتقدم الخطاطة السردية، إذاً، بمثابة سلسلة من التعاقدات، من الاختلالات، من إعادة التعاقدات... إلخ، ومن الالتزامات التعاقدية.

- 4 -

ومن جهة أخرى، تبيّن لنا أن المحكي البروبي (نسبة إلى بروب) يمتلك تمفصلاً فضائياً قوياً، وأن الفضاءات المختلفة توافق أشكالاً سردية مختلفة (الفضاء الذي تنجز داخله الاختبارات، مثلاً، ليس هو الفضاء نفسه الذي يتأسس داخله العقد، ويتم فيه الحكم عليه (الجزاء)). أما بالنسبة إلى العوامل، فإنها تنسج علائق خاصة مع الفضاءات التي تنبثق منها (العامل-الذات، مثلاً، لا يمكن أن يتحقق سوى داخل فضاء بؤري ومتّسم بالوحدة). هذا التمفصل الفضائي للخطاطة السردية الذي اعتبرناه، في البداية، مثل مركّب سردي منفصل، فتح المجال لأبحاث تتابع في اتجاهين: من جهة، إن التحليل العميق للتنظيم المكاني يدعونا إلى اعتبار التفضية بمثابة مكون تابع، يتميز باستقلالية نسبية عن البنيات الخطابية؛ ومن جهة أخرى، إن الاعتراف بوجود تغيرات ملازمة للفضاءات والعوامل يفضي بنا إلى النظر إلى الانفصالات والاتصالات المتتالية بصفتها مبدءاً عمودياً جديداً للتنظيم السردي.

– 5 –

هناك إسقاط عمودي أخير، الأكثر وضوحاً ربما، يوافق العلاقة المعروفة بين وظيفتي بروب: «النقص» و«تجاوز النقص»، التي تسمح، في بعض الحدود، بتأويل المحكي بصفته توالياً لمجموعة من الانهيارات والتحسينات (انظر أعمال كلود بريمون[1]). من النظرة الأولى، يتعلق الأمر، في هذه الحالة، بالأخذ بعين الاعتبار، ليس فقط نشاط (فعل) الذوات ولكن تبادل المواضيع-القيمة. تبدو عوامل الفعل، إذاً، بمثابة فاعلين إجرائيين موجهين نحو إنجاز خطاطة لنقل موضوعات محدّدة سلفاً. إننا بتحديد المواضيع، بمثابة فضاءات لاستثمار القيم وحسب، التي تُعد من خصائص عوامل الحالة والتي تحدّدها في «كينونتها»، نستطيع إعادة تأويل خطاطة تبادل المواضيع بمثابة تركيب للتواصل بين العوامل الفاعلة.

– 6 –

فيْ إعادة القراءة هذه لخطاطة بروب، تكون الخطوة الحاسمة قد أنجزت بالتعرف إلى البنية الجدلية التي تُعد محايثة لها: إن الحكاية العجيبة لا تُعد فقط حكاية البطل وحكاية بحثه، ولكن أيضاً، وبطريقة خفية تقريباً، حكاية الخائن: مساران سرديان، مسار العامل ومسار العامل المضاد، يسيران في اتجاهين متعارضين، ولكنهما يتميزان بكون العاملين يحدّدان لنفسهما موضوعاً واحداً هو

(1) يتعلق الأمر بعمل كلود بريمون حول المحكي. انظر:
Brémond (Claude), *Logique du récit*, Seuil, Paris, 1973.

الموضوع نفسه-القيمة: هكذا، تبرز خطاطة سردية أولية تقوم على البنية الجدلية. وإذا نظرنا إليها بتمعّن، فإن بنية المواجهة هذه لا تمثل سوى واحد من القطبين القصيين - القطب الآخر هو البنية التعاقدية - للمواجهة التي تخصص كل تواصل بشري: إن التبادل الأكثر هدوءاً يتضمن مواجهة رغبتين متناقضتين والصراع يتجذّر ضمن إطار شبكة من الاتفاقات الضمنية. يبدو الخطاب السردي، إذاً، بمثابة فضاء من التمثيلات التصويرية لمختلف أشكال التواصل البشري القائم على التواترات وعلى العودة إلى التوازن.

- 7 -

إن المسار السردي للعامل، الذي يبدو أنه يمثل نواة الخطاطة السردية، مؤطر من الجانبين بمستوى عالٍ، بترهين متعالٍ، يتأطر فيه المرسل، وهو مكلِّف بتسخير الذات الفاعلة للمستوى المحايث والحكم عليها، وهي الذات التي تعتبر بمثابة مرسل إليه. تُعد العلاقة بين المرسل والمرسل إليه غامضة: إنها تستجيب، من جهة، لمبدأ التواصل الذي أشرنا إليه، وتظهر البنية التعاقدية مهيمِنة على مجموع الخطاطة السردية: إنجاز العامل الذات يوافق تنفيذ المتطلبات التعاقدية المقبولة، ويستدعي، بالمقابل، الجزاء؛ وعلى الرغم من ذلك، إن العلاقات المتناظرة والمتساوية التي تتأسس بين المرسل والمرسل إليه - والتي تسمح بالرؤية لهما، في الحساب التركيبي، مثل عوامل عا1 وعا2 - هي علاقات متناقضة جزئياً بواسطة لا تناظر نظامهما على التوالي: المرسل - سواء أكان مسخّراً أو مكلفاً بالتحويل لحسابه الخاص، المرسل إليه، سواء أكان ذاتاً قادرة أو له

قدرة الحكم، يقيم القدرة العادلة والمعرفة الحقيقية - ينجز فعلاً تفعيلياً يضعه في موقع عالٍ سُلَّمياً مقارنة مع المرسل إليه. غير أن هذا لا يكفي لتحديده: المداهنة، مثلاً، بصفتها تصويرية خطابية، تقدِّم عاملاً (عا1) يقوم بتسخير عا2. وعلى الرغم من ذلك، إن عا2، يعدُّ بالتحديد في موقع عالٍ سُلَّمياً في علاقته بالعامل 1. أكثر من القدرة الممارسة، إنها القدرة المحدّدة سلفاً هي التي تخصص النظام السُّلَّمي للمرسل. بواسطته، يصبح ملائماً، ربما، تحديد الترهين المتعالي الذي أطرناه ضمنه.

- 8 -

بانحدارها من التعميمات المتتالية انطلاقاً من وصف بروب، تظهر الخطاطة السردية، إذاً، مثل نموذج أيديولوجي من حيث المرجعية، سيقوي مدة زمنية طويلة كل تفكير حول السردية. ويسمح، منذ الآن، بتمييز ثلاثة مركّبات مستقلة للتركيب السردي، وهي المسارات السردية لذات الإنجاز، المرسل المسخِّر والمرسل الحاكم، ويسمح باستشراف، بنوع من الثقة، مشاريع سيميوطيقا للفعل وسيميوطيقا للتسخير وسيميوطيقا للجزاء. ومع ذلك، إننا سنكون مخطئين إذا تصورنا أن التوالي البسيط لهذه المسارات، ينتج وحدة تركيبية ذات أبعاد أكثر اتساعاً - ولكنها من نفس طبيعة مكوناتها - ستكون هي الخطاطة السردية. يوجد، مع كل التحفظات، بين الخطاطة السردية، من جهة، وبين المسارات السردية التي نلتقي بها داخلها، من جهة أخرى، المسافة نفسها التي بين البنيات العاملية لملفوظ وبين المقولات المركّبة التي تشغل هذا

الموقع العاملي أو ذاك: هكذا، إن التصويرية الخطابية التي حُدِّدت مثل مسار للتسخير، يمكن أن توافق «وظيفة» المرسل-المسخِّر. غير أنها ستتواجد، أيضاً، داخل مسار الذات المنجزة لفعلٍ (القواعد الخاصة بهذا النوع من التكرار ما زالت لم تنجَز بعد). يمكن أن نقول إن الاستراتيجية السردية هي التي تنظم تركيبات وتداخلات المسارات السردية، في حين أن الخطاطة السردية تُعد معيارية بصفتها نموذجاً مرجعياً يمكن - في تعالق معه للانزياحات، للتمطيطات، للتمركزات الاستراتيجية - أن تحسب.

الفصل الثالث

العوامل، الفواعل والصور[1]

1. بنيات سردية.

1-1: عوامل وفواعل.

إن إعادة التأويل اللّساني للشخصيات الدرامية الذي اقترحناه انطلاقاً من الوصف البروبي للحكاية الروسية العجيبة، حاول تأسيس، في البداية، تمييز بين **العوامل** المتعلقة بالتركيب السردي، والفواعل الذين يمكن تعرفهم داخل الخطابات الخاصة التي يتمظهرون داخلها. هذا التمييز الذي نستمر في اعتباره تمييزاً ملائماً - لأنه سمح، على الأقل، بالتمييز بوضوح بين المستويين المستقلين اللذين يتأطر داخلهما التفكير حول السردية - لم يمنع من إثارة، منذ البداية، صعوبات جمّة توضِّح بهذه الطريقة ذاتها تعقد الإشكالية السردية. لقد لاحظنا، مثلاً، أن العلاقة بين **فاعل وعامل**، بعيداً من أن تكون علاقة إدماج بسيط لوحدة داخل صنافة، تُعد مزدوجة:

---

(1) النصّ مقتطف من كتاب:
Greimas (A. J.), *Du sens II*, op. cit., pp. 49-60.

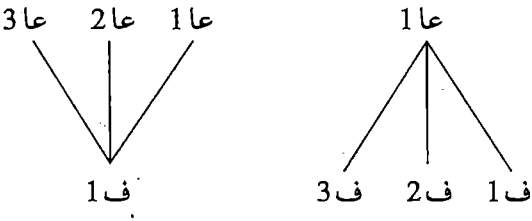

إذا كان عامل (عا1) يمكن أن يتمظهر داخل الخطاب بواسطة عدد كبير من الفواعل (ف1، ف2، ف3)، فإن العكس يعدُّ أيضاً ممكناً: فاعل واحد (ف1) يمكن أن يكون التركيب لمجموعة من العوامل (عا1، عا2، عا3).

لقد سمحت أبحاث لاحقة برؤية أكثر عمقاً فيما يخصُّ التنظيم العاملي لـ«شخصيات المحكي»، بتصور - أكثر من ذلك - إمكانية تحقيق نحو سردي مستقل عن التمظهرات الخطابية. تنظيم الفواعل، على العكس من ذلك، لم يحظَ سوى باهتمام قليل من لدن هذه الأبحاث: إنه نقص يفسَّر بوضوح بغياب نظرية متماسكة للخطاب.

باستثمارنا لواقع معيّن، وهو أن الأبحاث السردية تظهر، بمعنى ما، في تقدم، فكرنا في أنه أصبح من المُجدي القيام بتحديد اصطلاحي وديداكتيكي في الوقت ذاته، وذلك في أفق هدف مزدوج: لإحصاء ما يمكن، في هذا المجال، أن يشدَّد على العدد المتصاعد دوماً - بسبب، بخاصة، التحول التدريجي لمركز الاهتمام من الأدب الشفوي إلى الأدب المكتوب - للمشاكل التي وجبَ حلها بشكلٍ مستعجَل، ولتحديد الاتجاهات التي يعدُّ مستحسناً سلكها.

1-2: بنية عاملية.

تظهر البنية العاملية أكثر فأكثر مثل بنية قادرة على استيضاح

تنظيم المتخيَّل البشري، إنها إسقاط لأكوان جماعية وفردية.

1-2-1: انفصالات تركيبية.

إذا اعتبرنا المحكي **ملفوظاً شاملاً**، أُنتِج ونُقِل من لدن ذات ساردة، هذا الملفوظ يمكن أن يفكك إلى متتالية من **الملفوظات السردية** (= وظائف بروب) المتسلسلة. بإسنادنا للفعل-المحمول، نظام الوظيفة (بالمعنى المنطقي للعلاقة الصورية)، يمكن أن نحدد الملفوظ بصفته علاقة بين العوامل التي تكونه. نوعان من الملفوظات السردية يمكن أن يلتقيا:

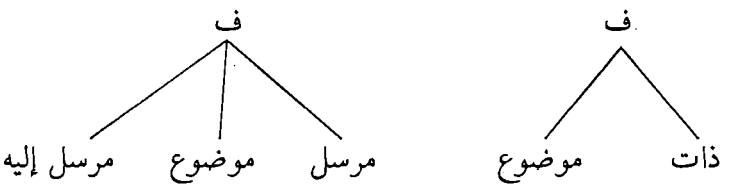

أو في الصياغة المقترضة من المنطق:

ف (عا ⟵ موضوع) ف (م1 ⟵ مو ⟵ م2)

كيفما كان التأويل الذي سنعطيه لهذه البنيات التركيبية: أ) على المستوى الاجتماعي، علاقة الإنسان بالعمل المنتجة لقيم مواضيع، تجعلها موضع تبادل في إطار بنية تبادل، أو ب) على المستوى الفردي، علاقة الإنسان مع موضوع-رغبته، وتأطير هذا الأخير داخل بنيات التواصل البشري المشترك. الانفصالات التي تمّت بواسطة هذه الخطاطات الأولية تبدو عامة بالشكل الكافي الذي يسمح بتقديم قواعد تمفصل أولي للمتخيل. صياغات لفظية لبُنيات «واقعية» سابقة على الفعل اللّساني أو إسقاطات للذهن البشري المنظمة لعالم

معقلن، مهما كان الأمر: إنها تتقدم مثل **مواقع** صورية تسمح ببروز وتمفصل المعنى.

1-2-2: انفصالات استبدالية.

مفهوم البُنية، بصفته مسلَّمة ضمنية لكل استدلالنا، يفترض وجود شبكة علائقية من نوع استبدالي محايث للعوامل كيفما تظهر في الملفوظات السردية. كل شيء، بطبيعة الحال، يجري كما أن الذات - المرسِل أو المرسل إليه في السرد - حينما تكون في حالة إنتاج أو قراءة الإرساليات السردية، تتوفر سلفاً على بُنية أولية تمفصل الدلالة إلى مجموعات متشاكلة، يكون مربعها السيميائي:

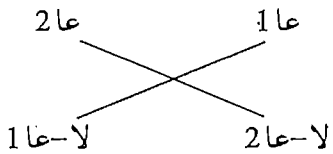

قادراً على أن يشكل نموذجاً ويميز، على كل حال، **الإشارية الإيجابية** (عا1 + لا-عا2) **والإشارية السلبية** (عا2 + لا-عا1). ينتج عن هذا على الأقل ازدواجية للبُنية العاملية، يمكن أن يحال فيها كل عامل على واحدة من الإشارتين، ما يفضي إلى التمييزات الآتية:

عامل إيجابي / ضدّ / عامل سلبي (أو عامل-مضاد)

موضوع إيجابي / / موضوع سلبي.

مرسل إيجابي / / مرسل سلبي (أو مرسل مضاد)

مرسل إليه إيجابي / / مرسل سلبي (أو مرسل إليه مضاد)

إذا تمَّ اعتبار أن مصطلحات الإيجابي والسلبي تُعد تسميات خالصة ولا تتضمن أي حكم قيمة، فإن الالتباس لن يتأخر، رغم

ذلك، في الاستقرار بسرعة في حالات معيّنة. وهذا ما نلاحظه مثلاً في الأدب الإثني المتّسم في أغلب الأحيان **بتلوين أخلاقي** ثنائي صارم، يكون فيه التقابل **إيجابي/سلبي** مستمراً بمحتويات **خير/شرير**، تفضي إلى أزواج: بطل/خائن، مساعد ومعاكس... إلخ. إن هذا الاستثمار الأخلاقي لا يعدُّ مع ذلك ضرورياً ولا عاماً بما فيه الكفاية: نراه معوضاً بسهولة **باستثمار جمالي**، مثلاً، أو موزّعاً ليس فقط على الإشاريتين المضادتين، ولكن على عناصر كثيرة من عناصر المربع السيميائي، حينما تقلع «الشخصيات» عن أن تكون فقط «خيّرة» أو «شريرة». هل يكفي، أيضاً، الاحتفاظ بمبدأ الانفصال الاستبدالي للعوامل بتفسير ثنائيتهم بمطابقتهم أو عدم مطابقتهم للإشاريات المعتبَرة، مع احتمال تصور، بعد ذلك، إمكانية تحديد هذا الصنف أو ذاك من المحكيات باستثمارات تثمينية خاصة.

ملاحظة: إن الانفصال الاستبدالي، في إطار هذا المنظور، يمكن أن يعمم، أن يطبق حتى، على محكيات صغيرة بعامل واحد: في الوقت الذي يصادف فيه، في فعله، حاجزاً معيّناً، هذا الحاجز سيؤوّل مثل التمثيل المجازي للعامل-المضاد الناتج عن الإشارية غير المطابقة لحقل الفعل للعامل المتمظهر.

1-3: الأدوار العاملية.

إلى جانب الانفصالات البنيوية التي تستوضح الطابع المأساوي للسرد، والانفصالات التركيبية التي تسمح بصفتها إسقاطات للفعل البشري المحتمل بإعطاء تمثيل لسيرورتها، فإن مقولات أخرى تدخل لتنويع البنية العاملية. في المقابل، وعلى عكس الانفصالات التي

قمنا بالاستناد إليها والتي تقسم الفضاء المتخيل إلى عدد كبير من الفضاءات المتغايرة التي تحتفظ، أثناء إسقاطها أو إدراكها، على نوع من التوازن، إنها مقولات جديدة تحدد العوامل في تطورها المُركَّبي.

1-3-1: الاستطاعة الإنجاز.

إن مفهوم **الإنجاز** الذي اقترحنا إدماجه في علم المصطلح السردي، ليحل محل المفاهيم الأكثر عمومية: «الاختبار»، «الرائز»، «المسعى الصعب»، والذي يفترض أن ينجزه البطل، ولمحاولة إعطاء تحديد بسيط للذات (أو للذات-المضادة) في نظامها بصفتها **ذاتاً للفعل** - هذا الفعل وبصفته مختزلاً لمتوالية معيارية من الملفوظات السردية - يستدعي طبيعياً **الاستطاعة**.

على المستوى السردي، نقترح تحديد **الاستطاعة**، مثل **الإرادة** و/أو **القدرة** و/أو **معرفة-الفعل عند الذات**، التي يفترضها فعلها الإنجازي. لقد أصبح تقريباً بديهياً القول إن، بالنسبة إلى كل نسق سيميوطيقي، إنجاز «الكلام» يفترض وجود «لسان[1]»، كما أن إنجاز الذات الدالة يفترض الاستطاعة لكي تدل. إذا كان كل ملفوظ متمظهر يتضمن، عند ذات التلفظ، ملكة[2] تشكيل الملفوظات، فإن هذه تبقى، على الرغم من ذلك، بصفة عامة ضمنية. السرد، على العكس من ذلك، في الوقت الذي يعدُّ فيه إسقاطاً متخيَّلاً لوضعيات

---

(1) إحالة على جهاز المفاهيم عند فردناند دوسوسير.
Saussure (Ferdinand de), *Cours de linguistique générale*, op. cit.

(2) إحالة على نعوم تشومسكي، بخاصة مفهوم الملكة.
Chomsky (Noam), *Aspects de la théorie syntaxique*, traduction de Jean-Claude Milner, Seuil, Paris, 1971, pp. 13-14.

«واقعية»، يبذل جهداً لتوضيح هذه الاقتضاءات بإظهار، بشكلٍ متوالٍ، الاستطاعات والإنجازات للذات، بل تقوم بأكثر من هذا. إذا كانت استطاعة الذات المتكلِّمة، مثلاً، يمكن أن تتصور مثل تركيب لجهات: الإرادة+القدرة+معرفة-القول، فإن السرد، مع إظهار هذه الاستطاعات مثل استطاعات لفعل سيميوطيقي، يمكن أن يؤدّي إلى انفصالها في الوقت ذاته، إما بإسناد جهات معرفة الفعل أو القدرة على الفعل لعوامل مختلفة، وإما بالعمل على إكساب هذه الجهات المختلفة، بشكلٍ منفصل ومتوالٍ بواسطة عامل واحد خلال برنامج سردي واحد. هذا ما نريد الوصول إليه: إذا كانت الذات **الحاصلة على الاستطاعة** تُعد مغايرة **للذات المنجزة**، فإنهما لا تشكلان، مع ذلك، عاملين مختلفين، فهُما لا تشكلان سوى ترهينين لعامل واحد هو العامل نفسه. بحسب **المنطق التحفيزي**، فإن الذات يجب أن تحصل على استطاعة معيّنة لتصبح منجزة؛ بحسب **منطق الاقتضاءات**، يتضمن الفعل الإنجازي للذات، سلفاً، استطاعة لإنجاز الفعل.

نقول إذاً إن العامل-الذات يمكن أن يُنجِز، في إطار برنامج سردي معيّن، عدداً معيّناً من **الأدوار العاملية**. هذه الأدوار تُعد محدّدة في الآن نفسه **بموقع** العامل في التسلسل المنطقي للسرد (تحديده التركيبي) وباستثماره الجهي (تحديده المورفولوجي)، وهو ما يجعل التقعيد النحوي للسردية ممكناً.

إن مصطلحية للأدوار العاملية، يمكن أن تتكون، ستسمح بوضوح تمييز العوامل ذاتها من **الأدوار العاملية** التي يكونون ملزمين بإنجازها في مسار المحكي. هكذا، يمكن أن نميز **الذات الممكنة**

من **ذات الإرادة** (أو الذات المؤسسة)؛ كما يمكن أن نميز هذه الأخيرة من **البطل وفق القدرة** (الغول[1]، رولان) أو هذه الأخيرة من **البطل وفق المعرفة** (**عقلة الإصبع**، الثعلب)... إلخ.

1-3-2: التحاقق.

إن استراتيجية الأدوار العاملية المكتسبة أو المتبادلة على طول المحكي، لا تنحصر في لعبة الاستطاعة والإنجاز. يجب أن لا ننسى، طبعاً، أن لا شيء في إطار الحكاية الشعبية، **استطاعة** الذات (= **تأهيلها**)، يمكن أن يكتسب إلا بواسطة إنجاز **مصطنع**. والحال، أننا حين نقول إنها **مصطنعة**، نضمر بأنها منجزة **لتظهر حقيقية**، ولكنها ليست كذلك «في الواقع».

مشكل التحاقق يتجاوز، هكذا، بشكل واسع إطار البنية العاملية. يتعلق الأمر في هذه اللحظة بإبراز، وذلك بإدماج داخل الإطار الذي رسمنا، مقولة **الكينونة والظاهر**، كيف أن هذه، مع تعقيد أكثر للعبة السردية، تنمّي كثيراً عدد الأدوار العاملية. باقتراح التأويل السيميوطيقي لمقولة **حقيقة**/باطل وفق تمفصلات المربع

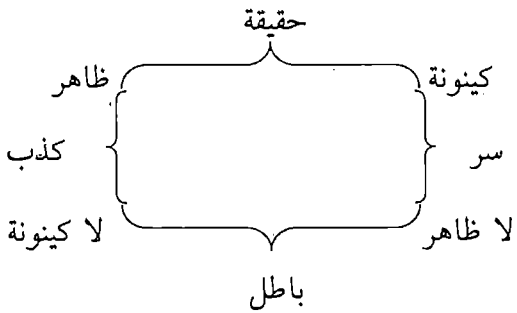

(1) شخصية الغول في الحكاية الشعبية الفرنسية تتميز بالقدرة.

نبحث ليس فقط عن تحرير هذه المقولة الجهية من علاقاتها بالمربع غير السيميوطيقي، ولكن، بخاصة، لاقتراح أن التحاقق يكون تشاكلاً سردياً مستقلاً، قادراً أن يضع مستواه المرجعي الخاص به وعلى أن ينمّط الانزياحات والانحرافات، حيث يؤسس بهذه الطريقة «الحقيقة الداخلية للنصّ».

إن التحديد التظافري للعوامل وفق هذه المقولة: **الظاهر/ الكينونة**، يمكن أن يستوضح «لعبة الأقنعة» العجيبة هذه، المكونة من مواجهات الأبطال المختفين، المجهولين، أو الذين يتم التعرف إليهم والخائنين المقنّعين، المكشوفين أو المعاقبين، التي تكون واحداً من المحاور الهامة للمتخيل السردي. على أن ما نحتفظ به الآن من كل هذا هو إمكانية تنويعات جديدة من البرامج السردية: هكذا - ولنقف عند مثال الحكاية الشعبية فقط - فإن الذات المؤسِّسة (الحاملة لجهة الإرادة) تنفجر تواً، رأينا ذلك، إلى ذات وإلى ذات-مضادة، قادرتين على أن تكتسب كل واحدة منهما استطاعات وفق القدرة أو وفق المعرفة (أو الاثنين معاً بالتتابع)، وعلى تقديم، بهذه الطريقة، إمكانية وجود، على الأقل، أربعة (أو ثمانية) **أدوار عاملية**، وهو ما يسمح سلفاً بإقامة نمذجة للذوات التي لها استطاعة (أبطال أو خائنون) وتسمح، بدورها، بتحديد مسارات سردية مختلفة. إن التحديد التظافري لهذه الذوات المختلفة التي لها استطاعة استناداً إلى جهات **حقيقة/ باطل وسري/ كذب**، يضاعف أكثر عدد الأدوار العاملية، ينوّع المسارات التركيبية التي تتخذها الذوات، ولكن أيضاً - وهذا مهم - يسمح باحتساب، بفضل عمليات الجمع، الطرح وتحديدات

الجهات التي تحدّد الأدوار، تحولات سردية تتم داخل برنامج محدّد.

بعبارة أخرى، إن الإدماج، انطلاقاً من بنيات عاملية أولية لمفهوم **الدور العاملي**، يسمح بتصور، بكثير من الثقة، إمكانية بناء تركيب سردي.

4-1: بنية الفواعل.

لتكون حاضرة داخل الخطاب السردي، فإن البنية العاملية تحتاج إلى وساطة نمذجة الأدوار العاملية التي، محدّدة في الوقت نفسه، بشحنتها الجهية وبمواقعها المركّبية على التوالي، يمكن لوحدها أن تغطي وتعطي بُعداً دينامياً للخطاب في كليته. ذلك أنه لاحقاً فقط، يمكن أن تنطلق سيرورة جديدة تؤدّي إلى التمظهر الخطابي للسردية، سيرورة تفضي إلى تراكب بنيتين، بنية عاملية وبنية للفواعل، كما تؤدّي إلى تمفصلات العوامل داخل الفواعل.

وهكذا، دون البحث في التدقيق القبلي للنظام البنيوي **للفاعل**، وبالاتّكال فقط على تصور ساذج يعتبره مثل «شخصية» تظلُّ بطريقة معيّنة حاضرة على طول الخطاب السردي، يمكن أن نأمل بأن استعمال مفهوم **دور عاملي** يمكن أن يسلِّط بعض الضوء حول الإقرار البسيط لعدم التطابق بين العوامل والفواعل (يمكن، وفقه، لعامل أن يتمظهر من خلال عدة فواعل، وعلى العكس من ذلك، فاعل يمكن أن يمثل مجموعة عوامل في الوقت ذاته) الذي، إذا اقتنعنا به، لا يصبح سوى إقرار بالفشل بالنسبة إلى نظرية تريد أن تكون تفسيرية. بعض الأمثلة تسمح بتأطير سهل لمشكل هذا اللاتطابق.

أ) سمح لنا تحليل العامل-الموضوع بالتمييز، فضلاً عن ذلك، بين نوعين من المواضيع: المواضيع التي تستثمر بـ«قيم موضوعية»، والمواضيع التي تستثمر بـ«قيم ذاتية»، على الرغم من النقص الاصطلاحي الظاهر، فإن التمييز ينهض على معيار بنيوي هو صيغة إسنادها التي تتم، في الحالة الأولى، وفق **الامتلاك**، وفي الحالة الثانية، وفق **الكينونة**. إضافة إلى هذا المعيار الأول، يمكن أن نضيف معياراً ثانياً، إنه معيار تمظهرها «الفواعلي» داخل الخطاب: بينما نجد أن المواضيع المستثمرة بـ«القيم الموضوعية» تكون حاضرة داخل الخطاب على شكل فواعل متميزة بالتفريد ومستقلة (الطعام أو الأطفال في **عقلة الإصبع**). نلاحظ أن المواضيع المستثمرة بقيم ذاتية تكون متمظهرة بفواعل يكونون معاً، وفي الوقت نفسه، ذوات ومواضيع (عقلة الإصبع، بصفته فاعلاً، يعدُّ في الوقت ذاته ذاتاً-بطلاً، وموضوع استهلاك بالنسبة إلى الغول، وممونّاً، في النهاية، بالنسبة إلى عائلته كلها[1]). وهكذا، إن الأدوار العاملية يمكن أن توزع بطريقة اتصالية أو انفصالية بين الفواعل.

ملاحظة: وهكذا، إن القيم الموضوعية يمكن أن تكون مضاعفة أو مثلثة في محكي واحد (طعام وأطفال) ويمكن أن تكون ممثلة

---

(1) يستند غريماس في هذه الاستنتاجات النظرية إلى بُنية الحكاية الشعبية: **عقلة الإصبع**. تُعد هذه الشخصية، بصفتها فاعلاً، البطل الرئيس في الحكاية الشعبية: **عقلة الإصبع**، لكنها تُعد في الوقت ذاته موضوع استهلاك (طعام) للغول حينما استفرد بها صحبة إخوتها الست في الكوخ بالغابة. كما يعدُّ في النهاية الممون للعائلة (لأبويه) حينما نجح في التخلُّص من الغول، صحبة إخوته، وفي الحصول على كل خيرات الغول اعتماداً على الدهاء.

بفواعل تابعة منفصلة، ترتبط فيما بينها بعلاقات ارتباط تركيبية مشتركة (غياب الطعام يحفّز ضياع الأطفال).

ب) الأدوار العاملية التي تحدّد استطاعة الذات، يمكن أن تتمظهر إما بواسطة الفاعل نفسه الذي يُعدُّ نفسه ذاتاً فاعلة، وإما بواسطة فواعل منفصلة. في هذه الحالة الأخيرة، الفاعل الخاضع للتفريد سيصطلح عليه، في إطار نظامه بصفته مساعداً، ووفق مطابقته للإشارية الإيجابية أو السلبية، تارة عاملاً **مساعداً**، وتارة عاملاً **معاكساً**.

ج) المرسل إليه يمكن أن يكون هو نفسه المرسِل (كذلك، البطل عند كورناي، الذي له «دين على نفسه». الفاعل الوحيد، يصبح إذاً مكلفاً بالقيام بالدورين العامليين).

د) الذات والذات المضادة، يمكن أن تجتمعا سوياً وأن تقودا، داخل فاعل واحد، «صراعاً داخلياً» إلى حدّ الموت (فاوست[1]).

بعض هذه الأمثلة تبدو دالة، بما فيه الكفاية، من أجل أن نقول إن أي عامل، أي دور عاملي، يعدُّ قابلاً أن يستثمر داخل فاعل منفصل ومستقل، وبالعكس. فإن كل الانفصالات المنجزة على مستوى البُنية العاملية يمكن، بمعنى ما، أن تكون محايدة باستثمارات اتصالية داخل فواعل أكثر تعقداً. بتبئير هذه الإثباتات، يمكن أن نتصور نظرياً نوعين نقيضين ممكنين من بُنى الفواعل: أ) التمظهر الفواعلي

---

(1) فاوست، شخصية رئيسة في حكاية شعبية ألمانية، تعرض الحكاية مصير فاوست الذي يعقد ميثاقاً مع مفستوفيليس مفاده أن يحقق كل رغباته (حياة ثانية) مقابل تسليمه روحه. شكلت الحكاية قاعدة لعدد من الأعمال الإبداعية في أجناس متعددة: الأدب، الموسيقى، السينما، التشكيل...

يمكن أن يحصل على توسع أقصى متّسم بحضور فاعل مستقل لكل عامل أو دور عاملي (القناع، مثلاً، يعدُّ فاعلاً له جهة الظاهر كدور عاملي)؛ نقول إن بنية الفواعل، في هذه الحالة، تُعد **موضوعية**؛ ب) التوزيع الفواعلي يمكن أن يكون له توسع في حدّه الأدنى ويُختزل إلى فاعل واحد يحمل على عاتقه كل العوامل والأدوار العاملية الضرورية (وهو ما يفضي إلى وضع درامي داخلي مطلق). بُنية الفواعل يصطلح عليها في هذه الحالة بأنها **مذوتة**.

بين الطرفين القصيين، تتأطر توزيعات الفواعل ذات النزعة الموضوعية والذاتية التي تمثل، نشكك في ذلك، أغلبية الحالات. إذا افترضنا أن جرد البرامج السردية قد أُنجِز (مشاكل التلقين والانتقال مجتمعة حول الاختيار التأهيلي، مشاكل التعرُّف، حول الاختبار التمجيدي... إلخ)، وأن حساب الأدوار العاملية الممكنة لكل مسار سردي قد تمَّ، فإن التوزيع الفواعلي لهذه الأدوار، يمكن أن يستعمل مثل معيار طوبولوجي بهدف إنجاز نظرية عامة للأنواع.

2. بنيات خطابية.

2-1: كيف نتعرف إلى الفواعل.

هكذا، بالانطلاق من التمفصلات الأولية للمتخيل، باقتراح البنيات الأولية - استبدالية ومركّبية - للتنظيم، وصلنا، شيئاً فشيئاً، باستعارة السبيل الاستنباطي إلى أن نتمثل الخطاب السردي بصفته مغلَّفاً بشبكة كثيفة نسبياً من الأدوار العاملية، المتمظهرة بطريقة منفصلة تارة، أو متصلة تارة أخرى بواسطة فواعل، يمكن اعتبارهم مثل عناصر للخطاب. من المستحيل نفي أهمية هذه النماذج

العاملية. لأسباب نظرية، أولاً: تكون هذه النماذج محاولة لاستيضاح الترهينات ومسارات المعنى، المولِّدة للخطاب. ولكن لأسباب تداولية، أيضاً، يجب أن تعتبر مثل نماذج تنبُّئية، مثل فرضيات مقدمة على شكل تمفصلات منطقية، يمكن إذا أُسقِطت على نصوص أن تزيد في وضوحها.

وهذا لا يمنع أن الباحث، أمام نصٍّ عارٍ، يشعر بضيق لعدم توفره على إجرائيات موضوعية، تسمح له بإجراء اختيارات ضرورية وبالتعرف إلى عناصر الخطاب (الفواعل، في حالتنا) الملائمة سردياً. الفرق بين ما يعتقد أنه يعرف حول صيغة وجود البنيات السردية وتقنيات القراءة التي توجد في حوزته، يعدُّ كبيراً: العجز النسبي **للتحليل النصي** الذي يزعم أن ينجزه بالامتناع عن تثمين معرفته السردية الضمنية، يعدُّ هنا دالاً مثلما هو الأمر بالنسبة إلى الصعوبات التي يعانيها الاتجاه البنائي الاستنباطي للوصول إلى التمظهر الخطابي.

هكذا، بتخيلنا مؤقتاً عن المقاربة الاستنباطية المحدّدة في إطار السردية، سنحاول تناول المشكل من جديد، انطلاقاً من الاعتبارات العامة حول التمظهر اللِّساني.

2-2: صور وتصويريات.

ضعف نتائج التحليل النصي، حين يبحث إمكانية تحديد إجرائيات تعرف فواعل الخطاب من بين عدد لا يحصى من العوامل التركيبية التي تشملها ملفوظاته، وتحديد، في الوقت ذاته، الفواعل في استمراريتها وفي تحولاتها، يأتي، بحسب ما يعنّ لنا، من كونها

تؤطر أبحاثها على المستوى الأكثر سطحية من تركيب الدلائل. والحال، أننا نعرف، منذ يامسليف، أنه لا يمكن أن نقوم بشيء جيد في اللِّسانيات ما دمنا لم نتجاوز هذا المستوى، ما دمنا لم نبدأ في الكشف، بعد فصل مستويي الدال والمدلول، عن الوحدات الصغيرة والعميقة في الوقت نفسه لكل واحد من المستويين حين تناوله بشكلٍ منفصل، والمسمّاة **صوراً**.

التحليل السردي الذي نشتغل به يتحدّد، فعلاً، في كليته على مستوى الدال، والأشكال السردية ليست سوى تنظيمات خاصة للشكل السيميوطيقي للمحتوى الذي تحاول نظرية السرد استيضاحه.

نظرية الخطاب التي أصبحت الدعوة إلى قيامها ضرورة مستعجلة من كل الجهات، سوف تتحمل مسؤولية البحث في الأشكال الخطابية والصيغ المختلفة لتمفصلها قبل المرور إلى النظرية اللُّغوية **بالمعنى الدقيق للكلمة**. في الوقت الحالي، إن هذه الوساطة النظرية بين الأشكال السردية والأشكال اللُّغوية ذات الأبعاد الجملية هي التي تبدو أكثر صعوبة للتحقيق.

نعود إذاً، من أجل أن نبدأ، إلى مشاكل دلالية محضة. فعلاً، إذا كان مفهوم **عامل** ذو طبيعة تركيبية، فإن مفهوم **فاعل** يبدو، على الأقل منذ النظرة الأولى، غير مرتبط بالتركيب ولكن بالدلالة؛ فاعل لا يشتغل مثل عامل سوى إذا أدرج إما ضمن التركيب السردي وإما ضمن التركيب اللِّساني. علاقة باستعمالاته التركيبية، يوجد في وضعية تقارن بوضعية وحدة معجمية اسمية تنثني لكل مناولات التركيب.

التحليل الدلالي لوحدة معجمية (للوحدة المعجمية **رأس**،

مثلاً، المحلّلة في **علم الدلالة البنيوي**[1]) يبرزها لنا حاملة لنواة مستقرة نسبياً، **لصورة** نووية تنمو، انطلاقاً منها، بعض الاحتمالات، بعض المسارات المقوماتية التي تسمح بتأطيرها ضمن سياق، أي تحقيقها الجزئي داخل الخطاب. تعدُّ الوحدة المعجمية، نتيجة لذلك، تنظيماً مقوماتياً افتراضياً، مع بعض الاستثناءات القليلة (حينما يكون أحادياً على المستوى المقوماتي)، لم يحقق أبداً كما هو في الخطاب المتمظهر. كل خطاب، في الوقت الذي يحدّد فيه تشاكله الدلالي الخاص، لا يعدُّ سوى استثمار جدّ جزئي للاحتمالات الضخمة التي يوفرها له المستودع المعجمي؛ وإذا تابع طريقه، فإنه يتركه مرصّعاً بصور العالم التي لفظها، ولكنها تظلُّ تعيش وجودها الافتراضي، مستعدة للانبعاث بأقل مجهود في التذكر.

الأبحاث التي تنصبُّ حول استشكاف «الحقول المعجمية» أظهرت بشكل جلي هذه الشحنة الممكنة للصور المعجمية: سواء أكانت موصوفة داخل إطار المعجم (مثل الوحدة المعجمية **عين** التي حللها باتريك شارودو) أو المستخلصة من نصّ منسجم (الوحدة المعجمية **القلب** في مؤلف جون إيدس، التي درَّسها كليمان لوكري). نسجل على التو أن هذه الصور ليست بموضوعات منغلقة على نفسها، ولكنها تمدد في كل لحظة مساراتها المقوماتية بالتقاء وباستدراج صور أخرى متقاربة، بتكوين كوكبيات صغيرة لها تنظيمها الخاص بها. هكذا، ولأخذ مثال مألوف، إن صورة **الشمس** تنظّم

---

(1) Greimas (A. J.), *Sémantique structurale*, op. cit., pp. 43 et suivantes.

حولها حقلاً تصويرياً يشمل: **أشعة، ضوء، حرارة، هواء، شفافية، ظلّ كثيف، غيوم**... إلخ. هذا الإقرار يدفعنا إلى القول إنه إذا كانت **الصورة المعجمية** تتمظهر، مبدئياً، داخل إطار الملفوظات، فإنها تتسامى بسهولة على هذا الإطار وتؤسِّس شبكة تصويرية علائقية تمتد على مقاطع كلية وتكون تصويريات خطابية.

نظرية الخطاب، في الوقت الذي لا تريد فيه أن تكون ملحقاً للِّسانيات الجملية، يجب أن لا تقلل من أهمية هذه الظاهرة: التصويريات التي يتعلق بها الأمر هنا ليست شيئاً آخر سوى صور للخطاب (بمعنى يامسليف[1] لهذا المفهوم)؛ مغايرة في الوقت نفسه للأشكال السردية وللأشكال الجملية، فهي تؤسِّس نتيجة لهذا، على الأقل جزئياً، خصوصية الخطاب مثل شكل لتنظيم الخطاب.

معرفة وإسناد نظام بنيوي خاص للتصويريات الخطابية، يسمح منذ الآن بتجميع، تحت العنوان نفسه، عدد من الإشكاليات التي يمكن أن تظهر، لأول وهلة، متنافرة.

نعرف مثلاً أن التحليل السردي للحكايات الشعبية يترك جانباً مشكل **الحوافز**، مقاطع متحركة، تحلُّ الواحدة محلَّ الأخرى في الوظائف السردية نفسها، قادرة أيضاً على تحمّل مسؤولية وظائف مختلفة، وعلى التقدم مثل تفريعات مستقلة أو مثل محكيات مستقلة. إن التمييز بين مستويين للتنظيم السيميوطيقي - سردي وتصويري -

---

(1) انظر:

Hjelmslev (Louis), *Prolégomènes à une théorie du langage*, op. cit., p. 58.

يسمح بإزالة، نظرياً، هذه الصعوبة بتفسير، من بين أشياء أخرى، الاستمرارية البنيوية للمحكيات والهجرات التناصية للحوافز.

إن معرفة جيدة للتصويريات الخطابية تسمح بتأطير، بدقة أكبر، المشروع العلمي الذي ينهض عليه عمل جورج ديميزيل. الإنجاز الهام الذي قام به هذا النحوي المقارِن هو إنجازه **ميثولوجيا مقارنة**: إنه يقوم بالأساس على نقل الإجرائيات المنهجية لمستوى الدال إلى مستوى المدلول، وعلى توسيع، أيضاً، أبعاد الوحدات المأخوذة بعين الاعتبار، وهذا ما يجعل محل الدراسة المقارنة للفونيمات المأخوذة داخل متون من المورفيمات المحققة، تحل دراسة التصويريات الخطابية داخل الخطابات الميثولوجية. وهكذا، يمكن أن يتموضع المستوى الخطابي للأبحاث داخل إطار الاقتصاد العام للسيميولوحيا.

وفي مجال مغاير، هو مجال **البحث التيماتي**، عدد من الأعمال من غاستون باشلار[1] إلى جان بيير ريشار[2]، تنم عن هم استكشاف المسارات التصويرية نفسها التي تخترق الخطابات. أكثر من هذا، هل نستطيع أن نؤاخذ على باشلار مسلّمته، الضمنية تقريباً، المتعلقة بكونية التصويريات التي يحاول وصفها: فبينما يمكن

---

(1) يتعلق الأمر بأعمال غاستون باشلار (1884-1962) حول التيمات الشعرية، وبخاصة دراساته حول العناصر الأربعة: (الماء، النار، الهواء، التراب). انظر، مثلاً:

Bachelard (Gaston), *L'eau et les rêves. Essai sur l'imagination de la matière*, Corti, Paris, 1943.

(2) من أعلام النقد التيماتي، انظر، مثلاً:

Richard (J. P.), *Poésie et profondeur*, Seuil, Paris, 1955.

أن تعتبر البُنيات السردية مثل بُنيات تخصص المتخيل البشري عامة، تُعد التصويريات الخطابية حوافز وتيمات كما أنها تُعد قابلة أن تتّسم بعمومية كبيرة وبهجرات عبر لغوية خاضعة لتصفية تنسيبية تربطها بالفضاءات وبالمجموعات السيميائية-الثقافية.

هذه إذاً مجموعة من الوقائع التصويرية - لكي لا نذكر سوى الأكثر تخصيصاً - التي يجب جمعها وتقويمها من أجل إعطائها صياغة سيميوطيقية منسجمة - وهو ما ليس بالأقل أهمية بالنسبة إلينا - بهدف جعلها مطابقة لمتطلبات النحو السردي.

2-3: الأدوار التيماتية.

إن الإقرار بوجود مستويين - سردي وخطابي - مستقلين ومتداخلين، يستوضح جيداً الخطوة الغامضة لعامل السرد، المدعو إلى متابعة، بشكل متزامن، المسارين التركيبيين المفروضين عليه من جهة، البرنامج السردي المحدد بواسطة توزيع الأدوار العاملية، ومن جهة أخرى، الممر المفضّل المشيّد بواسطة التصويرية الخطابية، حيث تقترح صورة ما، حالة وضعها، تسلسلاً تصويرياً، يعدُّ نسبياً، قسرياً.

هذان المساران، على الرغم من ذلك، ومع أنهما متوازيان ومن الممكن توقعهما بطريقة معيّنة، يعدان من طبيعة مختلفة. يعدُّ الأول برنامجاً مختاراً بشكل قصدي في إطار نحو سردي، أما الثاني فيصدر عن **معجم خطابي**، عن جرد خطابي مكون من تصويريات مشكّلة انطلاقاً من فضاءات جماعية و/أو فردية مغلقة. طبعاً، كما أن معجماً جملياً، يعدُّ قائمة من الصور المعجمية تتضمن كل واحدة

تعداد إمكانياتها المقوماتية السياقية بعدد محدود، يعدُّ أيضاً مسموحاً تصور معجم خطابي مثل مستودع من «التيمات» و«الحوافز» مكون من ومن أجل الاستعمال الخاص بالمشاركين في فضاء دلالي (والذي تكون فيه الأصالة كامنة في خط المسارات التوليدية الجديدة، الوحدات المعجمية، الممكنة ولكنها غير المحققة بعد).

لأنه يجب أن لا ننسى أن التصويريات الخطابية ليست شيئاً آخر سوى أنها «أشكال محتوى» خاصة بالخطاب: التمظهر الخطابي للسردية لا يعدُّ، في هذا الإطار، سوى إدماج في المواضيع السردية المولدة بواسطة النحو السردي، **لمكونها الدلالي** المقدم، حقيقة، في شكله المركّبي والمنجَز سلفاً مثل شكل، وليس مثل مادة للمحتوى. اتصال الترهينين، السردي والخطابي، له، إذاً، نتيجة استثمار المحتويات في الأشكال النحوية المعيارية للسرد، ويسمح بتقديم الإرساليات السردية الحاملة لمعنى.

كون الخطاب يظهر مثل الشكل المنجز للمحتوى الذي يتمظهر بواسطة تصويريات ذات طبيعة مركّبية، لا يعني أنه لا يطرح مشكل تنظيمها البنيوي. بعض الأمثلة، غير المتجانسة من النظرة الأولى، تسمح ربما باستشفاف، إن لم يكن الحل، على الأقل اتجاهات البحث التي ينبغي الشروع فيها.

إن مفهوم التصويرية الخطابية هو الذي يسمح باستيضاح الطريقة، مثلاً، التي يتحدد بها تشاكل غذائي وحيد داخل أسطورة بورورو[1] من أصل النار، التي حاولنا، في مكان آخر، تحليل

(1) قام غريماس بتحليل هذه الأسطورة ضمن كتاب: **في المعنى**، انظر:
Greimas (A. J.), *Du sens*, op. cit., pp. 185-230.

التنظيم المركّبي فيها، وهذا رغم التغيرات التشاكلية التي تخصص كل مقطع: تصويرية واحدة تمتد على طول الخطاب الأسطوري، ولكن بالتمفصل - وبتقطيع في اللحظة نفسها **مقاطع تصويرية** - تارة حول الفاعلين (المستهلكين للطعام) وتارة حول موضوع الاستهلاك نفسه، وتارة، في نهاية الأمر، حول منتجي المطبوخ والنيء (**النار والماء**). نرى أن التصويرية الخطابية تنتظم وفق الخطاطة المعيارية للملفوظ (مرسل - موضوع - مرسل إليه)، كل عنصر من عناصر هذه الخطاطة يعدُّ قادراً على إنتاج مسار تصويري مستقل. هذا الإسهام للتصويريات في التنظيم المركّبي للخطابات يضيء بشكلٍ جزئي واحداً من بين فصول ما نصطلح عليه أحياناً بالماكرو-أسلوبية.

غير أن خاصية بنيوية أخرى لهذه التصويريات - تعدد معنى الصور التي تكونها - هي التي تسمح بفهم، بالرجوع إلى نصوص أخرى، كيف، مثلاً، أن اختيار صورة متعددة المعاني، وهو يقترح احتمالياً عدداً من المسارات التصويرية، يمكن أن يفضي، شريطة أن تكون العناصر التصويرية المنبثقة أثناء التحقيق غير متناقضة، إلى **التنظيم التشاكلي المتعدّد للخطاب**.

في حالات أخرى، على العكس من ذلك، إن تردداً خفيفاً في اختيار هذه الصورة أو تلك بتحميلها دوراً محدداً، يمكن أن يتسبب في ظهور مسارات تصويرية مختلفة، ولكنها متوازية. تحقيق هذه المسارات التصويرية يدمج، بهذه الطريقة، إشكالية التفريعات: سواء أكانت الصورة المكلَّفة بتمثيل المقدس هي صورة القسّ، خادم الكنيسة أو صورة موظف الكنيسة، فإن النمو التصويري لكل المقطع يصبح متأثراً، صيغ الفعل، الفضاءات التي سينجزُ داخلها هذا

الفعلُ، التي تكونُ مُطابقة في كل مرة للصورة المُنتقاة في البداية، كلُّ هذه العناصر تُصبحُ مختلفة، في الأبعاد نفسها، عن بعضها البعض. بتبئير الظاهرتين، يمكن أن نقول إن صورة وحيدة في الأصل، في حالة التشاكل المتعدّد، يمكن أن تفضي إلى امتدادات دلالة متراكبة داخل خطاب واحد؛ في حالة تعدد التفريعات، التنوع التصويري المضبوط والمنظم بواسطة الحضور الضمني لدور وحيد، لا يمنع متابعة دلالة مقارنة، إن لم تكن متساوية في عدد من الخطابات المتمظهرة. أهمية هذا المثال الأخير، تكمن، نرى ذلك، خاصة في ظهور، تحت تصويرات مختلفة، دور تيماتي وحيد. لأن المشكل الذي يطرح داخل إطار نظرية السردية، وبخاصة مكونها العاملي، هو معرفة ما إذا كانت التصويرات الخطابية يمكن أن تخضع للتحليل البنيوي، وما إذا كان، في حالة جواب إيجابي بدأ يظهر أنه يتدقق، هذا التحليل يستطيع أن يخلص إلى عناصر اسمية خفية قابلة أن تواجه وتقوّم عنصراً بعنصر مع الأدوار العاملية، والحال أن الاختزال المحتمل للتصويريات إلى أدوار خطابية يمكن فعلاً أن يؤدّي الغرض المقصود.

في الأمثلة المتفرقة بالصدفة لهذه التأملات - **عين، قلب، شمس، نار، خادم كنيسة** - كل شيء يمرُّ كما أن الصور الاسمية (اسمية لأنها حاملة لمقوم «كوني»، يسمح باعتبارها مثل موضوعات بالتقابل مع الصيرورات) كانت حاملة لاحتمالات تسمح بتصور ليس فقط تحقيقاتها المقوماتية الجملية، ولكن أيضاً الشبكات الممكنة لمحمولاتها التصويرية، موضوعات تصويرية محتملة تستهدفها حينما تكون في موقع ذوات، أو ذوات محتملة يمكن أن تسخّرها مثل

مواضيع. إسقاط ممكناتها على تشاكل خطابي معيّن، مع السماح بتمظهرها الموسع على طول الخطاب (أو على مقطع من الخطاب)، تفرض عليهم نظاماً معيّناً وذلك بالسماح بتحقيق بعض المسارات التصويرية المعيّنة فقط، مع استثناء مسارات أخرى تظلُّ معلَّقة. مع كل التحفظات، يوافق التصوير الخطابي، في إطار الخطاب، الدور التيماتي، كما أن الوحدة المعجمية توافق المقوم السياقي في إطار الملفوظ.

يعدُّ هذا الإثبات مضيئاً، غير أنه غير كافٍ: التصويرية تضمُّ في قلبها كل الصور - اسمية، فعلية ولكن أيضاً ظرفية مثل المكان والزمن - التي تكون قادرة على الربط بينها: الدور التيماتي لا يعدُّ سوى صورة اسمية. إذا استطعنا الادّعاء بأنه يجمع، بمعنى معيّن وفي حدود يحدّدها له تشاكل الخطاب، كل الصور غير الاسمية لتصويريته، فإن ذلك يتم بموجب خاصية من خصائصه البنيوية. زيادة على **التيمة**، يعدُّ أيضاً **دوراً**، وعلى المستوى اللِّساني، يمكن أن نجد له معادلاً بنيوياً في اسم فاعل، الذي يعدُّ في الوقت نفسه اسماً (= صورة اسمية) وفاعلاً (= دور شبه تركيبي). الوحدة المعجمية **صياد**، مثلاً، تعدُّ بناءً سطحياً جدّ مكثف: يعين من يملك استطاعة محدودة في فعل معيّن قابل للتوسع، حيث، حين يكون مبرزاً، يمكن أن يغطي مقطعاً خطابياً طويلاً، غير أنه يحافظ، في الوقت ذاته، على هذا المستوى على الأقل، على طبيعته الدلالية؛ يمكن أن يحتل، في «النحوين» معاً، اللُّغوي والسردي، مواقع عاملية مختلفة.

الدور التيماتي يتحدّد وقتئذٍ بعملية اختزال مزدوج: الأول هو اختزال التصويرية الخطابية إلى **مسار تصويري** واحد محقق أو ممكن

التحقق داخل الخطاب، الثاني هو اختزال هذا المسار إلى فاعل له استطاعة، يمكن أن ينجزه. كل صورة نصادفها داخل الخطاب، وحين تكونُ مستثمرة بدور تيماتيكي في إطار الشروط التي يجب تدقيقها، يمكنُ أن تُحلَّلَ وتوصف، للضرورة، إما بصفتها تصويرية عامة وإما بصفتها مساراً تصويرياً مغلقاً داخل الكون الخطابي.

إن صورة **الصياد** بتمظهرها داخل الخطاب على شكل دور تيماتي (نفكر خاصة في **الصديقان**[1] لموباسان) تظهر مثالاً جيداً يسمح لنا ربما بتجاوز الحدّ الذي يفصل، للوهلة الأولى، صور المعجم المثبتة بواسطة الاستعمال والقابلة للتسنين نظرياً عن صور في طريقها إلى التكون، وهي، مثلاً، شخصيات الرواية. الصياد (مثل وحدة معجمية) يحمل في ذاته، طبعاً، كل إمكانيات فعله، كل ما يمكن أن ننتظره منه من سلوك؛ إن تحويله إلى تشاكل خطابي يجعل منه دوراً تيماتياً قابلاً للاستعمال بواسطة المحكي. شخصية الرواية، مع افتراض أنها مدرجة، مثلاً، بإسناد اسم علم يمنح لها، تُبنى تدريجياً بواسطة تعبيرات تصويرية متعاقبة ومنتشرة طول النصّ، ولا تبسط صورتها المكتملة إلا في الصفحة الأخيرة، نتيجة التذكر المنجز من لدن القارئ. ويمكن أن يحل محل هذا التذكر، بصفته ظاهرة ذات طبيعة سيكولوجية، الوصف التحليلي للنصّ (= **قراءته** بمعنى الفعل السيميوطيقي) الذي يسمح بإبراز التصويريات الخطابية التي يتكون منها وباختزالها إلى الأدوار التيماتية التي يتحمّل مسؤوليتها. وهذا لا يمنع، بتموضعنا من وجهة نظر إنتاج النصّ، من

(1) Greimas (A. J.), *Maupassant, la sémiotique du texte*, op. cit.

أن نكون ملزمين بقلب الإجرائيات وإعطاء الأولوية المنطقية للأدوار التيماتية التي تنفرد بالصور وتنمّيها داخل مسارات تصويرية، تشمل ضمنياً كل التصويريات المحتملة للخطاب المتمظهر.

منذ هذا الوقت، يصبح من السهل القيام بخطوة أخيرة والقول إن انتقاء الأدوار التيماتية، التي تأكدت أولويتها المنطقية في علاقتها بالتصويريات، لا يمكن أن يتم سوى بمساعدة العناصر النهائية التي تنتهي إليها عملية تأطير البنيات السردية، أي الأدوار العاملية. إن تحمّل الأدوار التيماتية بواسطة الأدوار العاملية هو الذي يكون الترهين الوسيطي الذي ينظّم الانتقال من البنيات السردية إلى البنيات الخطابية.

ملاحظة: من البديهي أن إدراج مفهوم **الدور التيماتي** لا يفتأ يطرح بعض الصعوبات الجديدة الجمّة، كل تخصص - علم النفس، علم النفس الاجتماعي، السوسيولوجيا - يقدّم جرده الخاص بالأدوار. التمييز الذي اقترحنا في وقت آخر بين «الشكل السيميوطيقي» و«الشكل العلمي» يمكن أن يستعمل هنا من أجل التمييز بين نمطين من «الأدوار». أعمال كلود بريمون[1] تستحق، بهذا المعنى، كل اهتمامنا.

(1) يحيل غريماس هنا على أعمال كلود بريمون التي اقترح فيها مفاهيم لتحليل النصّ السردي، وتقوم على الاحتمالات السردية و«الأدوار السردية»: الفاعل، الضحية، المؤثر ودور المحسن والذي ينجز فعل «التقهقر». انظر:
Brémond (Claude), *Logique du récit*, op. cit.

3. خلاصات.

إن العودة التي قمنا بها للمقاربة الاستنباطية تسمح بتدقيق، ولو بصفة مؤقتة، تصورنا لتسريد الخطاب. النحو السردي يولّد مواضيع سردية (= «محكيات») يتم تصورها مثل مسارات سردية منتقاة من أجل التمظهر. هذه الأخيرة تعدُّ محدّدة بتوزيع خاص للأدوار العاملية ممهورة بجهات، ومحدّدة بمواقعها الخاصة في إطار البرنامج السردي. الموضوع السردي، بامتلاك بنيته النحوية، يصبح مستثمراً، نتيجة تمظهره داخل الخطاب، بمحتواه الخاص. الاستثمار الدلالي يتم بالانتقاء، المنجز بواسطة الأدوار العاملية، للأدوار التيماتية التي، ولإنجاز ممكناتها، تستثمر المستوى المعجمي للُّغة وتتمظهر على شكل صور تتمدد داخلها تصويريات خطابية.

الخطاب، منظوراً إليه من المستوى السطحي، يظهر هكذا مثل انتشار مركّبي مرصّع بالصور، متعدّدة المعنى، محمّلة بممكنات متعدّدة مجتمعة عادة داخل تصويريات خطابية مستمرّة أو البعض فقط من هذه الصور، القادرة على تحمّل أدوار عاملية، تصبح مشيّدة على شكل أدوار تيماتية: تحمل، إذاً، اسم **الفواعل**. الفاعل هو، إذاً، فضاء لالتقاء واتصال البنيات السردية والبنيات الخطابية، لالتقاء واتصال المكون النحوي والمكون الدلالي، لأنه مسؤول على الأقل، وفي الوقت ذاته، على دور عاملي وعلى الأقل على دور تيماتي، وهما يحدّدان قدرته وحدود فعله أو حدود كينونته. وهو في الوقت نفسه فضاء استثمار لهذه الأدوار، ولكن يعدُّ أيضاً فضاء لتحولهم ما دام أن الفعل السيميوطيقي، بصفته فعلاً إجرائياً في إطار المواضيع السردية، يتعلق بالأساس بلُعبة الامتلاك والفقد، التحويل

وتبادل القيم، الجهية أو الأيديولوجية. تظهر بُنية الفواعل، حينئذٍ، مثل بنية طوبولوجية: بانتمائها في الوقت ذاته إلى البنيات السردية والخطابية، لا تعدُّ سوى فضاء لتمظهرها، دون الانتماء في الواقع إلى هذه أو إلى تلك.

الباب الثالث

دراسات سيميائية تطبيقية

الفصل الأول

البحث عن الخوف[1]

تأملات في مجموعة من الحكايات الشعبية

ملاحظات أولية:

التأملات التالية تقدَّم على شكل تحليل قبلي ولا يمكن أن تعتبر سوى مثل اقتراحات أو فرضيات. إنها تسير في اتجاهين مختلفين:

أ) إنها ترمي إلى تنمية معرفتنا بالنماذج السردية؛

ب) ترغب في الإسهام بتقديم بعض العناصر للمشكل، الصعب والدقيق، مشكل العلاقات التي يمكن أن توجد بين الفولكلور والميثولوجيا.

المتن الذي تستند إليه هذه التأملات يتكون من ثلاث وثلاثين من روايات الحكاية الشعبية **اللتوانية**[*] التي تعدُّ تيمتها الرئيسة: مغامرات البطل الذي لا يخاف[2]. هذه التيمة المنتشرة بشكلٍ كبير

---

(1) كُتبت هذه الدراسة تكريماً لكلود ليفي ستروس.

(*) النصّ مقتطف من كتاب أ. ج. غريماس: **في المعنى**. انظر:
Greimas (A. J.), *Du sens*, op. cit., pp. 231-247.

(2) خمس روايات لهذه الحكاية توجد في مؤلف ج. باسنفتشيس (J. Basanavičius)، شيكاغو، 1905. ندين بالباقي من الروايات إلى =

تشكّل جزءاً من المصورات والحبكات الشعبية لعموم أوروبا: هذا يعفينا من تقديم نصّ الحكاية - هنا - نفسها، ويسمح لنا بافتراض أن الاعتبارات المتعالقة بالبُنية السردية لها امتداد أكثر عمومية. في الوقت الذي، مع ذلك، يكون فيه المحتوى «العجيب» أو الأسطوري للحكاية موضوع تأمل، فإن الخلاصات التي يتم استنتاجها، تكون لها صفة حصرية ولا تطبَّق سوى على السياق الثقافي اللتواني: إذا كانت هناك تعميمات، تقاربات مع وقائع تنتمي إلى المجال الأوروبي أو إلى الميثولوجيا الهند، أو أوروبية تعدُّ أحياناً ممكنة، فإنها تخرج عن إطار هذه المحاولة[1].

1. البنية السردية:

من بين وسائل استكشاف مجال غير معروف، الانطلاق، بداهة، من المعروف. والحال، أن ما نعرفه حتى الآن بشكل جيد في مجال الحكاية الشعبية، يأتينا من بروب الذي حلَّل مجموعة الحكايات الروسية التي تُجمَع، تقليدياً، تحت تسمية الحكايات العجيبة. هذه الخاصية «العجيب»، تمتلكها المجموعة الصغيرة من الحكايات التي تنصبُّ حولها تأملاتنا. تمتلكها بشكل مشترك مع الحكايات المستكشفة من لدن بروب: نفكر بأن حكايتنا لا تعدُّ سوى

= الجميل الذي خصصنا به معهد اللُّغة والأدب اللتواني لأكاديمية العلوم اللتوانية، حيث تمتلك الوثائق سبعاً وعشرين من الروايات الأخرى المخطوطة، ورواية أخيرة نشرت بترجمة بولونية.

(1) نعترف بجهلنا لمحتوى الكتاب المهم الذي خصصه م. إيفانوف وتوبوروف للميثولوجيا البيلاروسية، القريبة جداً من الميثولوجيا اللتوانية.

مجموعة تابعة لهذا النوع: «العجيب». لسوء الحظ، إن خاصية العجيب، نفسها، في الحكايات، لم توصَف، فعلاً، من لدن بروب، وهو ما يفضي إلى نقص في المعرفة الكافية بسننها (الفضاء الدلالي الذي تتصل به)، يضاف إلى هذا أن من بين العناصر الأصيلة لتحليل بروب هي التي تكمن، بالتدقيق، في التحديد الشكلي للحكاية (حيث يعتبرها مثل نوع خاص، مثل واحد من بين الأنواع الممكنة للبنية السردية) باستقلال عن المحتوى الخاص بها.

في محاولتنا لاستثمار اكتشاف بروب، حاولنا إبراز المقولات الدلالية الرئيسة التي تمنح إطارها الشكلي للبنية السردية[1]. أيضاً، هل سيكون من المفيد إعادة تناول، الواحدة تلو الأخرى، المقولات الرئيسة المعروفة، لننظر كيف أنها تسلك سُبُلاً داخل محكي الإنجازات الباهرة للبطل الذي لا يخاف؟

1-1: البطل والنظام الاجتماعي.

الوضعية الأولية للحكاية العجيبة تبدو وكأنها تشمل عدداً من الثوابت:

1. يتأكد داخل الحكاية العجيبة وجود نظام اجتماعي يتمظهر بواسطة التمييز بين الفئات العمرية، ويتأسس على الاعتراف بسلطة القدماء.

2. تتميز الوضعية الأولية باختلال هذا النظام، الناجم عن

---

(1) انظر كتابنا: **علم الدلالة البنيوي**، باريس، لاروس، 1966؛ وبخاصة الفصول الثلاثة الأخيرة التي تعالج البنيات السردية.

عقوق ممثلي الجيل الجديد (وليس عن عقوق البطل نفسه) وعن الظهور المتعاقب لشؤم واغتراب المجتمع.

3. دور البطل - الفرد الذي ينفصل هكذا عن المجتمع - يكمن في التكلف بمهمة، مع هدف إلغاء الاغتراب وإعادة التوازن للنظام الاجتماعي المختلّ.

منظوراً إليها من هذه الزاوية، تظهر الحكاية المدروسة من لدن بروب وكأنها تمثل **جزءاً من طبقة تابعة لمحكيات** (تشمل أيضاً المحكيات الأسطورية، الأدبية، أو ببساطة الحكايات التي يحيكها الإنسان لنفسه). يمكن أن نعينها مثل محكيات إعادة ترميم النظام الاجتماعي.

في علاقتها بهذه الطبقة التابعة، تتكشف حكاية البطل الذي لا يخاف عن تمايزات واضحة جداً:

1. تشمل بشكل واضح، أولاً وقبل كل شيء، تأكيد نظام اجتماعي مؤسَّس على السلطة بالمعنى العام: طاعة القدماء والخوف من المقدَّس.

2. إن هذا النظام الاجتماعي إذا تمَّ الإخلال به، فإن ذلك لا يتم بواسطة الجيل الجديد، ولكن بواسطة السلوك المخالف للمألوف للبطل الذي تعدُّ صفاته اللااجتماعية موسومة بوضوح كبير. سيكون، ربما، من العدل أن نقول إننا، فعلياً، لا نرى لا اختلال النظام الاجتماعي ولا النتائج الوخيمة التي تنجم عن هذا الاختلال. الاختلال والاغتراب لا يتحددان على مستوى المجتمع، ولكن على مستوى الفرد: عدم الاعتراف (الذي يعيش داخله) بالسلطة الدنيوية والسلطة المقدسة، يعبِّر عنه البطل مثل نقص، مثل اغتراب؛ إنه

يمثل، هكذا، القوة النابضة للمحكي، التي تتقدم بصفتها بحثاً عن السلطة التي يجب الاعتراف بها.

3. البطل، محروماً من الوظيفة الاجتماعية، يبحث عن إلغاء اغترابه الخاص، عن استعادة مبدأ النظام الذي يستطيع أن يندمج داخله.

البطل الذي لا يخاف لا يبحث، إذاً، عن إعادة ترميم النظام الاجتماعي، ولكن عن إيجاد نظام للعالم.

1-2: غياب العقد وبحث المرسل.

ينتج عن هذه المعطيات الأولية تحوّل مهم ومتوقع لبنية المحكي.

محكي **إعادة توازن** النظام الاجتماعي ينتظم، رأينا ذلك، على محورين دلاليين رئيسين:

1. المرسِل (سلطة اجتماعية تحمّل البطل مسؤولية مهمة الخلاص) يحمّل البطل دور المرسل إليه، ويقيم، هكذا، علاقة تعاقدية انطلاقاً من أن إنجاز العقد سيجازى بواسطة مكافأة (هكذا، إن المحكي يعانق الشكل، الأكثر عمومية، للتبادل).

2. العقد يؤسِّس محور البحث، التمظهر السردي، لرغبة الذات في الوصول إلى الموضوع؛ إنه يفسر، بهذه الطريقة، حضور جسد المحكي الذي يتمفصل بصفته نشاطاً مبرمجاً.

المحكي الذي يبحث عن إقامة نظام جديد، يتقدم بطريقة مخالفة:

1. سواء أذهب **البطل** إلى المغامرة عن طيب خاطره، أو أنه

طرد من إقامته من دون مهمة، هذا يبرز غياب المرسل ويحرم البطل من خاصيته المكتسبة طبيعياً، وهي خاصيته بصفته مرسلاً إليه. محور **مرسِل/ مرسل إليه** غير متمظهر إذاً، ولا يمكن أن يؤسِّس البحث. البطل يعدُّ، هكذا، بمعنى من المعاني، تجسيداً للإرادة وللحرية الخالصة للفعل.

2. أولوية المحور **ذات/ موضوع** لا يمكن إلا أن تحدث مركّبات لعوامل يكون السارد أول من يتضرر منها. وهكذا، إن البطل من دون عقد يصبح مرسله الخاص: أثناء إنجازاته، لا يرفض فقط المكافأة، ولكنه يكافئ هو نفسه هؤلاء الذين يعيّنون له أين يستطيع أن يجد الخوف. هناك تركيب الذات والمرسل. فضلاً عن هذا، إذا كان موضوع البحث هو الخوف، هذا يدلُّ على أن الذات تبحث عن شيء ما أو عن شخص ما - مجازياً أو بشكل مباشر - يسبب له الخوف، بمعنى أنه يبحث عن شخص معيّن يستطيع أن يتعرف فيه إلى السلطة. إن بحثه يعدُّ، عامة، بحث المرسِل: هناك، إذاً، تركيب للموضوع وللمرسِل.

بمتابعة هذه البرهنة، نستطيع أن نقول إن الرغبة في إيجاد المرسل تتضمن رغبة في أن يصبح مرسلاً إليه: البحث، إذاً، هو البحث عن العقد.

1-3: الاختبار: انتصار أو فشل.

تحليل البنية السردية من لدن بروب، أنتجَ وجود، إلى جانب العقد، مركّب سردي آخر عميق: الاختبار. بمجرد ما أن ذهب في رحلة بحث، أنجز البطل مجموعة من الإنجازات، وهي مدرجة بطريقة

معيّنة، يجب أن تبلغ الانتصار الذي يتبعه امتلاك موضوع الاغتراب. هذه المجموعة التابعة من الحكايات تمتلك، من دون شك، هذه البُنية المركّبية الأولية المحددة على محور الرغبة: الرغبة تكون، طبعاً، على مستوى السلوك الخارجي، علّة وجود قتالية بطلنا وإرادته في الانتصار. ليكون حقيقة البطل، يجب أن يرغب في الانتصار، بل حتى في نوع المحكيات التي نتخذها مرجعية يجب أن يكون منتصراً.

والحال، أن الخوف هو موضوع بحثه والاختبارات التي يبحث عنها يتمُّ تصورها كلها من أجل أن تحدث لديه الخوف. المعاكس في هذه الاختبارات لا يمكن أن يكون سوى المرسل المحتمل (أو انبثاقه، تمظهره الإلزامي). إن الوضعية التي يؤول إليها المحكي تعدُّ، إذاً، مفارَقة: يجد البطل نفسه أمام ضرورتين متناقضتين، يجب أن يرغب في الانتصار، لكن بمجرد ما يصبح منتصراً، لن يبلغ موضوع بحثه؛ لينجز مهمته يجب أن يكون منهزماً؛ غير أنه، إذا كان منهزماً، يتوقف عن أن يصبح بطلاً. مبدآن يتحكّمان بشكلٍ متوازٍ في هذا النوع السردي: أ) الصفة البطولية للبطل (قاعدة البنية العاملية) ب) ضرورة، بالنسبة إلى المحكي، أن تكون له نهاية، بمعنى إنجاز الاختبار بالحصول على الموضوع (قاعدة البنية الوظيفية)؛ والمبدآن يبدوان، في هذه الحالة، أنهما يلغيان بعضهما البعض بشكلٍ متبادل.

المشكل، منذ النظرة الأولى، يبدو من دون حلّ، ويمكن، أيضاً، أن نتساءل ما إذا كان نوع المحكيات، موضوع التأمل، يعدُّ خاصاً بتمظهر مثل هذه المحتويات. سنعود إلى هذا الأمر.

يجب أن نسجل على كل حال حيرة السارد وهو أمام هذا التناقض. لقد كانت لنا فرصة رؤية، في مكان آخر، من وجهة نظر

السارد، أن توليد المحكي يُلزِمه بأن يأخذ بعين الاعتبار، في الوقت ذاته، التساوقات واللاتساوقات بين هذه البداية ونهاية المحكي، وأنه من الصعب أن نأخذ بعين الاعتبار النهاية كما هو الأمر بالنسبة إلى البداية، على الأقل، لأن عدد المتغيرات التي تجب السيطرة عليها يعدُّ مرتفعاً.

من الطبيعي، نتيجة لهذا، أغلب الروايات لحكايتنا **تفضِّل البطل المنتصر بدل انتصاره** النهائي (أي، إجمالاً، بدل فشله) وأن الحكاية تخضع، أثناء سيرورة السرد، إلى انحراف يؤدّي إلى نسيان موضوع البحث، وفي الوقت نفسه نسيان غايته: **البطل**، المنتصر على فلنياس (= الجن)، يكافأ على نجاحه ويحصل على بنت الملك وعلى مقاليد السلطة. فقط ست روايات من بين ثلاثة وثلاثين المعروفة، تتذكر الهدف الذي رسمه البطل لنفسه، وتضيف إلى المحكي مقطعاً - ختامياً من دون علاقة - على مستوى البنية السردية السطحية مع المحكي، نفسه، ولكنها تحاول إنقاذ، بهذه الطريقة غير المعيارية، بُنيته العميقة.

نلاحظ أن قلب الوضعية الأولية التي تُحدِث الاستبدال المركّبي للبُنيات السردية - وذلك بوضع العقد بعد وليس قبل الاختبار - له نتيجة إثارة التناقضات البنيوية ويفضي في النهاية إلى فشل المحكي، منظوراً إليه في إطاره الشكلي.

1-4: الفضاء البطولي: العجيب أو الأسطوري؟

هناك عنصر بنيوي أخير يدخل في تحديد المحكي بصفته نوعاً: الانفصال المكاني. المحكي يتحدّد، ضرورة، على تشاكلين مختلفين

ومنفصلين: الفضاء الذي يقام عليه المجتمع، والفضاء الذي يُنجِز داخله البطل إنجازاته. هذا الفضاء البطولي - هو الذي يتحدّد داخله تقريباً كل «عجيب» الحكاية المحلَّلة من لدن بروب - يعدُّ فضاءً مغلقاً، ويجد نفسه محدّداً بإشارية اجتماعية تطبعها عودة البطل. في تعالق مع /هنا/ اجتماعي، فإن /**الهناك**/ هو الذي يسمح بتوحّد البطل وإنجاز تحويلات القيم التي تنعكس لاحقاً، بعد عودته، على الكينونة القيمية للمجتمع.

المجموعة التابعة للحكايات التي نتأملها تعدُّ، على النقيض من ذلك، متّسمة باللاعودة للبطل. فيما عدا بعض الاستثناءات، فإن ذهاب البطل يعدُّ نهائياً، كيفما كان الحلّ النهائي الذي يجده السارد من أجل إنهاء الحكاية. ويعدُّ هذا، فضلاً عن ذلك، متماسكاً لأن البطل هو النافي للقيم التي يتأسَّس عليها المجتمع: السلطة المدنسة ممثلة بالأب والسلطة المقدسة التي يعدُّ مالكها هو الأسقف، لا تعدُّ سوى متصنّع مخيِّب للآمال. تنقصه من جهة أخرى، من أجل أن يكون بطلاً سرّياً، الرغبة في تحويل المجتمع.

لقد رأينا أن ذلك ينتج عنه، على مستوى السرد، انحراف للمحكي. بما أن الأمر يتعلق ببطل من دون عقد ومن دون التزام بالعودة، لا يمكن إلا أن يولد حكاية ثانية من دون علاقة مع الأولى. غير أن هذا المحكي الثاني، المنفصل بهذه الصيغة، قد فقد، نتيجة لذلك، غائيته. إنجازات البطل - رغم أنها مركّبة من رواية إلى أخرى، وفق بعض المبادئ البسيطة للتدرج - تظهر نتيجة هذا مثل مراحل منقطعة يمكن أن ننظمها داخل سلسلة واحدة، مثل «وقائع وإشارات» مجانية لبطل (حيث تكون أنشطته تشكيلة من

التمظهرات التوقعية توضِّح طريقته في الوجود بشكلٍ مستمر، وتحيل على «طبيعته»، وليس مثل اختبارات تعبِّر، بطريقة مؤنسنة، عن تحولات المحتويات الأساسية). بعبارة أخرى، المحكي الثاني المحدّد على الفضاء البطولي، يظهر وكأنه يستجيب، إذا جمعنا مجموعة الروايات المعروفة، لتحليل وصفي، تصنيفي، أكثر مما يستجيب لتحليل وظيفي وأيديولوجي.

هكذا، هل يمكن أن نتساءل ما إذا كان القلب المركّبي الذي سبق وأن تمَّ اعتباره وملاحظته، يلازمه تحول مماثل للقيم الممنوحة لتشاكلي المحكي؛ وما إذا كان الفضاء المغلق للمحكي ليس هو فضاء الإقامة القصيرة للبطل داخل المجتمع البشري الذي تكون له داخله وظيفة التذكير، بنفي القيم المثبتة، بوجود نسق آخر ممكن للقيم. «العجيب» الذي يعد شيئاً خارجاً، يتخذ، هكذا، دلالة الأسطوري الكلّي الوجود.

من دون الذهاب بعيداً، نصوغ الفرضية الآتية: الحكاية التي نتأمل تحتوي على محتوى أسطوري، سابق أو منتشر، متمظهر بواسطة بُنيات سردية اتفاقية غير ملائمة له كلياً. مجموع مقاطع المحكي، المحدّدة داخل الفضاء الأسطوري للحكاية (منظوراً إليها بكلّية رواياتها)، تُكوِّنُ عناصِرَ جرد، رغم أنه غير مكتمل، يجب، مبدئياً، أن يسمح بإعادة التكوين الجزئي للسنن الميثولوجية.

هكذا إذاً، بحصرنا لمدى تأملاتنا في السياق الثقافي اللتواني لوحده، نحاول أن نرى ما هي عناصر الكون الميثولوجي التي يمكن أن نستخلصها من الحكاية المعيّنة وما هي الإجرائيات التي يمكن أن تستعمل من أجل هذا الفعل.

2. الكون الأسطوري:

2-1: الفضاء الأسطوري.

سفر البطل يدخله داخل فضاء مخالف تماماً للفضاء الذي قام بمغادرته.

1. يتصل الفرق الذي يعدُّ أكثر إدراكاً بالتوزيع الخاص للكائنات البشرية إلى طبقات وفق مقولة **حياة/ موت**، والتي تعدُّ من نمط ثلاثي: إلى جانب عالم الأحياء، يوجد عالم للأموات، وعالم يتحدّد بين الاثنين، عالم الأموات-الأحياء، عالم **الأرواح** (الأرواح الميتة التي تحيا حياة بموازاة مع حياة الأحياء، ولها حضور بدني). إلى جانب الأرواح، تشارك، في هذه الحياة، **الشياطين** (وهم الذين يلتبسون جزئياً مع الشياطين المسيحيين)، وسيدهم جميعاً **فلنياس**.

2. خاصية ثانية لهذا الكون تقربه من الأكوان الأسطورية الأخرى: صنافة الكائنات تظلُّ صورية وغير ضرورية: لأنه إذا كانت طبقات الكائنات توجد في حدّ ذاتها، فإن الكائنات الخاصة تعدُّ قادرة على التحول من طبقة إلى طبقة أخرى (وهكذا، إن الأحياء يتحولون بواسطة السحر إلى طبقة الأموات-الأحياء، الأموات-الأحياء يتحولون إلى طبقة الأموات، والعكس بالعكس). هذه التحولات لا تتوقف على الإرادة الحسنة للكائنات ذاتها، ولكنها تتوقف فقط على إرادة الشخصيّتين الرئيستين للحكاية: فلنياس (و، بتفويض للسلط، معاونوه) والبطل الذي لا يخاف.

الحدُّ الذي يفصل عالم **الأحياء** عن عالم الأرواح يمكن أن يرسم بواسطة مقولات زمنية (**ليل/ نهار**) أو مكانية (**أعلى** = العالم

ما تحت الشمس ضدّ/ **أسفل** = العالم التحت أرضي) أو بتوليفات مختلفة من المقولات. هذا الحدّ يظلُّ، في كل الحالات، نسبياً: حينما يلتقي رجل، في واضحة النهار، رجلاً آخر لا يعرف في مواجهة من يكون: هل هو في مواجهة حي، أم في مواجهة **روح** من الأرواح أم في مواجهة **سيدهم** جميعاً (فلنياس). المعيار الوحيد الذي يبدو ملائماً لتمييز حي من الأحياء هو الخوف الذي يحسُّ به تجاه غير الأحياء. من وجهة النظر الوحيدة هذه، البطل الذي لا يساوره الخوف من أي شيء لا ينتمي إلى طبقة الأحياء. أكثر من هذا: إنه الذي ينفي، قصدياً، وفي كل الظروف، وجود الحدّ بين العالَمين؛ سلوكه يعدُّ هو نفسه مع الجميع: لا المظاهر الغريبة، ولا الأفعال غير العادية، تذهله؛ والكلمات التي يوجهها تعدُّ دائماً موسومة برأي قبلي لحالة سوية. البطل يشترك، إذاً، في حياة مزدوجة؛ انفصال الحياة والموت لا يهمه.

هذا التصور للحياة والموت يعدُّ مطابقاً لمعتقدات لتوانية ما زالت سارية خلال القرن التاسع عشر: مشاركة الأرواح في الحياة العادية تجري بيسر؛ العالم الثاني كان معروفاً من لدن طبقة من **العرّافين** (يوجد من بينها، مثلاً، هؤلاء الذين ولدوا ما بين الخميس المقدَّس وأحد الفصح، ولكن نستطيع أن ندخله بواسطة تقنيات دقيقة). العجيب في الحكاية الشعبية يختلط، إذاً، كلّياً مع الواقع الأسطوري؛ جدّة الحكاية لا تكمن في كون أن البطل يستطيع دخول هذا الكون الأسطوري، ولكن في القدرات الهائلة التي يمتلكها من دون أيّ تأهيل سابق. يبدو لنا أن هذه الواقعة تشكل حجة لفائدة الفرضية المقترحة.

2-2: من أجل الاستعمال الجيد للبُنيات السردية.

الفضاء الذي ينمو داخله البطل يتقدم بصفته كوناً، بنسبة كبيرة، ماقبل مسيحياً، حيث لا يوجد لا التقابل الاثناني للحياة والموت، ولا ثبوتية التصنيفات الأنطولوجية؛ يمكن أن نحاول رؤية ما إذا كان سلوك البطل وسلوك معاكسيه يسمح بتعميق المعرفة بهذا الفضاء. يرمي الإجراء الذي سنتبنى داخل هذا التحليل الأولي إلى:

1. اعتبار المقاطع السردية في ذاتها، باستقلال عن موقعها داخل كل حكاية-حالة وعن الدلالة الوظيفية التي تكتسبها نتيجة هذا الوضع، وإلى جمع المقاطع المماثلة والموزعة داخل روايات مختلفة، من أجل أن نكون (على طريقة تحليل السلسلة، المستعملة في اللّسانيات) مقطعاً موحداً يكون الأطول والأشمل قدر المستطاع؛

2. استعمال، جزئياً فقط، التنظيم المقطعي للمحكي، من أجل إظهار السنن وليس الإرسالية. نظرة أولى سطحية على التركيبات النمطية للحكايات-الروايات، تسمح بتعرف نوعين من التنظيمات المقطعية:

أ) البنية الاثنانية: البطل يلتقي أولاً **بالأرواح**، ولاحقاً، فقط، يجب أن يواجه **فلنياس**؛

ب) البنية الثلاثية التي تتمظهر على الشكل المعروف جداً، التثليثات؛ البطل ملزم، مثلاً، بقضاء ثلاث ليالٍ متعاقبة داخل مكان معيّن، وتحمّل، داخل هذا المكان، مجموعة من الاختبارات المتدرجة.

في الحالة الأولى، التصعيد في المحكي، يمكن أن يؤوّل تصنيفياً مثل ظهور علاقة سلمية بين **الأرواح** وبين **الأسياد**، وتسمح،

بهذه الصيغة، بتمييز طبقة أسياد هذا الكون، في الحالة الثانية، إجراء التثليث - بدلالته الكلية الاستبدالية وبدلالة الانتهاء المركّبة - يُبرِز، بوضوح، أن الاختبار الأخير يشمل الاختبارات السابقة ويأتي بالحل الحاسم.

والحال أنه في المحكيات التي تتميز بالتثليثات، ورغم أن اختبارات الليالي السابقة تجد نفسها موزعة بشكل مختلف من رواية إلى أخرى، فإن الليلة الثالثة تعدُّ مخصَّصة للمواجهة بين البطل وفلنياس. يعدُّ هذا كافياً بالنسبة إلينا من أجل أن نعتبر أن البطل الذي لا يخاف يعدُّ محدداً سلمياً؛ على المستوى نفسه من القوة، كما هو أمر فلنياس، السيد الذي يعدُّ إلى ذلك الحين سيداً، من دون منازع، للكون الذي يتواجد فيه الفاعلان الرئيسان.

تتحصل من هذا نتيجة عملية من أجل متابعة التحليل: بدل البحث، من بين المقاطع المختلفة، عن المقاطع التي تمثل الحالة العتيقة والمقاطع التي تعدُّ الروايات العصرية للحكاية - وهي المهمة التي يمكن أن تبدو أنها ضرورية، غير أنها تدرج معايير تاريخانية و، معها، صعوبات تصدّ، في أغلب الأحيان، الباحثين - يكفي اختيار معايير الحكايات التي تحدّد، في نقطة أوجها، صراع البطل مع فلنياس؛ مع احتمال إتمام، لاحقاً، بالإجراء المعيّن في بداية هذه الفقرة، المقاطع المختلفة لمجموعة الروايات المكونة لحكايتنا المرجعية.

2-3: سيدان في الفن.

الفصل الذي يحكي لقاء البطل مع فلنياس (في خمس روايات

متقاربة فيما بينها، الواحدة من الأخرى) يذهِل بطابعه اللامنتظر والشاذ تقريباً. لنلخصه بإيجاز:

1. ظهور فلنياس هو على النقيض من الجحيم المألوف باستلهام مسيحي: فلنياس هو شيخ مسن بقامة عالية، ولحية طويلة بيضاء تسترسل حتى الركبتين.

2. الاختبار الذي يتفقون سلفاً من أجله، تمَّ داخل مسبك تحت-أرضي، وليس داخل الفضاء المسحور الذي يتم داخله انتظار البطل: المواجهة تتطلب، إذاً، انفصالاً مكانياً حقيقياً.

3. العقد المبرم بين الفاعلين الرئيسين يتوقع أنه في حالة انهزام البطل، سيفشي له فلنياس سر الخوف، غير أنه سيدفع حياته ثمناً لذلك. سيقبل البطل بالعقد، دون أن يؤثّر ذلك في شيء في رغبته في الانتصار: **فلنياس** يعترف، زد على ذلك، أن معرفة الخوف، المجازى عليها بالموت، لا تتصل بالعالم الذي يتربّع على عرشه.

4. المُجابهة تصبح اختباراً للقوة: ولكن، من خلال اتفاق مشترك، المصارعة بأيدٍ عارية، تصبح مُلغاة لفائدة مواجهة تتمُّ بواسطة أدوات: الفأس (أو المطرقة) والسندان. والحال أن البطل، في روايات متعددة، يقدَّم مثل حدّاد؛ شكل المصارعة المختار لا يضع فقط المصارعين على قدم المساواة، ولكنه يبيّن أنهما يشتركان في دائرة الفعل نفسها ودائرة القوة نفسها.

5. يخرج البطل منتصراً من الاختبار، ليس فقط لأنه يغرز عميقاً السندان داخل الأرض، ولكن لأن لحية الشيخ المسن تجد نفسها ملتصقة بالثقب الذي عالجه داخل السندان. الانتصار لا

يأتي، إذاً، لا من قوة فيزيائية عالية ولا من عملية سحرية معيّنة، ولكن من المهارة الوحيدة للبطل.

لدينا انطباع أننا نشاهد مجابهة بين سيدين حدّادين تعدُّ مظاهر قوتهما متماثلة كما أن مجالات الفعل يتطاول بعضها على الآخر.

2-4: البطل الثقافي.

إننا بتفكيرنا في هذه المجابهة يجب أن نعتبر أحداث الليالي السابقة. إنجازات البطل تظهر، من ذلك الحين، مثل براهين عن **معرفة-فعل** معيّنة، أكثر مما هي اختبارات-صراعية. عددهم وتوزيعهم يتغير، فضلاً عن ذلك، من رواية إلى أخرى، لذلك سنأخذ مثل نقطة مرجعية المساعدين الذي يختارهم البطل من أجل أن يقضي ثلاث ليالٍ داخل القصر المسحور. هؤلاء المساعدون الذين هم بعدد ثلاثة:

1. النار.
2. منضدة العمل.
3. محك للصقل.

يوافقون ثلاثة إنجازات للبطل؛ اثنان من التثليثات - ثلاث ليالٍ يجب قضاؤها داخل الفضاء المسحور، ثلاثة اختبارات يجب الخضوع لها - لا تتراكب، إذاً، وتترك فصل الصراع مع فلنياس، خارج بنية هذه الإنجازات التهييئية.

وظيفة المساعدين في التنظيم العاملي للمحكي تقضي بأن تستخدم مثل تمظهرات متلازمة، مثل تجسيدات خارجية على شكل

موضوعات أو كائنات، صفات للطبيعة العميقة للبطل؛ وهكذا، إن هؤلاء المساعدين، في كلّيتهم، يتقدمون مثل أدوات أستاذ من أساتذة الفنون والمهن، مثل امتدادات تقوم بوظيفة توسيط القوة المتصلة ببطل العالم الثقافي.

الاختبارات التي يتخذ داخلها هؤلاء المساعدون موقعاً، لا تعمل سوى على تأكيد هذا الانطباع الأول. يعوزنا المجال من أجل أن ننقلها بإسهاب: وهكذا، إننا لن نعمل سوى على استخلاص العناصر التي تبدو لنا دالة على وجه خاص.

1. منضدة العمل تصلح للبطل في القبض داخل الشرك (من أجل **قتلهما** ورميهما في البركة) على قطتين سوداوين (بداهة هما شركاء فلنياس) وذلك بتوثيق أرجلهما من أجل تقليم أظافرهما: يقبل البطل باقتراحهما القاضي بلعب الورق، غير أنه يقنعهما أولاً، لأسباب تتصل بالتقاليد، بالقيام بإزالة أظافرهما بنفسهما.

2. المحك يصلح لصقل جماجم الأموات التي يستعملها زوّار الليل الغرباء أثناء الليلة اللاحقة من أجل لعب لعبة الكرات، باستعمال القصبة الكبرى (عظم الفخذ) مثل قطع اللعب في لعبة القمار. هنا أيضاً، وقبل المشاركة في اللعب، يحوَّل البطل إلى موضوعات ثقافية رؤوسَ الأموات التي تبدو دلالتها غامضة إذا لم نجدها في مقاطع أخرى (الرأس في المورفولوجيا الأسطورية للجسد هي الإشارية التي نضع فيها المبدأ الحيوي **للروح**: من أجل أن تعاود «الحصول على السلم»، يجب أن نقطع لها الرأس وأن نضعها، داخل الثابوت، بين الساقين، وإلا فإنها ستمضي لياليها في الدوران وهي تصيح داخل المقبرة). رغم أن السياق لا يعدُّ واضحاً،

نستطيع أن نفترض أن البطل يخلّص هكذا رؤوس **الأرواح** من نفوذ **الأسياد** ويعيد لهم الراحة الأبدية.

3. يبدو أن النار تلعب الدور الرئيس: فصل الانبعاث من الموت الذي يقترن بها، يعدُّ أيضاً الأكثر تفصيلاً؛ تجد نفسها، منعزلة، داخل روايات أخرى عديدة. هذه النار هي نار البيت؛ إنها تصلح لطهي الوجبة الليلية. أثناء طهي اللحم، بتلازم أو بتلاصق، يتدحرج الموت، بأجزاء منفصلة، من موقد النار: إذا كان البطل يسمح للميت أن يسقط، فإنه يحذره، على الرغم من ذلك، من أن لا يسقط داخل الآنية، بإجراء، هكذا، انفصال اللحم **المطبوخ** (الذي يحضّره البطل ويأكله الأحياء) عن **اللحم النيء** (اللحم البشري - وليس العظام - يعدُّ الطعام الخاص **بالأسياد**). النار، بصفتها حرارة، تدخل، من جهة أخرى، في المرحلة الأولى من عملية البعث: البطل، فعلاً، بعد أن قام بإعادة تركيب الميت، يوقفه من أجل تسخينه قرب النار (غير أن البعث يعزى في النهاية إلى حرارة جسد البطل الذي ينام إلى جانب الميت داخل السرير أو داخل النعش).

المساعدون يعدّون، إذاً، الصفات الجوهرية لطبيعة البطل: النار هي المبدأ الحيوي، المستبطن بصفته حرارة منعشة للجسد، ولكن تعدُّ أيضاً وسيلة تحويل الطبيعة إلى ثقافة؛ الأدوات هي التعبير عن البراعة وعن العبقرية التقنية للبطل الذي يمارس السحر حتى على كائنات ليست بالبشرية، ويؤنسن العالم. طبيعة البطل والدائرة التي تمارس داخلها سلطته تعدُّ، هكذا، محدّدة بدقة.

2-5: سيد الحياة والموت.

التشديد على الوسائل التي يتوفر عليها البطل، ألزمنا بأن نترك إلى مرحلة لاحقة التساؤل حول المعنى الذي يجب أن نسنده إلى هذه الإنجازات. لقد بدت لنا بصفتها برهنات كثيرة على معرفة للفعل. لأنه من جهة، الإنجاز لا يتحدد أثناء لعبة الورق أو أثناء لعبة الكرات - والتي تصبح، إذاً، اختبارات مصطنعة - ولكن قبل وقت المجابهة. البحث، من جهة أخرى، ليس هو تحرير الروح، بالمعنى المسيحي، المستردّة من مخالب الشيطان: يحقد المنبعث إلى الحياة من جديد على البطل ويعلن الصراع معه. إنجازات البطل تعدُّ أفعالاً مجانية، تمظهرات لسلطته.

تركيب الاختبارات الثلاثة والنتيجة النهائية يتحدّد على محور واحد، ويظهر البطل مثل سيد الحياة والموت. هذا المحور هو المحور الدلالي الذي يتحدد على مستواه تمفصل الكائنات إلى فئات وفق صيغة وجودها؛ والبطل والميتا-ذات التي تنجز التحولات، وذلك بتحويلها من طبقة إلى أخرى. إذا كان التحول الأول يرمي إلى بعث مساعدي فلنياس إلى الموت المطلق (الذي يعتبر مثل القطب السلبي)، فإن الانتصار على فلنياس يحرر من السحر، وكنتيجة لذلك، يحوّل الكائنات التي توجد في حالة **الأرواح** - الأموات- الأحياء - إلى **أحياء** (الحياة تتحدد على مستوى القطب الإيجابي). يرمي التحولان الآخران إلى حرق الحدّ في الاتجاهين، بين نمطين من الأموات: البطل يعيد الموت-الراحة إلى رؤوس **الأرواح**، وذلك بتحويل الأموات-الأحياء إلى أموات؛ يعيد له نظام الروح، وذلك بإعادة نفخ روح الحياة في ميت نائم داخل نعشه أو مجزّء إلى

قطع. (غضب هذا الأخير وصراعه من أجل الحقّ في الجلوس على المقعد، قريباً من النار - وهو واحد من بين التمثّلات اللتوانية المشتركة للموت الهادئ - عناصر تبيِّن أصوله وصيغه المفضلة من أجل الموت الحقيقي).

تحولان نحو الحياة، تحولان آخران نحو الموت - من بينهما تحول يعدُّ مطابقاً لرغبات المعنى بالأمر، والتحول الآخر هو ضدّ إرادته: تمثل هذه العناصر مجموعة مقنعة.

2-6: بطل أم إله؟

إذا كنا قد شدّدنا، بخاصة، هنا على الوقائع وسلوكات البطل، باعتبار سلوكاته مثل علامات كاشفة عن طبيعته، وحاولنا تعميق معرفة هذا البطل من دون اسم، الذي تعدُّ شعاراته الوحيدة هي الأفعال، فلأن معاكسه، فلنياس، سيد السحر، يعدُّ معروفاً لدينا. مجابهتهم النهائية تأخذ بروزاً أكثر: انطلاقاً من أنهما من قوة تقريباً متساوية، فإنهما يحتلان، داخل سُلَّمية الكائنات، مرتبة مماثلة.

إنهما سيدان متمتعان بسلطة عليا، سلطة الحياة والموت: السلطة التي تظلُّ حتى اليوم، أيضاً، بالنسبة إلى رؤساء الجمهورية، الرمز الجلي للسيادة. هذه السلطة تظهر بواسطة استعمال تقنيات مماثلة غير أنها مختلفة: المهارة تقابل السحر. كل واحد يمتلك مجالاً خاصاً به من أجل ممارسة سلطته:

الواحد يُهيمنُ على الحياة قبل الموت، وعلى العالم الشمسي.

الآخر يُهيمنُ على الحياة بعد الموت، العالم الليلي والعالم

التحت أرضي؛ غير أن الواحد يتطاول على مجال الآخر، ويتابع صراعاً لا توجد مبررات لأن يتوقف.

يحقّ لآخرين أن يقولوا إذا كانت عناصر السنن الأسطوري كما تمَّ إبرازها، تسمح بالقيام بخطوة أخرى إلى الأمام، وبإعطاء هذا العدو، **فلنياس**، الاسم الأسطوري **لبركوناس**: البطل، الذي هو أيضاً، يتابع، وفق مصادر أخرى، معركة أبدية ضدّ فلنياس. إذا كانت هذه الفرضية لها قيمة معيّنة، فإن عناصر بحثنا يمكن أيضاً أن تكمل ملف المقارنات بين **فلنياس وفارونا**[1].

3. الختام.

3-1: المكافأة تسبق العقد.

الأغلبية المطلقة من روايات هذه الحكاية تنسى الوضعية الأولية، وتختم المحكي بانتصار البطل الذي يصبح وصي المملكة وصهر الملك. توجد، مع ذلك، ست روايات تظلُّ محتفظة بغائية المحكي، وتسمح للبطل بأن يلتقي بالخوف في مقطع إضافي، من دون علاقة سردية ظاهرة مع جسد المحكي.

فيما يتعلق بهذا الختام، موقفان ممكنان: يمكن أن نعتبره مثل عقلنة فكاهية، أو مثل بقايا شطر ثانٍ للمحكي يمكن، إذا ما أمكن بناؤه من جديد، أن يكشف لنا ربما مفتاح سلوك أسطوري. إن

---

(1) هذه المعادلة تمَّ التذكير بها من لدن رومان ياكبسون الذي استعارها من سوسير من أجل تطويرها، والذي نشكره هنا لكونه كان مصدر هذه التأملات.

ضمور المواد التي توجد رهن إشارتنا، المعرفة غير الكافية لعناصر النسق الميثولوجي، تجعل إعادة البناء هذه مجازفة قوية. سنحاول، على الرغم من ذلك، أن نجمِل الخطوط العامة، لأن حذف هذا الفصل سيعرِّض القرّاء الذين ليس لهم اتصال مباشر بالمصادر اللتوانية إلى الوقوع في الخطأ؛ من جهة أخرى، رهان محاولة إعادة البناء يعدُّ كبيراً: يتعلق الأمر بالتساؤل ما إذا، انطلاقاً من المعطيات البنيوية الوحيدة، كنا نستطيع أو لا نستطيع توقع نقطة اتصال تتحدّد داخلها ألوهية ثالثة للربوبية اللتوانية (لقد سبق أن تمَّ الإعلان عن أن هذه الربوبية يجب أن تمتلك بنية ثلاثية، غير أن هذا الكلام يعتبر، عامة، مثل إبداع رومانسي). والحال أن فصلاً فكاهياً يرمي إلى إحداث الخوف عند البطل وذلك بأن صبَّ عليه، أثناء نومه، سطلاً من الماء البارد، يتخذ دلالة جديدة، بمجرد أن، بدلاً من أن نعالجه بشكل منفصل، ندمجه داخل جسد المحكي الأسطوري. انطلاقاً من هنا، فعلاً، الوصاية التي يحصل عليها البطل، مكافأة له على انتصاره على فلنياس، لا تمارس داخل المجتمع البشري، ولكنها تعبِّر، بالأحرى سنرى ذلك، عن سلطته بصفته سيداً للعالم (الشمسي).

للعقد المختوم بالزواج، ينقص مكون من المكونات التعاقدية، المرسل: البطل يستمر، فضلاً عن ذلك، في التماس الخوف، وهذا النداء، الذي يقدَّم مثل فكرة مهيمنة، هو الذي يجعل زوجته تقرر القيام بالفعل. بنت الملك تعدُّ، نعرف ذلك، الموضوع الذي يفضي نقله إلى ختم العقد. غير أنها تعدُّ، في الوقت ذاته، موضوع رغبة البطل، أي الممثل المجازي للمرسل الذي هو سيد الخوف. إنها

سلطة الملك الأسطوري، التي تعدُّ منحدرة منه، هي التي يجب أن يعرفها البطل من أجل أن يضفي الشرعية على ملكه على الأحياء وأن ينجز العقد (الذي يتقدم على الشكل المعتاد المتبادل، حيث المكافأة تسبق القبول).

3-2: من يخيف البطل؟

إلى حدّ الساعة، لم نستعمل أي عنصر من عناصر السنن، لقد اكتفينا بتعميم المعطيات البنيوية للمحكي، وفق فرضية مفادها أن الفصل الذي يعدُّ موضوع نظر، يشكل جزءاً من محكي واحد ووحيد. لنستعمل الآن القليل الذي نستطيع أن نعرفه.

بنت الملك تتصرف بناءً على نصائح متسوِّلة، واحدة من بين هذه الكائنات الضالة التي يتمُّ من بينها في غالب الأحيان تجنيد **العرّافين**. الرؤية، القدرة على النظر الثاقب لكشف أسرار الحياة الثانية، تتصل بمجال المعرفة. وهكذا، نستطيع بتبادل تلازمي (المتسولة هي العامل المساعد لبنت الملك، وهذه تعدُّ تمظهراً للمرسل) أن نعتبر أن المرسل-الملك هو العنصر الغائب في البنية الثلاثية: إنه يمثل **المعرفة** إلى جانب **الإرادة** (التي يجسِّدها البطل الفاعل) وإلى جانب **القدرة** (وهي ذات طبيعة سحرية، و، بهذه الصفة، تعدُّ الوجود بالقوة لفلنياس).

الاختبار الذي يخضع له البطل يجده، من جهة أخرى، **نائماً**، بمعنى أنه يعدُّ غير قادر على الحركة (وهو ما يجب أن يكون في طبيعته بصفته بطلاً)، **ومتمدداً**، هاتان الكلمتان، مجتمعتين، تكوّنان الحالة التي توافق، داخل عالم **الأحياء**، الحالة التي نعرفها سلفاً في

الموت: الراحة. إذا كان هناك اقتسام للكون، إذا كان البطل يعدُّ سيد عالم الأحياء، وفلنياس سيد عالم الأرواح، عالم **الأموات- الأحياء**، يبقى للمرسل - الذي نبحث عنه مع البطل - عالم هو عالم **الأموات** الذي يجب أن يكون له سيده هو أيضاً. إذا كان فلنياس يتمظهر داخل عالم الأحياء من خلال حضور ليلي وصاخب، فإن مجال تدخّل المرسل هو مجال النوم؛ ونعرف أن النوم يعدُّ مترَعاً بالأحلام - حالة تعتبر، في أغلب الأحيان بواسطة المعتقدات اللتوانية، مثل حالة تعادل العرافة - يمكن بواسطتها أن نصل إلى أجزاء من المعرفة.

يتمظهر الحضور المجازي للمرسل داخل الاختبار على شكل ماء بارد، حيث، بناءً على نصيحة المتسوِّلة، يعجّ داخله بالأسماك الصغيرة أو بصغار الضفادع. إذا كان هذا الحضور من السهل تأويله مثل المبدأ الحيوي الذي يتعايش مع الماء البارد، فإن الموت يعدُّ أيضاً شكلاً من أشكال الوجود (وتعتبر صغار الضفادع حاضرة هنا من أجل أن تشير إلى كل أشكال المسخ الممكنة)؛ برودة الموت تقابل حرارة الحياة. ما دام أن الأرض والعالم التحت أرضي قد أُسنِدا إلى فلنياس، وأن البطل، في الحالة التي يمكن أن يتماثل فيها مع بركوناس، بصفته ألوهية سماوية ونوعاً من الأمر الحازم، يعدُّ سيد النار، فإنه يبقى للمرسل مجال غير مسند: إنه مجال الماء.

ها هو الخوف، وقد تمَّ تعرفه، الرعب المقدس أمام سيد الموت المتحقق، المرسل تمَّ التعرف إليه، وقد قبل العقد الذي يمنح الشرعية لوصاية البطل على عالم الأحياء. تنظيم القدرة الإلهية يمكن أن ينهض، إذاً، على توزيع ثلاثي وظيفي، في تعالق مع التمفصل

إلى ثلاث صيغ متمايزة للأشكال الممكنة للوجود البشري، على صنافة للمعقول تنظّم الحياة الزاخرة والمتحولة. حكاية البطل الذي لا يخاف، تصبح، إذاً، محكي تشييد النظام المقدَّس، الذي يعدُّ، في الوقت ذاته، إلهياً وبشرياً.

لا نعرف نحن، أنفسنا، ما يجب التفكير فيه حول هذه الفرضيات. السارد - أو الناقل - لواحدة من بين هذه الحكايات، بروسي وطني، شجاع على طريقة القرن التاسع عشر، يختم المحكي بالإشارة إلى أنه يوجد، للأسف، عدد كبير من الناس الأغبياء الذين يخشون الماء البارد. خوف طبيعي أم ثقافي؟

الفصل الثاني

التحدي[1]

رودريك، هل لك هِمّة[2]؟

إذا قبلنا بأن التمييز التجريبي بين فعل الإنسان حول الأشياء وفعله حول الإنسان، يوافقه، على المستوى السيميوطيقي، التمييز الذي ينهض تارة على مقولة **التعدية** (فعل الكينونة)، وتارة على مقولة **التفعيل** (فعل الفعل)، سنكون ملزمين باستخلاص من كل خطاب للتحليل مقاطع تُظهِر، بطرق مختلفة جداً، عناصر التفعيل، وبالبحث عن بناء، بإبرازهم جيداً، نماذج التسخير القابلة لاستعمال يمكن تعميمه.

1. إطار مفاهيمي.

يكون الفعل التفعيلي، هكذا، أحد العناصر المحددة للتسخير،

---

(1) صدرت هذه الدراسة بكتاب: في المعنى II (1983). انظر:
Greimas (A. J.), *Du sens II*, op. cit., pp. 213-223.

(2) يقدم غريماس هذه الدراسة ببيت شعري من مسرحية السيد (1637) لبيير كورني (1606-1684). يتوجه فيه دون دييك إلى ابنه رودريك: هل لك هِمّة أو هل لك شجاعة؟ وينطوي السؤال على قيمة ترتبط بمرجعية قيمية عناصرها هي قانون الشرف وروابط الدم، إذ يطلب دون دييك من ابنه غسل العار الذي لحق به.

بشرط، على الرغم من ذلك، أن يتعلق الأمر بفعل **إدراكي** وليس بفعل براغماتي: «الإكراه البدني»، مع أن فعل الإنسان على الإنسان لا يتعلق، لأول وهلة، بالتسخير، ولكنه يشبهه مع ذلك: التحدي الذي اخترنا أن نحلّله بتمعّن بصفته صورة من الصور التي تخصص التسخير: يتحدد بطبيعة الحال، تلقائياً وحدسياً، مثل «إكراه أخلاقي». هذا التحديد الحدسي لا يعدُّ مع ذلك مؤكداً بواسطة المعاجم التي يعتبر التحدي بالنسبة إليها «إعلاناً تحريضياً ندل، بواسطته، لفرد آخر بأننا ننظر إليه مثل عاجز عن فعل شيء» (**معجم روبير**[1]). المعجم، كما نرى، ينظر إلى التحدي مثل ملفوظ بسيط، من دون اعتبار الطبيعة الجهية للذاتين الموضوعتين هكذا وجهاً لوجه ولا العلاقة الخاصة التي يقيمها هذا الإعلان بينهما، وبكلمة واحدة، من دون الأخذ بعين الاعتبار مظهر «الفعل» لهذا «القول[2]». وحده تفسير صفة «محرض» التي يتسم بها الإعلان يسمح لنا بالفهم أن التحدي هو أولاً فعل «حثّ أحد على القيام بشيء معيّن»، حيث المحمول، **حثّ** مع **شبه المترادفات** التصويرية **دفع، قاد، سير، جر**، التي نجدها من دون عناء، يظهر مثل التجسيد، على المستوى السطحي للخطاب، لمقولة التفعيل.

---

(1) المدخل المعجمي: *Le Petit Robert, Dictionnaire de la langue française,* « Défi ».

(2) إحالة على كتاب أحد فلاسفة اللُّغة جون أوستن (1911–1960) من مدرسة أوكسفورد، وهو كتاب: *Quand dire, c'est faire* (1962)، الترجمة الفرنسية تمّت سنة 1970.

Austin (John, L.), *Quand dire, c'est faire*, Seuil, Paris, 1970.

منذ هذا الحين، يظهر هذا الحثّ أنه قادر على الاندراج داخل الإطار العام للعقد، وعلى الموافقة في هذا الإطار، بدقّة أكبر، للشطر الأول من هذا العقد، الذي هو **اقتراح العقد** الذي يمكن أن نصوغه بالطريقة الآتية:

عا1 ⟵ عا2 ∩ مو1 [مو2 (مو3)]

حيث:

مو1: موضوع إدراكي (المعرفة المنقولة)؛

مو2: عا1 ∩ ق (إرادة الذات المسخّرة التي نرسلها إلى الذات المسخّرة)؛

مو3: تحقيق (ب س ل عا2) (موضوع الإرادة هو تحقيق، بواسطة عا2، للبرنامج المنجز والمنقول من لدن عا1).

هذه الإرسالية، نرى ذلك جيداً، ذات طبيعة **إخبارية** خالصة: إن معرفة إرادة عا1 لا تلزم في شيء عا2. إن اقتراح العقد يكون، إذاً، شرطاً إدراكياً محايداً يسمح، بدوره، بتصور الذات المتلقية للرسالة بصفتها ذات سيادة على المستوى الجهي، حرة في قبول أو رفض هذا الاقتراح.

في هذا الإطار التعاقدي، يمكن أن يتأطر ويشتغل التسخير.

2. الفعل الإقناعي.

بين الترهينين التعاقديين - الاقتراح والقبول - يتحدّد الفضاء الإشكالي المكون من توترات ذاتية ومواجهات ضمنية: هنا ينجز الفعل الإقناعي والفعل التأويلي لكل من الذاتين، وهو ما يفضي، احتمالياً، إلى عقد يكون تارة مرغوباً فيه وتارة مرفوضاً. في حالة

التحريض بالتحدي الذي يهمنا في هذه اللحظة، الإرسالية الإقناعية للذات المسخّرة التي تصاحب اقتراح العقد، ترمي إلى أن تدل بالنسبة إلى الذات بأننا نستعد لتسخير النقص في القدرة لديه: هكذا، تعدُّ الذات عا2 مدعوة لإنجاز برنامج معيّن (ب س)، وفي الوقت نفسه مخطورة بلا كفايتها الجهية (مخطورة بـ«عدم القدرة على الفعل») وذلك لإنجازها.

الملفوظ الإقناعي، بصفته موضوعاً للمعرفة، يتم نقله بواسطة عا1 إلى عا2، باتصال مع الملفوظ التعاقدي، يمكن صياغته كالآتي:

عا1 ⟵ عا2 ∩ مو1 [مو2 (مو3)]

حيث إن:

مو1: حكم (يقين عا1)؛

مو2: موضوع معرفة (معرفة عا1)؛

مو3: عا2 لا قدرة على الفعل (عا2 غير متوفر على القدرة على الفعل).

ملاحظة: إذا كان التقييم الجهي المعرفي للملفوظ الإقناعي واضحاً يجب أن لا ننسى أن الجهات المعرفية تعدُّ قابلة للقياس: يمكن أن يقول المسخّر إنه «متأكد» لكنه يمكن أيضاً أن «يدّعي» أو «يوحي». مثال كورني الذي تمَّ الاستشهاد به في الاستهلال يبيِّن جيداً كيف أن تساؤلاً بسيطاً يدلُّ على الشك يعدُّ كافياً لانطلاق آلية التسخير. قوة الحكم المعرفي لا تتقدم، إذاً، مثل عامل حاسم بالنسبة إلى فعالية الإقناع.

لقد أتيحت لنا سابقاً الفرصة، في مجال آخر[1]، لإجمال تمفصل أولي عام للإقناع:

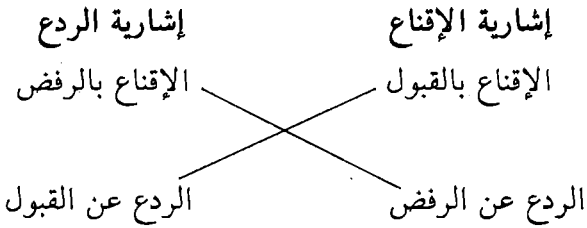

نرى أن **التحدي** يتقدم مثل حالة خاصة من **الإقناع بالمفارقة**: الملفوظ الإقناعي يتمظهر مثل **إقناع بالرفض**، مع النية المضمرة بأن يُقرأ، تبعاً للفعل التأويلي للذات المسخّرة، مثل ردع عن الرفض. يتعلق الأمر، بمعنى معيّن في هذه الحالة، بـ«الدعوة لصالح الزيف للحصول على الحقيقة»: إن نفي الاستطاعة عن الذات هو موجّه لخلق «انتفاضة خلاص» عند الذات التي تتحول، طبعاً نتيجة هذه الواقعة، إلى ذات مسخّرة.

لقد لاحظنا عدّة مرات أن الخطاطة السردية تكون مرجعية ملائمة لتأطير، ومن المحتمل لتأويل هذا المقطع السردي الذي نقترح تحليله أو ذاك. في حالتنا، نرى أن سلوك الذات المسخّرة، كما يتلخص في الملفوظين: ملفوظ الاقتراح والإقناع، يوافق التدخلين العميقين للمرسل، **الأمر والجزاء الإدراكي** الذي هو الاعتراف. التحدي يتقدم بالنسبة إلينا مثل نوع من الصيغة المختصرة للخطاطة السردية، باستثناء ما إذا كان الاعتراف **سابقاً ومعكوساً**، بمعنى أنه ينصب، بصفته جزاء على الاستطاعة وليس على إنجاز

(1) Greimas (A. J.), *Maupassant, la sémiotique du texte*, op. cit., p. 199.

الذات، وبأنه يعدُّ سلبياً بشكل إلحاحي وغير عادل.

هذا الاستباق للجزاء يجعل أنه بإمكاننا أن نعتبر الذات المسخّرة مثل فاعل مركّب يجمع بين عاملين: المرسل الآمر والمرسل الحاكم. الصفة المعكوسة لحكمه تطرح، من جهتها، المسألة الصعبة لنظام أثر الحقيقة لهذا المرسل، الذي يكون الكذب أحد العناصر الأساسية في استراتيجيته.

3. الفعل التأويلي.

3-1: تواصل قسري.

يقوم ردّ فعل الذات التي توصلت بالإرسالية الإقناعية على وضع الإجرائيات التأويلية. هذا الفعل التأويلي يجد نفسه، بالمقابل، مؤطراً داخل شكل خاص من التواصل نصطلح عليه بالتواصل القسري. طبعاً، في بعض الحالات التي يتوجب تدقيقها، المرسَلُ إليه الذي تمَّ التوجه إليه بنوع من الإرسالية، يجد نفسه ملزماً بالإجابة بإعطاء جواب عن الإرسالية التي توصل بها.

الأمثلة الموضحة لهذه الوضعيات تعدُّ كثيرة. إن، أولاً وقبل كل شيء، المشكل العام والأكثر نقاشاً منذ زمن ليس بالبعيد؛ مشكل اللاتسيُّس ومشكل عدم الالتزام؛ فمن المقبول أن كل رفض للالتزام هو في حدّ ذاته التزام سلبي. إنه أيضاً الحالة المثلى لصمت المسيح أمام المحاكم، لصمت **الصديقان**[1] لموباسان أمام إنذار الضابط

---

(1) Maupassant (Guy de), « Deux amis», in *Contes et nouvelles*, op. cit., p. 732.

وقد قام غريماس بتحليل هذه القصة تحليلاً مستفيضاً، مستثمراً فيه منهجية

البروسي: القسر يكمن، في هذه الحالات، في عدم إمكانية اختيار موقف الحياد، بالانسحاب بمعنى معيّن من سيرورة التواصل.

إلى هذا النوع من التواصل ينتمي **التحدي** الذي نبحث فيه، وربما إلى كل نوع من التحريض. موضوعة أمام إثبات عدم استطاعتها، الذات الخاضعة للتحدي، لا يمكن أن تتملص من الجواب، لأن صمتها سيؤوّل، حتماً، مثل اعتراف بغياب الاستطاعة. وبعبارة أخرى، يجد نفسه أمام اختيار إرغامي: يمكن أن يختار، غير أنه لا يمكن ألّا يختار[1].

إذا اعتبرنا أن الاختيار يعد **قراراً**، وأن هذا الأخير يعتبر فعلاً إدراكياً، نرى أن إلزامية الاختيار يمكن أن تؤوّل كما أنها تشكل جزءاً من القدرة الجهية للذات الخاضعة للتحدي، وأنها تعمل على تنميطه جهياً، وفق جهة (القدرة على الفعل) المحدّدة على مستوى البُعد الإدراكي الذي يحتل فيه، بدقة أكبر، موقع (لا قدرة على عدم اتخاذ القرار)، المماثل لـ(واجب اتخاذ القرار)[2].

= التحليل الميكروسكوبي المقطعي، وقد كان يهدف من هذه الدراسة إلى إبراز فعالية المفاهيم السيميائية الإجرائية وقدرتها على استقصاء كل مكونات النصّ السردي: الزمنية، التفضية، الفواعل، العوامل... إلخ. لذلك منح الدراسة عنواناً دالاً: **سيميوطيقا النصّ: تحليلات تطبيقية**.

انظر:

Greimas (A. J.), *Maupassant, la sémiotique du texte*, op. cit., p. 19.

(1) Greimas (A. J.), *Du sens II*, op. cit., p. 201.

(2) Ibid, « Pour une théorie des modalités », p. 67.

لنُجمِل. أمام الإرسالية المزدوجة التي بعثتها الذات المسخّرة – الإخطار بإرادته التي تنصبُّ على برنامج سردي محدّد وبلا استطاعة الذات المسخّرة على تحقيقه – المتلقي لا يمكن له أن يقبل أو أن يرفض العقد المقترح قبل أن يفصح عن رأيه في «التحدي» بالمعنى الخاص له. والحال، إننا نسلم بأنه يوجد في وضعية من يستحيل عليه أن لا يفصح عن رأيه: أيضاً، هل يجب أن نحاول تفكيك الآلية التي أدّت إلى انطلاق هذا الاختيار القسري.

3-2: مواضيع الاختيار.

الذات الخاضعة للتحدي تجد نفسها، إذاً، أمام برهان ذي حدين، وهو الذي تحدّده المعاجم بصفته «خياراً بين قضيتين متناقضتين تكون الذات بينهما مرغمة على التقيُّد بالاختيار[1]». الخيار البديل، في حالتنا، يتكون بين، من جهة، الملفوظ المنتج من لدن الذات المسخّرة عا1، والذي يمكن أن نصوغه كالآتي:

عا2 ∩ لا قدرة على الفعل.

و من جهة أخرى، بين نقيضه، الذي يقوم العامل المسخّر ببنائه، بنفسه، بمعنى:

عا2 ∩ ق/ف = القدرة على الفعل.

برهان ذو حدين، يمكن أن يصاغ كالآتي:

عا2 ∩ ق قرار (عا2 ∩ ق ف/عا2 ∩ ق ف).

هذه الصياغة تعدُّ، مع ذلك، غير صحيحة، لأننا حين نتفحصها بتمعّن، يتبدّى لنا أن العناصر التي تشملها التسمية الرمزية عا2 تعدُّ

(1) المدخل المعجمي « Dilemme »، انظر المعجم *Le Petit Robert*.

غير متطابقة: العوامل: عا2 الممهورة بـ(القدرة على الفعل) أو بـ(عدم القدرة على الفعل) تعدُّ في الواقع مواضيع قيمة، من المفروض أن يتم بينها اختيار الذات الخاضعة للتحدي، في حين أن عا2، الموضوع أمام البرهان بحدّيه، يعدُّ في الواقع عامل فعل يتوفر على قدرة إدراكية خاصة هي قدرة (لا قدرة على عدم اتخاذ القرار). نتيجة لهذا، يصبح من الملائم التمييز، من جهة، بين **عوامل التواصل** (عا1 وعا2) وهُم الذين يكونون في الواجهة ويتفاوضون حول عقد محتمل، ومن جهة أخرى **عوامل التمثيل** (التي يمكن، مثلاً، صياغتها رمزياً بـ عا)، والتي تتأطر ضمن الفضاء الإدراكي لـ عا2 الذي يستقبل فيه الأول (عا2 ∩ ق ف) على شكل ملفوظ أنتجه عا1، في حين أن الثاني (عا2 ∩ ق ف) الذي ينتجه عا2 يستقبل مثل نقيض للأول.

نلاحظ أن الفضاء الإدراكي الذي نستكشفه في هذه المناسبة يعدُّ مؤثثاً بالعوامل التي لا تعدُّ سوى تمثيلات مقنّعة تقريباً لعوامل التواصل. هذا الفضاء، هل يمكن أن يؤوّل مثل نوع من الخطاب الداخلي أو مثل نظيره الافتراضي-المنطقي الذي أُعيد بناؤه؟ هل يكون، جزئياً، ما تصطلح عليه التخصصات الأخرى أحياناً بـ«البعد الخيالي المستقل»؟ لأن هذا النظير يجعلنا نفكر من دون أدنى شك في «الصورة-المثال»، وهي عبارة تمّ خلقها واستعمالها خارج الحقل السيميوطيقي. إذا كان التقارب يعدُّ اقتراحياً، فإنه يخبرنا، كما يجب، حول الفروق أكثر مما يخبرنا حول التشابهات: وهكذا، تبدو «الصورة-المثال» وكأنها تتأطر، على الأصح، على محور المراودة أكثر مما تتأطر على محور التحريض؛ إنها تخلَق أيضاً من أجل

استعمال يتعدى إلي شيء آخر، في حين أن النظير الذي يشغل بالنا هو النظير الداخلي الخاص بالذات التي تبحث عن هوية.

على الرغم من ذلك، ومراعاة للتشابه، يمكن أن نقول إن وصف الذات المتناظرة، اعتماداً على شكل استطاعتها الجهية، لا يكون شافياً دائماً استناداً إلى التمثيل المؤنسن المجرد: «التخيل» المساعد، صورة هذه الذات تستقبل عادة تحديدات دلالية جديدة تحصل على غطاء تصويري، تمتلك أيضاً مسارات سردية تكون فيها أنواع من الجزاء المحتملة الإيجابية أو السلبية، متوقعة.

3-3: مرجعية القيم الدامجة.

سيكون مع ذلك مبالغاً فيه القول إن اختيار «الصورة الجيدة» (صورة الذات الحاصلة على الاستطاعة الإيجابية) يتوقف فقط على الذات الخاضعة للتسخير، على رغبتها في التماهي فيها: هذا الاختيار يعدُّ أيضاً خاضعاً لـ«نظرة الآخر» ويجب أن يكون مطابقاً للإسقاط المفترض لقيم الذات المسخّرة. مهما تعلق الأمر، هنا، ببُنية ذاتية مشتركة بسيطة، أو بحضور عامل ملاحظ، أو بحضور مرسل حاكم، مقبول، على الأقل ضمنياً، من الطرفين: ينطوي الاشتغال الجيد للتحدي على **تواطؤ موضوعي** بين المسخِّر والمسخَّر. بعبارة أخرى، إذا كان عا2، الذات الخاضعة للتحدي، والموسومة بالعجز، يبحث عن إقامة التطابق بين كينونته (قدرته الجهية) والتمثيل الذي تمَّ إسقاطه، لا يمكن أن يقوم به إلا في الإطار المرجعي القيمي المحدّد سلفاً من لدن عا1 والمقبول من لدن عا2. من غير المعقول أن يقوم فارس برفع التحدي في وجه وضيع،

والعكس صحيح. في الوقت ذاته، إذا قام كاتب معيّن برفع التحدي الأميركي في وجه الفرنسيين، فإنه يقبل نفسه، ضمنياً، ويوجب على قرّائه الاعتراف بنسق القيم الأميركي: من دون هذا، إن التحدي لن يكون له معنى. مثال المسيح يمكن أن يصلح لحالة مناقضة. إذا كانت الصفعة التي تتحدث عنها الأناجيل تعدُّ تحريضاً وتحدياً، لا توجد ظاهرياً سوى إجابتين ممكنتين: إما الفعل بردّ الصفعة (وبهذا يؤكد قدرته على الفعل) وإما أن لا يفعل شيئاً (والقبول، نتيجة لذلك، بإثبات عجزه). والحال، أن المسيح سينصح بحلٍّ انحرافي: إعطاء الخدّ الأيسر. يتعلق الأمر هنا ليس فقط برفض «اللعبة»، ولكن يتعلق الأمر، في الوقت ذاته، باقتراح سنن آخر للشرف.

لأننا نرى جيداً أننا يجب أن نتكلم، في كل هذه الحالات، عن **سنن قيمي** مشترك، وحينما يتعلق الأمر بإشكالية السلطة **بسنن الشرف**: ما يجبر في الماضي السيد النبيل على قبول المبارزة، وما يجبر، اليوم، قاطع طريق رَبِحَ مالاً وفيراً على قبول إطالة مباراة بوكر إلى حدّ خسارة آخر فلس، هو معنى الشرف، الكلمة التي لا تستطيع المعاجم فعلاً أن تطوّق المعنى الخاص بها.

يمكن أيضاً أن نقترح، بصفة مؤقتة، واحداً من بين التفصيلات المحتملة لسنن الشرف هذا، كما يمكن أن نحصل عليها بإسقاط على مستوى مربع جهة (القدرة على الفعل)، مع اعتبار أن العناصر الموزّعة هكذا سيتم التعامل معها بصفتها قيماً جهيةً.

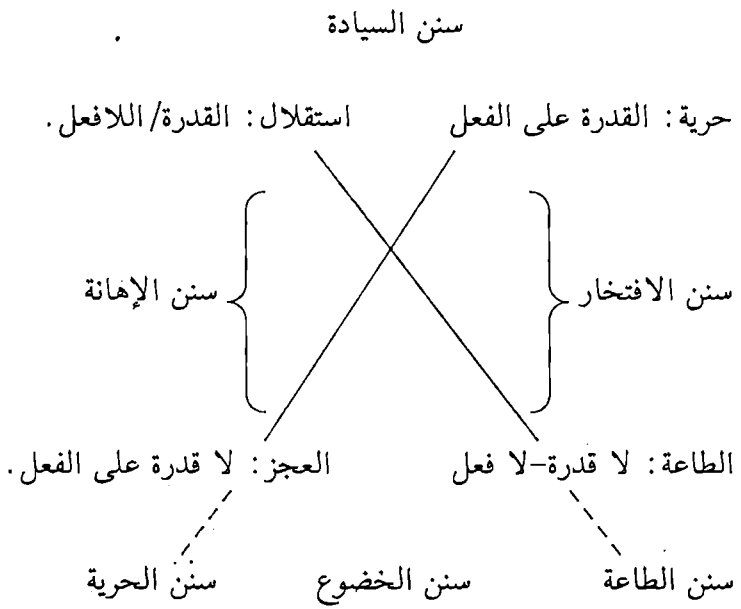

قراءة هذا النموذج تمنح إمكانية التعرف، في كل محور، في كل خطاطة وفي كل إشارية، إلى سنن تابع للشرف، قابل لأن ينمّى إلى **نسق قيمي مستقل**. من الملائم أيضاً أن نسجّل، دون اتفاق، النظام الخاص الذي تمتلكه الأسنن التابعة للإهانة (المسيح) وللفخر (دوفيني: «الشرف، هو شعر الواجب»[1]) التي تمّت تنميتها انطلاقاً من البُنية الدينامية للإشاريات، إنها تتميز بطابعها الانحرافي.

3-4: التثمين.

النموذج القيمي المقترح يتقدم بصفته مجموعة منظَّمة من الأسنن

(1) عبارة الشاعر الفرنسي ألفريد دوفيني (1797-1863)، من **يوميات شاعر**، جمعه ونشره لويس راتسبون، بناء على تقييدات شخصية للشاعر سنة 1867.

المرجعية، تقوم داخلها ذوات التواصل بانتقاء ومتح القيم القابلة، القادرة على تأسيس تواطئهم «على الرغم منهم». هذه القيم، مع ذلك، لا تعدُّ سوى قيمٍ افتراضية: إنها قيم وفق المعرفة وهي، نتيجة ذلك، غير ناجعة. ليتم تحيينها، يجب أن «تتحول» وذلك بالمرور من مستوى توليدي إلى آخر والاستجابة، نعرف ذلك، إلى شرطين هامين:

أ) يجب أن تصاغ سردياً، بمعنى أن تكون مؤطرة داخل العلاقة التركيبية المكونة للذات والموضوع، وذلك بتحويل، بهذه الصيغة، نظامها الاستبدالي إلى نظام مركّبي؛

ب) يجب أن تكون مستثمَرة داخل الملفوظات السردية بصيغة تجعلها تؤثر، في الوقت ذاته، في الذات وفي الموضوع، وذلك بتحويل الأول إلى ذات راغبة (أو عليها واجب)، والثاني إلى موضوع مرغوب فيه (أو مطلوب، بمعنى أنه ضروري في نظام: «الحاجيات»).

حينئذٍ، فقط، تصبح القيم محينة، والنظائر: (عا2 ∩ لا قدرة-فعل) ضدّ (عا2 ∩ القدرة على الفعل) تصبح، بالنسبة إلى الذات الخاضعة للتحدي عا2، مواضيع-قيمة: مواضيع معرفة تنتقل إلى حالة مواضيع الإرادة أو مواضيع الواجب.

3-5: التماهي.

ها نحن الآن بحضور عا2 تمَّ تخصيصه جهياً، ومسجّل داخل فضاء القيم الذي يمكن أن ينجز داخله العملية الإدراكية التي هي الاختيار بين قيمتين، والتي من أجلها قد حصل، نتذكر ذلك، على

استطاعة سلبية، هي قدرة (لا قدرة على عدم الاختيار). سيختار، إذاً، القيمة الإيجابية التي تشملها الصورة التي توجد لديه على نفسه بصفته (قادراً على الفعل)، نافياً بذلك، نتيجة لذلك، القيمة السلبية المجسَّدة في صورة العجز.

هكذا، نكون قد وصلنا إلى مرحلة بناء النظير الذي تكون فيه الذات التي تلعب هذه الفرجة في موقع من «يعرف ما يريد». والحال، أن «ما يريده» في الواقع ليس هو أن يكون «قوياً»، ولكن أن **يعرف نفسه وأن يعترف به** مثلما هو. بعبارة أخرى، المشكل الذي يطرح حينئذٍ يتأطر على مستوى الجزاء الإدراكي، ويفترض وجود مرسل مشترك للعاملين عا1 وعا2، مرسل يكون الجزاء الذي ينجزه موافقاً للاعتراف، من لدن عا1 بـ عا2 بصفته (عا2 ∩ ق ف) والتماهي بواسطة نوع من الاعتزاف الذاتي لـ عا2 مع صورته التي هي (عا2 ∩ ق ف). هذا المرسل، بطبيعة الحال، لا يمثل سوى التجسيد، على مستوى النحو المؤنسن، لفضاء القيم - وبدقة أكبر لسنن الشرف - الذي سبق وأن اعترفنا بوجوده.

نرى حينئذٍ أنه، للحصول على اعتراف المرسل، لا تعمل الذات سوى على البرهنة على استطاعتها على (القدرة على الفعل)، وذلك بالتدليل عليها بواسطة (الفعل) بحصر المعنى. إن تحقيق البرنامج السردي المقترح من لدن عا1 يصبح، إذاً، بالنسبة إلى عا2 وسيلة الوصول إلى هدف مخالف تماماً: بعبارة أخرى، الوحدة السردية نفسها التي تحتوي على التمفصلات نفسها تشكل جزءاً في الوقت نفسه من البرنامجين السرديين: البرنامج السردي للتسخير لـ عا1 والبرنامج السردي للشرف لـ عا2.

هذا البرنامج السردي لا يمثل في الواقع سوى برنامج سردي للاستعمال بالنسبة إلى عا 2. معتبراً في ذاته، يعدُّ لا مبالياً به، في أحسن الحالات منفراً أو مميتاً في النهاية. (مثلاً، النزول، بالنسبة إلى الفارس، داخل قفص فيه أُسُود للبحث عن القفاز الذي تركته السيدة يسقط عنوة). هكذا يمكن أن نقول إن الاستطاعة الجهية للذات يمكن، في هذه الحالة، أن تحدد بواسطة (إرادة الفعل): كما هو عليه الأمر بالنسبة إلى كل برنامج سردي للاستعمال، لا تنتقل الذات لإنجازه إلا وهي مدفوعة بـ(واجب (أو) إرادة الفعل). نرى، في حالتنا هذه، أنه إضافة إلى الالتزام الأدبي للفعل، تضاف ضرورة «إنقاذ شرفه»، وأن (واجب الفعل) التذويتي يصاحَب بـ(عدم القدرة على القيام بأي فعل).

هكذا، بنوع من القلب، يكون الإنجاز، سابقاً عليها، يستطيع أن يثبت، وربما أن يكون الاستطاعة.

4. نحو الخطاب.

المفارقة تريد أن البرنامج الذي كان عا2 مدفوعاً لإنجازه من أجل إنقاذ شرفه يكون هو نفسه البرنامج الذي اقترح عليه من لدن عا1: إن تحقيقه يسمح آنذاك باستنتاج، على الأقل على مستوى السطح، أن العقد نفسه، كما تمَّ طرحه من لدن عا1، قد قَبِلَ ما دامت الالتزامات التي نجمت عنه قد تمَّ الوفاء بها. والحال أن شيئاً من ذلك لم يتم، ولا يتعلق الأمر في الواقع سوى بإيهام تعاقدي كما يصادفنا ذلك في الحياة، كل يوم بمناسبة الأشكال المتعدّدة من التسخير.

لأن الأمر يتعلق، في هذا النوع من الوضعيات، تحت طائلة عقد قسري موافق عليه بحرّية - القسر المقبول لم يكن، رأينا ذلك، سوى ثمن الحرية -، بالحل المؤقت لحالة موسومة بالجدلية. التحدي هو مواجهة يتم الإحساس بها مثل شتيمة.

إشكالية جديدة تفتح حينئذٍ أمام السيميوطيقي: تأتي من ضرورة وصف بنيات التسخير، حينما يتم صوغها على المستوى السيميائي-السردي «مقامياً»، مسجّلة داخل إطار اشتغالها «التاريخي»، أي داخل الخطاب. عكس ما نفكر فيه، وعلى الرغم من استنزاف المعجم المتعالق بالشرف، فإن هذا المفهوم أصبح حيّاً أكثر من أي وقت مضى في مجتمعاتنا المعاصرة. دون أن نتكلم عن القوى الكبرى المنشغلة بـ«الحفاظ على ماء الوجه»، وأن نترك جانباً اللقاءات الرياضية الكبرى الأسبوعية التي يكون فيها الشرف الوطني موضع نزال، فإن هذا المفهوم، غير المعيّن والضمني، و/أو المتستر عليه بعناية، يبلغ في أيامنا تنوعاً وصفاءً بشكل يظهر مثل أفظاظ الأبطال الكورنيين[1] وأكثر من ذلك أنداد شارلمان[2].

إن تحليل الخطاب هو الذي يجب أن يسمح باستيضاح هذا الغنى: إنه الخطاب هو الذي، طبعاً بإدراج مقولات الشدّة والزمنية، يسمح بالترتيب التدريجي للإقناع المفارق - لأن أدنى تشكيك في استطاعته يؤثر في الذات، موضوع التحدي - ولكن أيضاً بتمفصل، زمنياً، البنيات المتخلية التي تهيّئ جواب الذات المسخّرة، جواب

(1) نسبة إلى الشاعر المسرحي بيير كورني.
(2) شارلمان أو شارل الأكبر (742-814).

تكون آثاره الدلالية، تبعاً، من بين أشياء أخرى، للخطر الذي تجشمه، لصعوبة المهمة، أو الإذلال الذي تحمّله، مضاعفة ومتنوعة. التحدي، وهو يدخل تنظيمات جهية معقدة نسبياً، يحتمل، كنتيجة، إخلالات استهوائية ليست بغير المهمة، وتتطلب بدورها استقصاءات جديدة في مجال سيميوطيقا الأهواء[1].

(1) سيميوطيقا الأهواء هي المبحث الذي ستنفتح فيه السيميوطيقا على خطابات تصويرية أخرى مثل خطاب الغيرة أو الغضب. انظر العمل الأول الذي أنجزته السيميوطيقا في هذا الاتجاه.
Greimas (A. J.), Fontanille (Jacques), *Sémiotique des passions. Des états de choses aux états d'âme*, Seuil, Paris, 1991.

الفصل الثالث

الوصف والسردية حول قصة: الخيط، لغي دو موباسان[1] الخيط [2]

إلى هاري أليس

على كل الطرقات، حول كودرفيل، الفلاحون ونساؤهم، يتجهون نحو البلدة، لأن اليوم هو يوم سوق. الذكور، يسيرون بخطوات وئيدة، الجسم كله إلى الأمام أثناء كل حركة لسيقانهم الطويلة، المعوجة، المشوهة بسبب الأعمال الشاقة، بسبب الجهد الكبير على المحراث الذي يرفع، في الوقت نفسه، الكتف الأيسر إلى الأعلى، ويميل القامة، بسبب حصاد القمح الذي يباعد ما بين الركبتين، من أجل أن يأخذ توازناً صلباً، بسبب كل الأشغال البطيئة والشاقة في البادية. بذلتهم الزرقاء، المصمغة، اللامعة، كما أنها طليت بالدهن، موشاة الياقة والمعصمين برسم صغير من خيط

---

(1) صدرت الدراسة في كتاب: في المعنى II.
Greimas (A. J.), *Du sens II,* op. cit.

(2) Maupassant (Guy de), *Contes et nouvelles*, op. cit., p. 1080.

أبيض، منتفخة حول جذعهم العظمي، تظهر وكأنها كرة تستعد للطيران، يخرج منها رأس، ذراعان ورجلان.

البعض منهم يجرُّ في منتهى حبل بقرة، عجلاً. زوجاتهم، وراء الحيوان، يجلدنه من جهة الكليتين بغصن ما زال ممتلئاً بالأوراق، من أجل أن يسرع الخُطى. يحملن على السواعد سللاً واسعة تخرج منها رؤوس الدجاج من هنا، ورؤوس البط من هناك. يسرن بخطوة أكثر قصراً وأكثر حيوية مقارنة برجالهن، القامة يابسة، مستقيمة وملتحفة داخل خمار صغير، ضيق، مشبوك على صدرهن المسطح، الرأس مغلف بثوب أبيض، ملتصق على الشعر، وتعلوه قبعة.

بعد ذلك، هناك عربة بمقاعد، كانت تعبُر، بخبب مرتج للحصان، رجت، بغرابة، رجلين كانا يجلسان جنباً لجنب، وامرأة كانت في مؤخر العربة، كانت تمسك بجوانبها، لتخفيف الرجّات القوية للعجلة.

على ساحة كودرفيل، كان هناك حشد من الناس، جمهرة من البشر والحيوانات، وهي مختلطة. قرون الثيران، القبعات العالية بأعواد الريش الطويلة التي يلبسها الفلاحون الأغنياء والمناديل التي تكسو رؤوس الفلاحات، تطفو على سطح جمهرة الناس. النداءات الصاخبة، الحادة، الثاقبة، تكون جلبة متواصلة ومتوحشة تهيمن عليها، أحياناً، فرقعة كبيرة منبعثة من بطن ضخم لقزوي في حالة جذل، أو خوار طويل لبقرة مقيَّدة إلى حائط منزل.

كل هذا تشتمّ منه رائحة الإسطبل، الحليب والزبل، الحشيش والعرق، كل هذا تنبعث منه نكهة حامضة، سمجة، بشرية وحيوانية، خاصة بأناس الحقول.

السيد هوشكورن، من بريوتي، وصل، على التو، إلى كودرفيل، وبينما كان يتوجه نحو الساحة، لمح طرفاً صغيراً من خيط ملقى على الأرض. السيد هوشكورن، متقتراً مثل نورماندي حقيقي، فكر في أن كل شيء يعدُّ صالحاً ويمكن التقاطه من الأرض، ويمكن أن يصلح لشيء؛ انحنى بصعوبة، لأنه يشكو من آلام الروماتيزم. أخذ من الأرض قطعة الخيط الرقيق، وأخذ يتأهّب للفِّه بعناية، حينما لاحظ، على عتبة منزله، السيد مالاندان، صانع البرادع، الذي كان يرمقه. كانت بينهما مشاكل، سوياً، بخصوص موضوع رسن، فيما مضى، غير أنهما ظلّا متخاصمين لأن كليهما كان حقوداً. السيد هوشكورن شعر بنوع من العار وهو يلمح على هذه الهيأة من لدن عدوه، باحثاً، داخل الوحل، عن طرف خيط صغير. أخفى، على عجل، لقيته تحت بذلته، ثم في جيب سرواله الداخلي؛ ثم تظاهر بالبحث، أيضاً، على الأرض، عن شيء لم يجده قط، ثم توجه نحو السوق، الرأس إلى الأمام، مقوساً بتقويستين بسبب أوجاعه.

ضاع، فوراً، وسط جمهرة الناس الصاخبة والمتثاقلة، المهتاجة بالمساومات التي لا تنتهي. الفلاحون يجسّون البقرات، يذهبون، يعودون، حائرين، وجلين، يلاحقهم الخوف، دوماً، من أن يسقطوا في الفخ، لا يجسرون على اتخاذ موقف، يرقبون عين البائع، يبحثون، من دون كلل، عن اكتشاف حيلة البائع وعيب الحيوان.

النساء، وقد وضعن على أقدامهن سلالهن الكبيرة، أخرجن منها الدواجن التي كانت ممدّدة على الأرض، وهي موثقة من الأرجل، العين مذعورة، العرف شديد الحمرة.

يستمعن إلى العروض، يتمسكن بأثمانهن، الملامح جافة، الوجه خالٍ من أي انفعال، أو، فجأة، بموافقتهن على التخفيض المقترح، ينادين على الزبون الذي يطفق في الابتعاد، ببطء:

– انتهى الأمر، السيد أنتيم. أتركه، لكم.

بعد ذلك، شيئاً فشيئاً، تقفر الساحة من الذين يشغلونها، ويرن جرس الصلاة إعلاناً بحلول الثانية عشرة، أما الذين ظلُّوا بعيداً، فانتشروا داخل المطاعم.

عند السيد جوردان، كانت القاعة الكبيرة غاصة بالآكلين، كما كانت الساحة الواسعة غاصة بالآكلين والعربات من كل الأنواع، عربات بعجلتين، عربات بعجلتين وبسقف قابل للطيّ، عربات نقل الأشخاص بمقاعد، مركبات خفيفة، عربات نقل صغيرة لا اسم لها، صفراء بالوحل، مشوهة الشكل، مرممة، ترفع إلى السماء، مثل ساعدين، عرائشها الخشبية، أو يكون أنفها إلى الأرض ومؤخرتها في الهواء.

قريباً جداً من المتعشّين، القاعدين إلى الطعام، توجد المدفأة الضخمة، ممتلئة باللهيب المضيء، ترسلُ حرارة قوية إلى ظهر الصف الذي يوجد على اليمين. ثلاثة سفَافِيد تدور، محمّلة بفراخ الدجاج، بالحمام وأفخاذ الخرفان؛ ورائحة اللحم المشوي الشهية، ورائحة العصير المنساب على الجلد المشوي تتعالى من الموقد، تشعل المسرّات، وتبلل الأفواه.

كل الأرستقراطية الفلاحية كانت تأكل هنا، عند السيد جوردان، صاحب مطعم ونخّاس، داهية كانت له ثروة.

كانت الأطباق تعبُر، تفرَّغ مثل أباريق خمر التفاح الأصفر. كل

واحد يحكي عن أعماله، عن شراءاته وعن بيوعاته. يحصلون على أخبار المحاصيل. الوقت كان جيداً بالنسبة إلى الخُضر، غير أنه يعدُّ شائكاً بعض الشيء بالنسبة إلى الحبوب.

فجأة، قرع الطبل داخل الساحة، أمام المنزل الكل هبَّ واقفاً في الحال باستثناء بعض اللامبالين، ثم جرى الجميع إلى الباب، إلى النوافذ، الفم ما زال ممتلئاً والمنشفة باليد.

بعدما أن أنهى قرع الطبل، صاح المنادي العمومي بنبرة مرتجة، مؤكداً على الجمل التي ينطق بها تأكيداً في غير محله:

- ليكن في علم سكان كودرفيل، وبصفة عامة، في علم كل الأشخاص الحاضرين في السوق، أنه قد ضاعت صبيحة اليوم على طريق بوزفيل، ما بين الساعة التاسعة والعاشرة، محفظة نقود جلدية سوداء تحتوي على خمسمئة فرنك وعلى أوراق بعض الأعمال. يرجى ممن عثر عليها أن يرجِعها إلى البلدية، فوراً، أو عند السيد فورتيني هولبراك من أهالي مانفيل؟ ستكون هناك مكافأة من عشرين فرنكاً.

ثم غادر الرجل المكان. وكانت تتناهى إلى الأسماع مرة أخرى، أيضاً، ومن بعيد، الضربات الصمّاء للآلة والصوت المتضائل للمنادي.

حينئذٍ، بدأ الحديث عن هذا الحدث، بتعداد الحظوظ التي يتوفر عليها السيد هولبراك ليعثر أو لا يعثر على محفظة نقوده.

في ذلك الوقت، انتهت الوجبة.

وبينما كان الجمع منشغلاً بالانتهاء من شرب القهوة، ظهر عريف الدرك على عتبة المطعم.

سأل:

- السيد هوشكورن، من بريوتي، هل هو هنا؟

السيد هوشكورن، الذي كان جالساً في الطرف الآخر من الطاولة، يجيب:

- ها أنا.

تناول العريف الكلمة من جديد:

- السيد هوشكورن، هل تتفضلون بمرافقتي إلى البلدية، السيد العمدة يريد أن يتكلم إليكم.

الفلاح، مفاجأ، قلقاً، بلع بجرعة واحدة كأسه الصغير، وقف مقوساً أكثر مما كان عليه صباحاً، لأن الخطوات الأولى بعد كل استراحة كانت صعبة للغاية، بدأ السير وهو يكرر:

- ها أنا، ها أنا.

وتبع العريف.

عمدة البلدية كان ينتظره، جالساً على أريكة. إنه موثق المنطقة، رجل بدين، وقور.

بجُملٍ رنانة قال: السيد هوشكورن، لقد تمّت رؤيتك هذا الصباح وأنت تجمع، على طريق بوزفيل، محفظة النقود الضائعة للسيد هولبراك من مانفيل.

البدوي، مذهُولاً، ينظر إلى العمدة، مذعوراً، سلفاً، بهذا الاتهام الذي جعله تحت الضغط، دون أن يفهم لماذا.

- ولكن، ولكن، جمعت محفظة نقوده؟

- نعم، أنت شخصياً.

- كلمة شرف، لا توجد لدي أي معرفة بها.

- لقد تمّت رؤيتك.

- لقد تمّت رؤيتي، ولكن؟ ما هذا، من رآني؟

- السيد مالاندان، صانع البرادع.

حينئذ تذكّر الشيخ، فهم، والوجه ممتقع من الغضب:

- آه، رآني، الآن! لقد رآني وأنا أجمع هذا الخيط، خذ، سيدي العمدة.

ثم، وهو يفتش في عمق جيوبه، يستلُّ طرف الخيط الصغير.

غير أن العمدة، منكراً، يحرك رأسه:

- سوف لن توهمني، سيد هوشكورن، أن السيد مالاندان الذي يعدُّ رجلاً جديراً بالثقة، قد خلط بين الخيط والمحفظة؟

الفلاح، حانقاً، رفع يده، بصق إلى جنبه ليؤكد شرفه، وهو يكرر:

- إنها، مع ذلك حقيقة الربّ، الحقيقة المقدَّسة، سيدي العمدة. هنا، أقسم بروحي وأقسم بخلاصي، أكرر ذلك.

يتناول العمدة الكلمة من جديد:

- بعدما جمعتم المحفظة، بحثتم أيضاً، طويلاً، داخل الوحل عمّا إذا كانت قطعة نقدية ما قد تسربت من المحفظة.

كان الرجل يختنق غيضاً وخوفاً.

- إذا أمكننا القول! إذا أمكننا القول! هذه كذبة من أجل تشويه رجل شريف! إذا أمكننا القول!

حاول عبثاً التمّسك ببراءته، غير أن لا أحد صدّقه.

تمّت مواجهته بالسيد مالاندان الذي كرر وأصرَّ على تأكيده.

تبادلا الشتائم والسب طوال ساعة. ثم تفتيش السيد هوشكورن تحت طلبه. لم يجدوا عنده شيئاً.

في النهاية، العمدة، حائراً جداً، تركه لحال سبيله، وحذّره بأنه سيخطر النيابة العامة وسيصدر أوامره.

انتشر الخبر. عند خروجه من البلدية كان الشيخ محاطاً، انهالت عليه الأسئلة بفضول جدّي وساخر، ولكن دون أن يتسرب إليه أي سخط. وشرع في سرد حكاية الخيط. غير أن لا أحد صدّقه. كانوا يضحكون.

كان يسير، يتم إيقافه من لدن الجميع، يوقف معارفه، يعيد من دون نهاية حكايته واحتجاجاته، يظهر جيوبه المقلوبة ليبرهن على أنه لا يملك شيئاً.

كانوا يقولون له:

- اذهب؛ أيها الماكر!

يغتاظ، يشتدُّ حنقه، كان هائجاً، مكدراً لأن لا أحد صدقه، لا يعرف ما يفعله وكان يحكي دائماً قصته.

أقبل الليل. حان وقت الذهاب. مضى إلى حال سبيله صحبة ثلاثة من جيرانه، في الطريق عيَّن لهم المكان الذي جمع فيه طرف الخيط؛ وطوال الطريق تكلَّم عن مغامرته.

في المساء، قام بجولة في بلدة بريوتي، من أجل أن يقول ذلك لكل الناس. لم يجد سوى منكرين.

سقط من ذلك سقيماً طوال الليل.

في الغد، حوالي الواحدة زوالاً، ماريوس بومال، خادم في

ضيعة السيد بروتون، مزارع بيموفيل يُرجِع محفظة النقود بمحتواها للسيد هولبراك من مانفيل.

هذا الرجل يزعم، فعلاً، أنه عثر على هذا الشيء على قارعة الطريق؛ لكنه، لكونه لا يعرف القراءة حمله إلى المنزل ومنحه لسيده.

انتشر الخبر في الضواحي. أُخبِر السيد هوشكورن بذلك. شرع في الحال في جولة وطفق يحكي قصته مكملاً إياها بالنهاية المنفرجة. كان يبتهج بانتصاره.

– إن ما يسبب لي الحزن، كان يقول، ليس هو هذا الشيء، تفهمون؛ ولكنه الكذب. لا يوجد هناك شيء يؤذي، كما أن تكون موضع نبذ بسبب كذبة.

يقضي النهار كله وهو يتحدث عن مغامرته، يحكيها على الطرقات للعابرين، في الحانة، للناس الذين يشربون، عند الخروج من الكنيسة الأحد اللاحق. كان يوقف غرباء من أجل أن يحكي مغامرته لهم. يعدُّ الآن قرير العين، ومع ذلك إن شيئاً ما يقضُّ مضجعه من دون أن يعرف بدقة ما هو هذا الشيء. كانوا يعطون الانطباع بأنهم يمزحون وهم يسمعونه. لا يبدو أنهم كانوا مقتنعين. كان يعنُّ له أنه يشتم وجود أحاديث من وراء ظهره.

يوم الثلاثاء من الأسبوع اللاحق، توجه إلى سوق كودرفيل، فقط، مدفوعاً بالحاجة إلى حكي حالته.

مالاندان، واقفاً على بابه، يشرع في الضحك، وهو يراه ماراً. لماذا؟

دنا من مزارع من كريكوتو، لم يدعه يكمل كلامه، رماه بضربة

كفّ في تجويف بطنه، وصاح في وجهه: «أيها الماكر الكبير، اذهب!»، ثم أطلق ساقيه للريح.

مكث السيد هوشكورن مذهولاً، وقلقاً أكثر فأكثر.

لماذا لقّبوه بـ«الماكر الكبير»؟

حينما جلس على مائدة الطعام، في مطعم جوردان، عاود شرح المشكلة من جديد.

نحّاس من مونتفيليي صاح في وجهه:

- مهلاً، مهلاً، ممارسة قديمة، إني أعرفها، قصة خيطك هذه!

هوشكورن متلعثماً:

- ما دام قد تمَّ العثور على محفظة نقوده؟

غير أن الآخر، عاود الكلام:

- اسكت، أيها الجد، هناك من يجد، وهناك من يعيد المحفظة. لا من رأى ولا من سمع، إني أخلط لك الأوراق!

تجمّد الفلاح مذهولاً. لقد فهم أخيراً. يُتَّهم بأنه أرجع محفظة النقود بواسطة شريك، بواسطة متواطئ.

أراد أن يحتج. كل الجالسين إلى المائدة شرعوا في الضحك.

لم يستطع أن يكمل عشاءه وانصرف وسط استهزاء الحاضرين.

عاد إلى بيته خجلاً، ساخطاً، مخنوقاً بالغضب، بالحيرة، لا سيما أنه كان مرعباً إلى حدّ أنه كان قادراً، بدهائه النورماندي، على فعل ما كان يتهم به والتفاخر بذلك كما أن الأمر يتعلق بحيلة ماكرة. براءته أصبحت تظهر له، وهو في حيرة، مثل براءة من المستحيل إثباتها، ما دام أن مكره غدا معروفاً. كان يحس بأنه جُرِح في القلب بسبب جور الاتهام.

حينئذٍ، بدأ من جديد في سرد المغامرة، بتمطيط المحكي كل يوم، بإضافة، كل مرة، حجج جديدة، احتجاجات أكثر قوة، بأنواع من القسم أكثر علانية، كان يتخيلها، يحضِّرها أثناء ساعات عزلته، الذهن منشغل فقط بقصة الخيط.

أصبح يصدَّق أقل فأقل إلى حدّ أن دفاعه أصبح أكثر تعقيداً ومحاججته أكثر حذقاً؟

- هذه، إنها حجج كاذب؛ هذا ما كانوا يقولونه في غيبته.

كان يحسُّ هذا، فأصبح شديد القلق، يضني نفسه بجهود لا طائل من ورائها.

أصبح الذبول بادياً عليه بمجرد رؤيته.

المتفكهون الآن يدفعون به لحكي قصة الخيط من أجل التسلية، كما ندفع بالجندي لحكي قصة المعركة التي خاضها. ذهنه، الذي أصيب في العمق، بدأ يضعف.

وحوالي نهاية ديسمبر، لزم الفراش.

قضى نحبه خلال الأيام الأولى من يناير، وفي هذيان الاحتضار، كان يؤكد على براءته، مكرراً:

- خيط صغير... خيط صغير... خذ، ها هو، سيدي العمدة.

1. وضعية الوصف داخل الخطاب الروائي.

قبل أن نباشر التحليل الداخلي للوحدات النصية المعروفة بصفتها وحدات «وصفية»، يجب علينا، بادئ ذي بدء، أن نعمل على تأطيرها داخل مجموعة النصّ الأدبي، على تمييزها، أيضاً، من

الوحدات السردية الأخرى، باستعمال معايير للتعرف تكون على أكبر قدر ممكن من الموضوعية: يعدُّ مستحسناً، فعلاً، أن ممارسة التقطيع الشكلي تحلُّ، تدريجياً، محلَّ الفهم الحدسي للنصّ وتمفصلاته. من أجل هذا الفعل، يبدو لنا مناسباً الاستناد إلى معرفة البُنيات السردية للنصوص المختلفة والقابلة للمقارنة، وذلك باعتبارها مثل نماذج توقعية للسيرورة السردية.

1-1: التقطيع وفق المعايير المكانية-الزمانية.

إن كلية الحكاية المضمّنة داخل قصة **الخيط**، تبدو كأنها وزعت من لدن موباسان أثناء مرحلة **تزمينها** على «ثلاثاءين» متعاقبين، الخطاطات السردية لليومين تظهر، في الوقت نفسه، كما أنها متواترة مركّبياً ومتقابلة استبدالياً الواحدة في علاقتها بالأخرى. يوافق هذا التقطيع الزمني، تقطيع هو، في الوقت ذاته، زمني ومكاني لليومين. بتعالق وثيق مع انتقالات فواعل السرد داخل الفضاء، كل واحدة من الوحدات الزمنية - اليوم - تخضع لتقسيم مكاني، وتفضي إلى الطبولوجيا السردية الآتية:

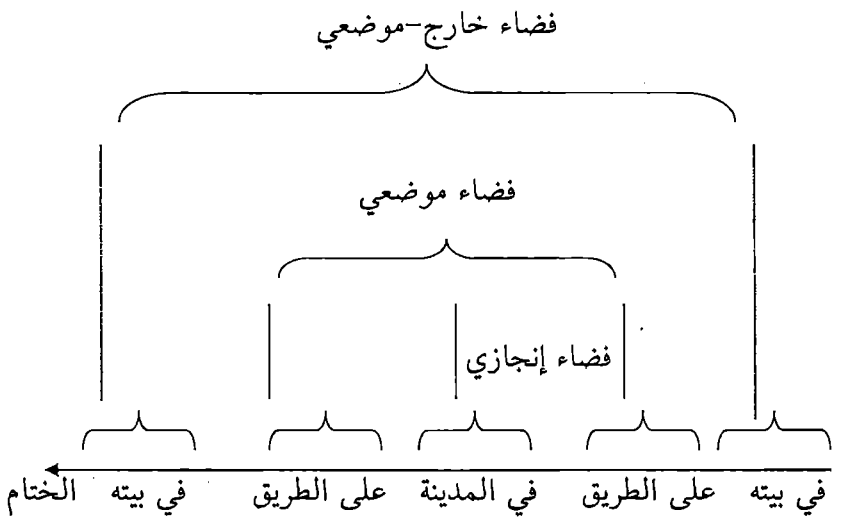

تفضية المحكي تُظهِر، هي أيضاً، الخصائص التي تعدُّ في الوقت نفسه مركّبية واستبدالية، المتصلة بتنظيمه: إذا كان الفضاء الذي يستقر داخله المحكي يعدُّ دائرياً وتناظرياً:

من «في بيته»... إلى «في بيته».

نلاحظ أن هذا التناظر لم يُنجَز سوى للتشديد على تحولات المحتويات المسجَّلة داخل الإحداثيات المكانية-الزمانية:

	البداية	النهاية
الثلاثاء الأول	الصحة...	المرض
الثلاثاء الثاني	الصحة...	الموت المعنوي والجسدي

بالمقابل، إن الإطار-المكاني الزمني، المحدّد بهذه الصيغة لا يعدُّ فقط إطاراً شكلياً، إنه أيضاً فضاء الانتقالات والوقائع وفضاء سلوكات فواعل السرد الرئيسة: نتيجة هذا، إن العلائق بين الفضاءات والفواعل، بين التبونيمات والأنثروبونيمات وكذا تغيراتها، تعدُّ دالة سردياً.

للوهلة الأولى، إن تقطيع المحكي كما حصلنا عليه، يوافق في خطوطه العامة التمفصل الأصلي لعدد كبير من الموضوعات السردية، حيث يذكرنا، من بين ما يذكرنا به، بنتائج التحليل البروبي للحكايات الروسية العجيبة. لا تظهر الاختلافات الدالة، على الأقل، حالاً: على النقيض من المحكي البروبي، حيث يوجد البطل، أولاً وقبل كل شيء، **في اتصال مع المجتمع**، وينتقل بعد ذلك نحو فضاءات العزلة والفضاءات العدائية من أجل أن ينجز فيها أفعاله الباهرة، البطل عند موباسان هو **بطل وحيد** ينتقل من أجل أن يتصل بهذا الفضاء: فضاء-فعل مرجعي يعدُّ، تحديداً، فضاء الانفصال والمجابهة الانزوائية، يتقدم هنا بصفته فضاء الاتصال والمواجهة الاجتماعية.

إذاً، وقبل أي تحليل للمحتوى، يمكن أن نقول إن أ) البنية السردية تتقدم بصفتها مواجهة بين فاعلين رئيسين: الفرد والمجتمع (وهو ما يبدو بديهياً)، وإن ب) مقاطع النصّ المعيّنة، تقليدياً، بصفتها «مقاطع وصفية» تعدُّ، من وجهة نظر سردية، محمّلة بوظيفة محدّدة هي **وظيفة إقرار عامل جماعي والدفع به للفعل، العامل الجماعي المُسمّى بالمجتمع** (وهو لا يزال ينتظر البرهنة).

1-2: التقطيع بحسب المعرفة.

بالانطلاق من مبدأ أن كل حشو دلالي يعدُّ دالاً داخل نصّ مغلق - على النقيض من النصوص المنفتحة التي لا يعدُّ فيها الحشو سوى «تشويش» - وأنه أكثر دلالة إلى حدّ أنه يصبح متمظهراً من خلال كلمات متطابقة أو قابلة للمقارنة داخل اللُّغة الطبيعية، يمكن أن نسجِّل مثل سمة شكلية، الجملة التي تَتمُّ استعادتها مرتين:

انتشر الخبر،

انتشر الخبر في (الضواحي)؛

هذه السمة تتأكد بسبب حضور جملة حشوية، أخرى على بُعد سطرين فقط:

وشرع في سرد حكاية الخيط

وطفق يحكي قصته مكمِّلاً إياها بالنهاية المنفرجة.

إذا كان «الخبر» الذي ينتشر يمكن أن يعتبر مثل نشر **المعرفة الاجتماعية** و«حكاية الخيط» مثل نشر **المعرفة الفردية**، يمكن أن نقول إن السمات التي قمنا بإدماجها تؤسِّس حدّاً داخل المحكي الذي، انطلاقاً من هذا، يتقدم مثل محكي **المجابهة بين معرفتين ونوعين من معرفة-الفعل**، البطل-الفرد الذي يبحث على إقناع الرأي العام، والبطل-المجتمع، المضاد، الذي يواجهه **بتأويله الخاص** للوقائع. نلاحظ، من جهة أخرى، جيداً أن هذه **المعرفة الاختلافية** التي تجد نفسها مدمجة - هذا الفاعل يعرف هذا الشيء وهذا الشيء الآخر - تقابلها، في الجزء الأول من المحكي، **المعرفة المطلقة** للذات الساردة، والتي، مُشهِدة القارئ مثل شريك متواطئ، تتحدث عن الناس وعن الأشياء كما لو أنها تعدُّ حاضرة في كل مكان وعالمة

بكل شيء. يتحصل من هذا أن الجزء الأول من المحكي - الذي يشمل «المقاطع الوصفية» التي نشتغل بها - مخصّص لتمثيل، في علاقته بالمعرفة الفردية أو الاجتماعية التي تعدُّ «موضوع» الجزء الثاني، **الكينونة وفعل** الفواعل الرئيسة. تقطيع جديد للمحكي يظهر، بهذه الصيغة، وفق التناسب:

الجزء الأول		**الجزء الثاني**
الكينونة والأفعال الاجتماعية	≈	المعرفة الاجتماعية
الكينونة والأفعال الفردية		المعرفة الفردية

بحسب نموذجنا التوقعي، المقاطع التي تُسمّى بالوصفية ستكون لها وظيفة إدماج، داخل المحكي، العامل الجماعي: مجتمع، وتقديمه **وفق كينونته ووفق الفعل الذي ينجزه**. وهو ما يبقى، طبعاً، رهيناً بالتأكيد.

1-3: التقطيع بحسب المعايير النحوية.

إضافة إلى معياري التقطيع السالفين، يمكن أن نضيف إليهما، بيسر، معياراً ثالثاً مقدماً لنا من لدن الكاتب بفضل التقيُّد الدقيق بالقواعد الكلاسيكية للنثر في القرن التاسع عشر، التي تخصَّص بسِمات زمنية خاصة، الوحدات النصية المميزة، من «وحدات وصفية»، «محكيات» و«حوارات»: نعرف أن الوحدات الوصفية، في هذه الفترة، تتميز باستعمال زمن للاستمرار وتكون محددة بأزمنة الماضي البسيط التي تسيّجها.

منذ ذلك الحين، وعلى خلفية العمق التي يكوّنها الخطاب «الموضوعي» - لأنه بُني على معرفته المطلقة - للسارد الذي يتحدث عن كينونة وعن فعل الفواعل التي يقوم بإقرارها، نستطيع أن نستعمل، باعتماد تقاطعها، في الوقت نفسه معايير التقطيع المكاني- الزمني والسمات النحوية من أجل أن نحصل على التقسيم الآتي:

المقطع الوصفي1		المقطع الوصفي2	
الوحدة الوصفية1	الوحدة الوصفية2	الوحدة الوصفية3	الوحدة الوصفية4
(على الطريق)	(على ساحة السوق)	(على ساحة السوق)	(في المطعم)
«على كل الطرقات. .»	«على ساحة كودرفيل. .»	«الفلاحون يجسّون. .»	«عند السيد جوردان. .»
(ص)	(ص)	(ص)	(ص)

1- بين المقطعين الوصفيين 1 و2، يدرج **مقطع حدثي** هو الذي يوقف سيل أزمنة الاستمرار الوصفية ويسيّجها بفعلين من الماضي البسيط («لمحَ» و«ضاعَ»).

2- المقطع الوصفي 2 يجد نفسه محدّداً، بدوره، بواسطة ماضٍ بسيط «فجأة قرع الطبل» الذي يُعلِن **المقطع الثاني الحدثي**، المتبوع بعدد كبير من الوحدات الحوارية. الجزء الأول كله إلى حدود إدماج إشكالية المعرفة الاختلافية، تتقدم منذ ذلك الوقت مثل:

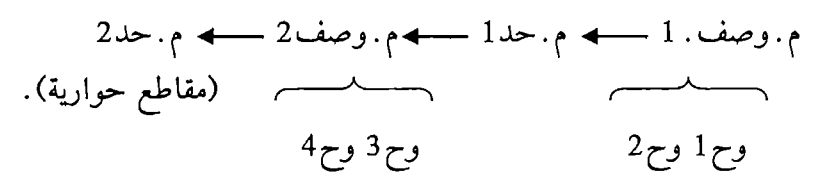

3) نلاحظ، هكذا إذاً، أن التعديل المركّبي للخطاب إلى مقاطع وصفية وحدثية يوافقه، **إجمالاً**، تقابل المحتويات التي تحيل تارة على العامل الجماعي، وتارة على العامل الفردي (السيد هوشكورن).

2. التحليل الدلالي للمقاطع الوصفية.

تقطيع النصّ مثلما أجري، وإذا كان يسمح، إلى حدّ ما، بتوقع الوظيفة العامة لـ«الوصف»، فإنه لا يخبرنا بالمحتويات المستثمَرة والموزَّعة عبر العديد من الوحدات. لذلك نكون ملزمين بالاستعانة، في هذه المرحلة الجديدة، بالتحليل الدلالي للوحدات الوصفية المتحققة.

2-1: الوحدة الوصفية 1: العامل المتطوع.

1) الوحدة الوصفية الأولى تمثِّل «الفلاحون ونساؤهم» وهم ينتقلون «على كل الطرقات، حول كودرفيل». والحال، أن الانتقال، نعرف ذلك، يؤوّل عامة، في الإطار السردي بصفته تمظهراً تصويرياً للرغبة، بعبارة أخرى، مثل الشكل السردي **لجهة الإرادة** التي تمتلكها الذات. ما دام أن الانتقال له موضوع يمكن أن نحدّده مثل **بحث**؛ التفسير الذي أعطى من لدن موباسان - «لأن اليوم، هو يوم

سوق» - يشير، بدقة، إلى معنى البحث الذي هو البحث عن التواصل الاقتصادي والاجتماعي.

2) الوحدة السردية نفسها تعدُّ مقسمة طوبوغرافياً إلى ثلاث فقرات، وهي - من دون الأخذ بعين الاعتبار لبعض «الانتقالات الأسلوبية» - توافق تقديم ثلاثة أنماط من الفواعل في أدوارهم بصفتهم ذوات:

- الرجال.
- نساء.
- ناس داخل عربات.

توزيع الوحدة السردية يظهر هنا، منذ الوهلة الأولى، متناظراً، لأنها تشرك، بالتعاقب، مقولتين تصنيفيتين متمايزتين. نستطيع أن نقول إن الرجال والنساء، موزَّعين بحسب مقولة الجنس، يمثِّلون، بالجمع، كل المجتمع. غير أنهم، بصفتهم راجلين، فإن الرجال والنساء يقابلون الذين يستقلون العربات (الناس بالعربات) وفق مقولة متمايزة، وهي التي تشرك اعتبارات الغنى، الجاه، بمعنى أنها تشرك، إجمالاً، اعتبارات التراتبية وفق نمط معيّن من السلطة. سنرى، من جهة أخرى، بعيداً بعض الشيء، القيود التي يجب الإدلاء بها فيما يخصّ دور التمييز بين الجنسين في وصف المجتمع.

ليسمح لنا الاستباق قليلاً من أجل أن نقول إن هذا الترتيب المزدوج بحسب الجنس وبحسب السلطة لا يتم الإبقاء عليه فقط طوال الوصف، ولكن يمكن أن يعتبر مثل المبدأ المولِّد للوصف؛ نلاحظ هكذا أن الوحدات الوصفية التي تتعاقب (وح3، وح4) تعدُّ تمطيطات نسبية للوحدة الأولى:

وح1: **على الطريق**: الراجلون (النساء والرجال)
الناس الذين يستقلون العربات
← **في المدينة**: وح3: في السوق (الراجلون)
وح4: في المطعم (الناس الذين يستقلون العربات)

يرمي تنظيم أول وحدة وصفية، على مستوى التمطيط الخطابي، إلى إنتاج وحدتين سرديتين جديدتين. يتميز مستوى التنظيم الخطابي آنذاك من المستوى السردي: الوظائف السردية المسنودة للوحدات السردية المولدة، هكذا، لا تمتثل لمبادئ التنظيم نفسها.

3) المجموعة البشرية في حالة انتقال مقدمة ليس كجماعة أفراد وليس كمجتمع كلّي، ولكن بالأحرى مثل جماعة من الطبقات المسكوكة، طبقات الرجال وطبقات النساء. طبقة الأفراد هذه منظَّمة إلى **مجموعات ترتيبية** تظهر بداهة حين نقابلها بالمجتمع، المقدم، في الوحدة السردية 2، مثل «حشد»، «جمهرة»، «جمع»، بمعنى أنها تقدِّم مثل **كلية غير مميزة**.

منذ ذلك الوقت، إن الانتقال من الوحدة السردية 1 إلى الوحدة السردية 2 يظهر مثل تحول المجموعات الترتيبية من الأفراد الخاضعين للتسكيك إلى مجتمع كلّي غير خاضع للتفريد. كل شيء يتم كما أن مجموعة من الإرادات الخاصة تتجه نحو فضاء مشترك من أجل أن تكون كائناً جماعياً مخصّصاً بإرادة عامة:

وح1: **على الطرقات** ← وح2: **على ساحة السوق**
أفراد + إرادات خاصة — مجتمعات + إرادة عامة

4) لم نأخذ بعين الاعتبار إلى حدّ الآن، من بين الفواعل في

حالة انتقال على الطرقات، سوى الكائنات البشرية: في الواقع، المجموعات الترتيبية المسكوكة، الموصوفة من لدن موباسان، تتقدم مثل متتاليات مركّبية متسلسِلة وهي تستوضح تراتبية ضمنية:

الرجال ← البقرات ← الدواجن ← النساء

(نلاحظ أن التمييز وفق الجنس يعدُّ، بشكل واسع، مهيمناً عليه بواسطة تراتبية للكائنات، محدّدة بحسب ضرورتها الاقتصادية).

إذا أخذنا بعين الاعتبار واقعة هي أن هذا التنظيم المركّبي للبشر والحيوانات على الطرقات يوافقه، على ساحة السوق، توزيع استبدالي: «حشد، جمهرة من البشر ومن الحيوانات، وهي مختلطة»، يمكن أن نؤوّله مثل تكوين لعنصر مركّب:

/بشرية/ + /حيوانية/

نتعرف بيسر داخل هذا الوصف، المنجز بواسطة لمسات متتالية، للرجال والبقر والنساء والدواجن والبط، قصدية تعدُّ بالكاد متسترة، مطابقة، استعارياً، البشر بالحيوانات. صور الفلاح المقارنة بـ«كرة» يخرج منها «رأس، ذراعان ورجلان» لا تعدُّ سوى الصورة النووية للبقرة التي تتبعه: يمكن أن نقول الشيء نفسه عن وصف المرأة المُتَمحْوِر حول رأسها الذي تعلوه قبعة، بتوازٍ وثيق مع الإصرار المستخدم لوصف رؤوس الدواجن والبط.

هكذا، بإقامة، على مستوى التركيب السردي، **جهة الإرادة** المكونة للعامل-الذات الجماعي الذي هو المجتمع، فإن الوصف يجلي في الوقت نفسه، نتيجة تقديم تحليلي، مكونات **الكائن الاجتماعي**، أي محتواه الدلالي المستثمر الذي سيظهر، على ساحة السوق، مثل خليط من البشرية والحيوانية.

2-2: الوحدة السردية 2: الفاعل التصويري.

لا يمكن أن يُنجَز التحليل الدلالي سوى بالبحث عن التشابهات وعن التقابلات: وهكذا، إن هذه الوحدة السردية الوصفية الثانية المحدّدة سلفاً، وفق المعيار المكاني، بحضور الحشد من الناس على ساحة السوق، قد تمَّ تخصيصها بمقارنتها بالوحدة الأولى:

- تركيبياً، بصفتها مكونة للعامل الجماعي؛
- دلالياً، مثل تحديد المجتمع بواسطة العنصر المركّب / بشرية/ + / حيوانية/.

هذه الوحدة الثانية، كما هي الوحدة الأولى زد على ذلك، تظهر مثل وصف للمجتمع كما هو معروف وكما هو **مدرك** خيالياً من لدن الذات الساردة. غير أنه إذا كانت الوحدة السردية الأولى تتصل فقط **بالإدراك البصري** للسارد، فإن الوحدة السردية الثانية تعدُّ خاضعة لتنويع الأنظمة الحواسية، يشتغل بالنسبة إليها مثل مبدأ للتنظيم الداخلي. الوصف ينجز، هكذا، مثل وصف مؤسَّس بالتتابع على إدراكات:

- بصرية،
- سمعية،
- شمّية.

ثلاثة أنظمة، وهي مبسوطة مركّبياً، تنتج، على المستوى العمودي، أثر **الكلّيانية الحواسية**، أي الإدراك الشامل للمجتمع، كما هو مدرك، تصويرياً، بواسطة جميع الحواس. أيضاً، علّة الوجود الإضافي لهذه الوحدة السردية كما تظهر لنا هي تقديم

المجتمع بصفته **فاعلاً تصويرياً**، الصورة المتعدّدة الحواس التي تغطي هذه الإسنادات التركيبية والدلالية المعروفة سابقاً.

2-3: الوحدة السردية 3: الفعل الاجتماعي.

1) الوحدة السردية التي قمنا بفحصها بإيجاز تعدُّ متبوعة، في نصّ موباسان، بوحدة حدثية تحكي الفعل الخاص للسيد هوشكورن (الذي يجد طرف خيط ويتظاهر بأنه لم يجد شيئاً). كما هو الأمر بالنسبة إلى باقي الفلاحين، وصل وحيداً إلى المدينة، وبما أنه أنجز هذا الانتقال الطوعي، «ضاع، فوراً، وسط جمهرة الناس». هذا الفاعل الذي يهيِّئ له السارد مصير **ذات فردية**، يتصل إذاً بالمجتمع وهو في طور التكون، وقلما يتميز عن الكائن الاجتماعي الذي «يضيع» داخله، اتصال سيظل الإبقاء عليه إلى نهاية المقطع الوصفي: السيد هوشكورن سيضطلع، نتيجة لهذا، بكل الاختصاصات التي يسندها الكاتب، بالتعاقب، للمجتمع الفلاحي في كلّيته.

2) المقطع الحدثي يجد نفسه وسيطاً بين وحدتين سرديتين لا يسمح التقطيع الفضائي بتمييزهما لأنهما مخصَّصتان، كلتاهما، لتقديم ساحة السوق: هذا المقطع يمتلك، إذاً، وظيفة وضع الحدود ويحدث تقابلاً بين الوحدتين الوصفيتين على الشكل الآتي:

وح2 ≈ الكائن الاجتماعي

وح3 الفعل الاجتماعي

3) مقولة الجنس، التي سبق وأن استثمرت في الوحدة السردية 1، تمَّ اعتمادها هنا، من جديد، من أجل فصل النشاط الموصوف

إلى نمطين متمايزين من الفعل: الرجال مكلَّفون داخل هذا النشاط بفعل الشراء، والنساء مكلفات بالبيع، الرجال يكرِّسون أنفسهم للمساومات والنساء يجرين التبادل. الفعل الرجولي يعدُّ، في مجمله، فعلاً لفظياً، في حين أن الفعل النسائي يعدُّ فعلاً شبه بدني من طبيعة اقتصادية:

الفعل الرجولي	≈	الشراء	≈	فعل لفظي (المساومات)
الفعل النسائي		البيع		فعل بدني (التبادل)

هذا التوزيع للنشاط بحسب طبقات الجنس لا يعدُّ ملائماً، نلاحظ ذلك جيداً على المستوى «المرجعي»: ملاءمة أخرى، داخل التنظيم الدلالي للخطاب، يجب أن يبحث عنها من أجل استيضاح هذا التنظيم.

4) حينما نتفحص الأشياء قليلاً عن قرب، يتبيّن لنا أنه في مقابل **اهتياج** الرجال، يضع السارد **هدوء** النساء، وأن هذا الاهتياج للمشترين لا يفضي إلى أية عملية للبيع، في حين أن النساء، صامتات وهادئات، يجرين مجموعة عمليات اقتصادية. كل شيء يتمُّ، لأول وهلة، كما أن الأمر يتعلق بتثمين مفارق للنساء، المتموضعات في الدرك الأسفل من سُلَّم الكائنات وينجزن، على الرغم من ذلك، وظائف اقتصادية جوهرية، في حين أن الرجال يقضون معظم وقتهم في ثرثرات كلامية خالية من الدلالة الاقتصادية. ولكن هناك أكثر. بتجاوزنا للتقابل بين الجنسين، يمكن أن نرى في النشاط البارز للسوق، الذي يعدُّ موضوعاً للإرادة الجماعية، شكلين للفعل الاجتماعي: فعل **أساسي** ذو بُعد اقتصادي، مغطى في كليته **بفعل ثانٍ** يختزل داخله التواصل الاجتماعي.

5) في الواقع، الجوهري في التواصل الاجتماعي يتقدم على شكل «مساومات لا تنتهي»، حيث إن موقف المشتري، محدداً من خلال عبارات: **الحيرة، التردد،** «الخوف من الوقوع في الشرك»، يصبح في خدمة فكرة وحيدة، وهي «اكتشاف **حيلة** الإنسان **وعيب** الحيوان. بعبارة أخرى، التواصل الاجتماعي يُفهَم بطريقة تكون فيها الإرساليات المبثوثة من لدن المرسل، بالتحديد، **كذباً مصاغاً جهياً بظاهر الحقيقة**؛ استقبال الإرسالية بواسطة المرسل إليه يفترض فيه، حينئذٍ، أن يكون فعلاً تأويلياً يهدف إلى أن **يقرأ كذباً كل ما يظهر حقيقياً**.

الدور الذي يمكن أن نسنده للوحدة الوصفية 3 داخل النظام العام للسرد يتحدد بدقة آنذاك: الطبقة الفلاحية عند موباسان، المكونة من عامل جماعي مالك لإرادة الفعل، توجد هنا في وضع من أجل أن تنجز فعلها الاجتماعي الذي يعدُّ مزدوجاً: الفعل الاقتصادي، الذي يمكن أن نعتبره تقريرياً والذي يجب أن يكون أساسياً، يعدُّ، على الرغم من ذلك، مهيمَناً عليه بشكل كبير بواسطة فعل ثانٍ، إيحائي، الذي يعدُّ قاعدة العلائق الاجتماعية، والذي يرتكز **على الخداع وعلى عدم الوقوع ضحية الخداع**، داخل عالم لا تكون فيه الحقيقة سوى قناع للكذب. نلاحظ أن هذا التقديم للفعل الاجتماعي - الذي يشارك فيه السيد هوشكورن كلياً ويقبل به - يعدُّ سردياً ضرورياً: الفرد الذي يريد أن يبيّن حقيقته عارية على شكل طرف خيط، سيصبح في مواجهة مع المجتمع الذي لا يمكن أن يرى في هذه الحقيقة سوى الكذب.

2-4: الوحدة السردية 4: الجزاء الاجتماعي.

تقدِّم الوحدة السردية الأخيرة، التي تبقى في انتظار التحليل، تعقيداً أسلوبياً كبيراً: وهي تنهي القسم الوصفي للنص، تمنح للكاتب، وفق تقاليد القرن التاسع عشر، فرصة إبراز «فنّه» بإنجاز مقطع يُظهِر فيه براعة أسلوبه. وانطلاقاً من اهتمامنا بالدرجة الأولى بالوظائف السردية للوحدة السردية، سوف لن نبحث في استيفاء كل الإمكانيات الدلالية، وسنقتصر فقط على استخلاص العناصر التي تظهر لنا ملائمة سردياً.

1) لقد سبق لنا أن سجلنا أن الوحدة السردية 4 تقابل الوحدة السردية 3، من حيث أنها تقدِّم **الناس على عربات**، مجتمعين داخل المطعم الجيد، وهي تميزهم من **الناس الراجلين** الذين رأيناهم في ساحة السوق. هذا، من جديد، لا يعدُّ حقيقة سوى من وجهة نظر التنظيم.الدلالي الداخلي للنصّ: بحسب الحقيقة الخارجية، «المرجعية»، السيد هوشكورن، الذي جاء مشياً على قدميه، لم يكن واجباً عليه أن يوجد في المطعم.

من جانب آخر، «منطق» تعاقب الوحدات السردية يحدّد بدقة خصائص طبقة الناس بالعربات: داخل المطعم، يوجد وحدهم فقط الذين يمكن أن يُعتَبروا مثل مستفيدين من الفعل الاجتماعي الموصوف سابقاً، أي الذين حصلوا على أرباح اقتصادية نتيجة **المعرفة** في مجال الفعل الاجتماعي (**معرفة-الفعل الاجتماعي**)، والذي يتصل، سبق وأن رأينا ذلك، بإحباط كل الحيل، وبتأويل، بشكلٍ سليم، الكذب الكوني الذي يتخفّى تحت مظاهر الحقيقة. يتعلق الأمر هنا بالناس الذين خرجوا **منتصرين** من الاختبارات الاجتماعية.

2) الأشكال السردية المعيارية تتوقع أنه نتيجة للفعل الناجح، الذات المنتصرة تبحث عن الحصول على اعتراف بهذه الصفة، إنه يبحث، بحسب اللغة السردية المستعملة عادة، عن «التمجيد»، الذي لا يمكن أن يمنح لها إلا من لدن مرسل هو الذي يوجه له الثمار التي يجنيها من بحثه. هكذا، على الأقل، تتحدد، **قبلياً**، وفق النموذج التوقعي الوظيفة السردية للوحدة السردية التي ندرس. هل توافق المعطيات الوصفية التوقعات؟

3) نظرة سطحية نلقيها على الوحدة تسمح بالتمييز، أولاً، بين فقرتين أوليتين، منظمتين، بشكلٍ تناظري، تضعان في تقابل تكاملي وصف العربات ووصف المتعشين. تكامل الوصفين يعدُّ، فضلاً عن ذلك، **موسوماً** من لدن موباسان، بطريقة جلية:

كانت القاعة الكبيرة غاصة بالآكلين

كما

كانت الساحة الواسعة غاصة بالعربات...

المقارنة التي تجيز تراكب - وتساوي - الوصفين (الإجراء الذي سبق وأن لاحظناه بالتحقق من تطابق الصور البشرية والحيوانية على الطرقات)، وبما أن الخيل ظلت، بشكل غريب، غائبة عن هذين الوصفين، فإن العربات الفارغة تكون في علاقة استعارية مع الآكلين الجالسين إلى مائدة الطعام. بواسطة هذه الصيرورة الاستعارية غير المباشرة، طرح مشكل المرسل وتمَّ خله بواسطة موباسان الذي يصف هذه العربات «المؤنسنة» وكما أنها «ترفع إلى السماء، مثل ساعدين، عرائشها الخشبية، أو يكون أنفها إلى الأرض ومؤخرتها في الهواء».

موقفان للعامل الجماعي في علاقته بمرسل متخيل يبرزان: علاقة المرسل إليه-الذات الجماعية والمرسل أصبحت متمفصلة وفق المقولة **أسفل/ أعلى**، «**السماء**»، «**الأرض**»:

أ) إما أن المرسل إليه يمد يديه فارغتين نحو السماء، حيث لا توجد لديه إرسالية يوجهها للمرسل؛

ب) وإما أن المرسل إليه-الذات، مديراً ظهره للمرسل، «أو يكون أنفها إلى الأرض» يتجاهل كلية هذا الأخير.

في هذه الحالة أو في تلك، سواء كنا نجهل وجهة الفعل أو لا ننجح في تحويله إلى قيمة قابلة لأنه توجه إلى المرسل، فإن الفعل الاجتماعي الموصوف سابقاً يقدَّم، نلاحظ ذلك، كما أنه **خالٍ من المعنى**.

4) نعاين في غياب المرسل، إذاً، مشهداً للإرسال-الذاتي: القيم الاقتصادية المكتسبة نتيجة الفعل الاجتماعي، تعدُّ موجهة **للاستهلاك**، والاجتماع داخل المطعم يقدَّم، إذاً، على شكل وجبة قربانية زهيدة هدفها الوحيد هو الهدم-الذاتي للقيم المكتسبة بعناء. مجتمع المستهلكين، نلاحظ ذلك، ليس وليد اليوم.

5) عبثية الإرادة والفعل لهذا المجتمع تجد نفسها متمظهرة، إذاً، من خلال نمط **السخرية المفارقة** التي تمثل مبدءاً لبناء الوحدة الوصفية برمّتها. وهو الأمر نفسه أيضاً بالنسبة إلى تمثيل **النار**، مصدر الحياة، التي تنشر **الضوء والحرارة**، لكنها لا تجد سوى من أداروا **ظهورهم** لها، في حين أن «الرائحة الشهية» للأكل تحلُّ محلَّ النار في وظيفتها المنعشة. وهو الأمر نفسه بالنسبة إلى الجملة القصيرة الشهيرة لموباسان، وهي قمّة الفنّ في القرن التاسع عشر،

وفيها كل «الأرستقراطية الفلاحية» تجد نفسها مكثفة تصويرياً في شخص مالك المطعم، كاهن كبير يحتفل بقداس على مقربة من النار المرفوضة، محدّد مثل «داهية كانت له ثروة»، بمعنى أنه جعل ذلك، في الوقت نفسه، بفعله وبكينونته.

3. التقطيع النصي وتنظيم النصّ.

هذا التحليل الموجز - لأنه كان لا يرمي سوى لتوضيح مظهر واحد للنصّ وهو المأخوذ بعين الاعتبار - يثير عدداً معيّناً من المسائل التي يمكن أن تثير اهتمام السيميائي السردي.

1) التمايزات الكلاسيكية، التي نتعرف، وفقها، إلى الوحدات النصية، مثل «الوصف»، «المحكيات»، «الحوارات»... إلخ. وعلى الرغم من أنها تظلُّ ملائمة على مستوى التمظهر الخطابي للسطح، فإنها ليست كذلك حين يحاول التحليل استيضاح التنظيم العميق للنصّ حينما ينظر إليه بصفته كلاً من الدلالة. وهكذا، في الوقت الذي نعتبر فيه أن السردية، بالمعنى العام لهذا المصطلح، تعدُّ أحد مبادئ تمفصل النصوص على المستوى العميق، فإن الشكل الخطابي المسند إلى الوحدات النصية سيضاعف بوظيفة سردية ثانية.

2) التحليل الذي قمنا بإجرائه يُبرِز، بخاصة، أن القسم الوصفي الخالص للنصّ عند موباسان الذي نقابله، عموماً، بالقسم الذي يحتوي على السرد بمعناه الخالص، يعدُّ، حقيقة، منظماً وفق القواعد المعمارية للسردية ويمثل، في سيرورته المركّبة، بُنية سردية يمكن التعرف إليها بسهولة. الوصف على الرغم من أنه حاول أن يكون مقسماً إلى «لوحات» والاستجابة لنوع من «المنطق» المكاني-

الزمني للتمثيل (تقوم وفقها عين السارد باكتشاف هذا الفضاء أو ذلك بشكل تعاقبي)، علّة وجود هذا التصوير تظهر في الحال: من أجل تنظيم فرجوية المأساة التي يتهيّأ لحكيها، يكون السارد في حاجة إلى مواجهة ذات فردية مالكة لحقيقتها الخاصة، لذات أخرى، تكون هذه جماعية، «واقعية» بما فيه الكفاية، من أجل أن يحمل في ذاته ليس فقط المعرفة حول الكائنات وحول الأحداث، ولكن أيضاً حول أنماط تأويل الحقيقة.

نلاحظ آنذاك أن المقطع الخطابي المُسمّى «وصف» يعدُّ، فعلاً، محكياً ميكروسكوبياً يشمل الحكاية الكاملة للمجتمع: تأسيس الذات الجماعية، المتطوعة والمصورة، البرهنة على فعله الاجتماعي، الجزاء الاجتماعي، في النهاية، لهذا الفعل المنتصر (ما يتصل، في النهاية، بالهدم الذاتي للقيم المكتسبة). هذا المحكي المصغّر هو الذي يندمج، لاحقاً، بصفته برنامجاً سردياً سُلَّمياً داخل المحكي المكبّر الذي يكون البؤرة في قصة **الخيط**: التجابه المأساوي لمعرفتين، كلتاهما حقيقيتان، ومع ذلك فإنهما تدخلان في علاقة تناقض.

3) مدى هذا التحليل لا يبقى مع ذلك محدوداً. إذا كان المبدأ الذي وفقه التقطيع النصي للسطح لا يستوضح، بشكل كافٍ، التنظيم العميق للنصّ الذي، يتصل بنحو سردي ضمني، يظهر لنا منجزاً بشكل صلب، فإن المثال المحلل لا يمكن، لهذا السبب، أن يكون قابلاً للتعميم: هناك نصوص أخرى تتضمن مقاطع وصفية تكون حاملة لوظائف سردية مختلفة.

4) مشكل بناء العوامل الجماعية يعدُّ، على العكس من ذلك،

جوهرياً بالنسبة إلى السيميوطيقا العامة، التي ينصبُّ اهتمامها ليس فقط على الإنتاجات الأدبية، ولكن أيضاً على النصوص التاريخية والسوسيولوجية: الطبقات الاجتماعية، المؤسَّسات القانونية، المنظمات السياسية، التجمعات الاقتصادية تعدُّ كائنات اجتماعية، بمعنى أنها عوامل جماعية تكون صيغ وجودها واشتغالها قابلة لأن تخضع لإجرائيات التحليل نفسها.

1- ثبت الرموز الواردة في الترجمة

عا	عامل.
مو	موضوع.
ف	فعل.
فا	فاعل.
ب س	برنامج سردي.
ق ج	قيمة جهية.
مو-قا	موضوع-قيمة.
ق/ ف	قدرة على الفعل.
قَ/ ف	لا-قدرة على الفعل.
∪	انفصال.
∩	اتصال.
م	مقطع.
و ح س	وحدة سردية.
و ح و	وحدة وصفية.
م و	مقطع وصفي.
م حد	مقطع حدثي.

2- ثبت المصطلحات

A

1	Actants de la communication	عوامل التواصل
2	Actant collectif	عامل جماعي
3	Actants de la narration	عوامل السرد
4	Actant-objet	عامل موضوع
5	Acte	فعل
6	Acteurs	فواعل
7	Acteur figuratif	فاعل تصويري
8	Anthropomorphe	مؤنسن
9	Anti-sujet	البطل المضاد

B

1	Binaire	اثناني
2	Binarité	اثنانية

C

1	Carré sémiotique	مربع سيميائي
2	Catégorie	مقولة
3	Cognitif	إدراكي
4	Communication contraignante	تواصل قسري
5	Compétence	استطاعة
6	Compétence modale	استطاعة جهية
7	Conjonction	اتصال
8	Conte populaire	حكاية عجيبة
9	Contradiction	تناقض
10	Contrariété	تضاد
11	Conversion	تحويل

D

1	Découpage	تقطيع
2	Désir	رغبة
3	Destinataire	مرسل إليه
4	Destinateur	مرسل
5	Dexis	إشارية
6	Discours	خطاب
7	Discours narratif	خطاب سردي

8	Disjonction	انفصال
9	Distributionnalisme	توزيعية

E

1	Enoncé	ملفوظ
2	Enoncé descriptif	ملفوظ ناقل
3	Enoncé modal	ملفوظ جهي
4	Enoncé narratif	ملفوظ سردي
5	Epreuve	اختبار
6	Epreuve décisive	اختبار رئيسي
7	Epreuve glorifiante	اختبار تمجيدي
8	Epreuve qualifiante	اختبار تأهيلي
9	Expansion	تمطيط

F

1	Faire	الفعل
2	Faire cognitif	فعل إدراكي
3	Faire factitif	فعل تفعيلي
4	Faire interprétatif	فعل تأويلي
5	Faire persuasif	فعل إقناعي
6	Figure	صورة

7	Figure discursive	صورة خطابية
8	Figure nucléaire	صورة نووية
9	Fonction narrative	وظيفة سردية

G

1	Glorification	تمجيد
2	Grammaire anthropomorphe	نحو مؤنسن
3	Grammaire narrative	نحو سردي

I

1	Isotopie	تشاكل
2	Itératif	تواردي

M

1	Manipulation	تسخير
2	Manque	نقص
3	Modalité du vouloir	جهة الإرادة
4	Morphologie	مورفولوجيا
5	Morphologie élémentaire	مورفولوجيا أوليّة

N

1	Narrativité	السردية
2	Négation	نفي
3	Nœud	عقدة
4	Noyau taxinomique	نواة تصنيفية

O

1	Orientation	توجيه

P

1	Paraître	الظاهر
2	Parcours	مسار
3	Parcours narratif	مسار سردي
4	Parcours génératif	مسار توليدي
5	Performance	إنجاز
6	Polémique	جدلية
7	Programme narratif	برنامج سردي
8	Position	موقع

R

1	Relation différentielle	علاقة اختلافية
2	Réseau de relations	شبكة علائقية

S

1	Sanction	جزاء
2	Savoir	المعرفة
3	Schéma narratif	خطاطة سردية
4	Sème	مقوم
5	Sème contextuel	مقوم سياقي
6	Sémiotique de l'action	سيميوطيقا العمل
7	Sémiotique de la manipulation	سيميوطيقا التسخير
8	Sémiotique de la sanction	سيميوطيقا الجزاء
9	Séquence descriptive	مقطع وصفي
10	Séquence événementielle	مقطع حدثي
11	Signe	دليل
12	Spatialisation	تفضية
13	Structure	بنية
14	Structure contractuelle	بنية تعاقدية
15	Structure discursive	بنية خطابية
16	Structure élémentaire de la signification	بنية أولية للدلالة
17	Structure narrative	بنية سردية
18	Structure polémique	بنية جدلية
19	Suite syntagmatique	متتالية مركّبة

20	Sujet manipulateur	ذات مسخّرة
21	Sujet opérateur	فاعل إجرائي
22	Syntaxe	تركيب
23	Syntaxe narrative	التركيب السردي
24	Syntaxe profonde	تركيب عميق
25	Syntaxe topologique	تركيب طبولوجي

T

1	Temporalisation	تزمين
2	Transfert de valeurs modales	نقل القيم الجهية

U

1	Unité narrative	وحدة سردية
2	Unité textuelle	وحدة نصية

V

1	Valeur	قيمة
2	Valeur objective	قيمة موضوعية
3	Valeur subjective	قيمة ذاتية
4	Vouloir	إرادة

3- بيبليوغرافيا

1. المتن: النصوص المترجمة.

Greimas (A. J.), « Éléments d'une grammaire narrative », in *Du sens*, Seuil, Paris, pp. 157-183.

« La quête de la peur. Réflexions sur un groupe de contes populaires », in *Du sens*, Seuil, Paris, 1970, pp. 231-247.

« Entretien avec A. J. Greimas sur les structures élémentaires de la signification (Frédéric Nef) », in *Structures élémentaires de la signification*, Éditions Complexe, Bruxelles, 1976, pp. 6-18.

« Schéma narratif » (en collaboration avec J. Courtés), in *Sémiotique. Dictionnaire raisonné de la théorie du langage,* Hachette, Paris, 1979, pp. 244-247.

« Les actants, les acteurs et les figures », in *Du sens II*, Seuil, Paris, 1983, pp. 49-66.

« Le Défi », in *Du sens II*, Seuil, Paris, 1983, pp. 213-223.

« Description et narrativité à propos de La Ficelle de Guy de Maupassant », in *Du sens II*, Seuil, Paris, 1983, pp. 135-155.

« Postulats, méthodes et enjeux. Algirdas Julien Greimas mis à la question», in *Sémiotique en jeu. A partir et autour de l'œuvre d'A. J. Greimas,* Actes de la décade de Cerisy, Cerisy-la-Salle, 4-14 Aout 1983, M. Arrivé et J. C. Coquet (dir), Éditions Hadès-Benjamins, Paris-Amsterdam, 1987, pp. 291-298.

2. بيبليوغرافيا الترجمة.

أ. باللغة العربية

بنكراد، سعيد، **السميائيات، مفاهيمها وتطبيقاتها**، منشورات الزمن، 2003.

مفتاح، محمد، **دينامية النص**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء – بيروت، 1987.

نوسي، عبد المجيد، **التحليل السيميائي للخطاب الروائي**، المدارس، 2002.

ب. باللغة الأجنبية.

Austin (John, L.), *Quand dire, c'est faire*, Seuil, Paris, 1970.

Bachelard (Gaston), *L'eau et les rêves. Essai sur l'imagination de la matière*, Corti, Paris, 1943.

Barthes (Roland), *Mythologies*, Seuil, coll. « Points », Paris, 1975.

Système de la mode, Seuil, Paris, 1967.

Brondal (Viggo), *Essais de linguistique générale*, E. Munksgaard, Copenhague, 1943.

Brémond (Claude), *Logique du récit*, Seuil, Paris, 1973.

Chomsky (Noam), *Aspects de la théorie syntaxique*, traduction de Jean-Claude Milner, Seuil, Paris, 1971.

Combet (Georges), « Complexification et carré performatoire », in *Structures élémentaires de la signification*, Éditions Complexe, Bruxelles, 1976.

Greimas (A. J.), *Sémantique structurale*, Larousse, Paris, 1966.

«L'actualité du saussurisme» (1956), in *La mode en 1830*, PUF, Paris, 2000.

Hjelmslev (Louis), *Prolégomènes à une théorie du langage*, Éditions de Minuit, Paris, 1968.

Jakobson (Roman), *Essais de linguistique générale*, Éditions de

Minuit, Paris, 1963.

Lévi-Strauss (Claude), *Le cru et le cuit*, Plon, Paris, 1964.

Du miel aux cendres, Plon, Paris, 1966.

L'origine des manières de table, Plon, Paris, 1968.

L'homme nu, Plon, Paris, 1971.

« La structure et la forme. Réflexions sur un ouvrage de Vladimir Propp, in *Anthropologie structurale deux*, Plon, Paris, 1973.

Matoré (Georges), *La méthode en lexicologie*, Didier, Paris, 1953.

Maupassant (Guy de), *Contes et nouvelles*, Gallimard, Paris, 1974.

Peirce (Charles S.), *Écrits sur le signe*, (rassemblés, traduits et commentés par Gérard Deledalle), Seuil, Paris, 1978.

Perrault (Charles), *Le Petit Poucet*, Claude Barbin, 1697.

Petitot (Jean), *Morphogenèse du sens*, PUF, Paris, 1985.

Propp (Vladimir), *Morphologie du conte*, Seuil, coll. « Points», Paris, 1970.

Saussure (Ferdinand de), *Cours de linguistique générale*, Payot, Paris, 1962.

Tesnière (Lucien), *Éléments de syntaxe structurale*, Klincksieck, Paris, 1959.

3. بيبليوغرافيا غريماس الأساسية.

Greimas (A. J.), « L'actualité du saussurisme (à l'occasion du 40e anniversaire de la publication du Cours de linguistique générale) », in *Le français moderne*, 4, 1956, pp. 103-108.

أعيد نشره في كتاب:

Greimas (A. J.), *La mode en 1830*, PUF, Paris, 2000.

Sémantique structurale, Larousse, Paris, 1966.

Du sens. Essais sémiotiques, Seuil, Paris, 1970.

Maupassant, la sémiotique du texte. Exercices pratiques, Seuil, Paris, 1976.

« Les acquis et les projets », préface à J. Courtés, in *Sémiotique narrative et discursive*, Hachette, Paris, 1976, pp. 5-25.

Avec J. Courtés, *Sémiotique. Dictionnaire raisonné de la théorie du langage*, Hachette, Paris, 1979.

Avec E. Landowski, « Les parcours du savoir », in *Introduction à l'analyse du discours en sciences sociales*, Hachette, Paris, 1979, pp. 5-28.

Du sens II. Essais sémiotiques, Seuil, Paris, 1983.

Avec J. Courtés, *Sémiotique. Dictionnaire raisonné de la théorie du langage*, tome 2 (Compléments, débats, propositions), Hachette, Paris, 1986.

« Postulats, méthodes et enjeux. Algirdas Julien Greimas mis à la question », in *Sémiotique en jeu. A partir et autour de l'œuvre d' A. J. Greimas*, Actes de la décade de Cerisy, Cerisy-la-Salle, 4-14 Aout 1983, M. Arrivé et J. C. Coquet (dir), Éditions Hadès-Benjamins, Paris-Amsterdam, 1987, pp. 299-330.

Avec J. Fontanille, *Sémiotique des passions. Des états de choses aux états d'âme*, Seuil, Paris, 1991.

فهرس

تقديم 5

الباب الأول
الأصول المعرفية لسيميائيات السرد

الفصل الأول: البنيات الأولية للدلالة
(لقاء مع ألجيرداس جوليان غريماس) 37

الفصل الثاني: المسلَّمات، المناهج والرهانات:
أ. ج. غريماس موضع سؤال 55

الباب الثاني
الأسس النظرية لسيميائيات السرد

الفصل الأول: مبادئ النحو السردي 101

1. السردية والنظرية السيميوطيقية 101

1-1: رؤية تاريخية 101

1-2: السردية وتمظهرها 102

1-3: السردية والسيميوطيقا 103
1-4: مستويات السيميوطيقا العامة 104
1-5: من أجل علم دلالة عميق 105
1-6: من أجل نحو عميق 108
2. مبادئ النحو العميق 108
2-1: النواة التصنيفية 108
2-2: تسريد النواة التصنيفية 110
2-3: توجيه العمليات التركيبية 111
2-4: خصائص النحو العميق 112
3. مبادئ النحو السردي السطحي 113
3-1: مشكل مستويات النحو 113
3-2: الملفوظات السردية 114
3-2-1: الفعل المؤنسن 114
3-2-2: الملفوظ السردي البسيط 115
3-2-3: الملفوظات الجهية والملفوظات الوصفية .. 116
3-2-4: الملفوظات الإسنادية 118
3-2-5: الملفوظات الجهية في علاقتها بالملفوظات الإسنادية 120
3-3: الوحدات السردية 121
3-3-1: الإنجاز وطبيعته الجدلية 121
3-3-2: العناصر المكونة للإنجاز 123

3-3-3: العلاقات المكونة للإنجاز 124
3-3-4: توجيه الإنجازات 125
3-4: المتتاليات الإنجازية 126
3-4-1: تركيب للتواصل 126
3-4-2: التركيب الطبولوجي للقيم الموضوعية 127
3-4-3: تشييد الفاعلين الإجرائيين التركيبيين 130
3-4-4: التركيب الطبولوجي للقيم الجهية 133
3-4-5: الشكل العام للنحو السردي 134

الفصل الثاني: الخطاطة السردية 137

الفصل الثالث: العوامل، الفواعل والصور 145
1. بنيات سردية 145
1-1: عوامل وفواعل 145
1-2: بنية عاملية 146
1-2-1: انفصالات تركيبية 147
1-2-2: انفصالات استبدالية 148
1-3: الأدوار العاملية 149
1-3-1: الاستطاعة الإنجاز 150
1-3-2: التحاقق 152
1-4: بنية الفواعل 154
2. بنيات خطابية 157

2-1: كيف نتعرف إلى الفواعل 157
2-2: صور وتصويريات 158
2-3: الأدوار التيماتية 163
3. خلاصات 170

الباب الثالث
دراسات سيميائية تطبيقية

الفصل الأول: البحث عن الخوف: تأملات في مجموعة من الحكايات الشعبية 175
ملاحظات أولية 175
1. البنية السردية 176
1-1: البطل والنظام الاجتماعي 177
1-2: غياب العقد وبحث المرسل 179
1-3: الاختبار: انتصار أو فشل 180
1-4: الفضاء البطولي: العجيب أو الأسطوري؟ 182
2. الكون الأسطوري 185
2-1: الفضاء الأسطوري 185
2-2: من أجل الاستعمال الجيد للبُنيات السردية 187
2-3: سيدان في الفن 188
2-4: البطل الثقافي 190
2-5: سيد الحياة والموت 193

2-6: بطل أم إله؟ 194
3. الختام 195
3-1: المكافأة تسبق العقد 195
3-2: من يخيف البطل؟ 197

الفصل الثاني: التحدي 201
1. إطار مفاهيمي 201
2. الفعل الإقناعي 203
3. الفعل التأويلي 206
3-1: تواصل قسري 206
3-2: مواضيع الاختيار 208
3-3: مرجعية القيم الدامجة 210
3-4: التثمين 212
3-5: التماهي 213
4. نحو الخطاب 215

الفصل الثالث: الوصف والسردية حول قصة: الخيط، لغي دو موباسان 219
1. وضعية الوصف داخل الخطاب الروائي 229
1-1: التقطيع وفق المعايير المكانية-الزمانية 230
1-2: التقطيع بحسب المعرفة 233
1-3: التقطيع بحسب المعايير النحوية 234

2. التحليل الدلالي للمقاطع الوصفية 236
2-1: الوحدة الوصفية 1: العامل المتطوع 236
2-2: الوحدة السردية 2: الفاعل التصويري 240
2-3: الوحدة السردية 3: الفعل الاجتماعي 241
2-4: الوحدة السردية 4: الجزاء الاجتماعي 244
3. التقطيع النصي وتنظيم النصّ 247

1- ثبت الرموز الواردة في الترجمة 251

2- ثبت المصطلحات 253

3- بيبليوغرافيا 261
1. المتن: النصوص المترجمة 261
2. بيبليوغرافيا الترجمة 262
3. بيبليوغرافيا غريماس الأساسية 263

أ. ج. غريماس

سيميائيات السرد

انتشرَ نموذج أ. ج. غريماس في حقل الدراسات السيميائية والنقدية بفضل كثير من الدراسات التي عملت على بَسط المفاهيم وتقديمها. ورغم هذا الانتشار، فإن النظرية لم يُقيَّد لها أن تُقدَّم إلى القارئ العربي من خلال ترجمة الأعمال التمثيلية الرئيسة التي تُقدِّم الأصول والأُسُس النظرية والتحليلات التطبيقية.

نهدفُ في هذه الترجمة إلى تقديم **سيميائيات السرد** من خلال ترجمة النصوص التي تَتَّسم بالتمثيلية، حيث تقدِّم تصوُّراً شمولياً للنظرية، يقف عند المفاصل المعرفية الآتية:

ـ **الأصول المعرفية** التي غذّت هذه النظرية، لا سيما أنها تتميز بالتعدُّد والغنى؛ ذلك أنها تنهل من اللسانيات والمنطق والأنثروبولوجيا والدراسات الفلكلورية والعلوم البحتة وغيرها من الحقول.

ـ **الأُسُس النظرية** التي يمثِّلها الجهاز المفاهيمي الذي صاغته السيميائيات من خلال نماذجها.

ـ كما قدمنا إلى جانب هذه النصوص النظرية **دراسات تحليلية** تبرِز مدى إجرائية هذه المفاهيم في علاقتها بالخطابات التي تناولتها.

وقد راعينا في اختيار هذه النصوص معايير التمثيلية **وديناميةالنظرية**، حيث انصبَّ الاهتمام على ترجمة الأعمال المرجعية بالنسبة إلى المفاهيم المركزية التي سيُبنى عليها جسد النظرية، وخاصة النحو السردي الذي يُنظِّم كل المستويات التي يتمفصل حولها النموذج.

إن اختيار النصوص المترجمة لا يرمي إلى رسم تطوُّر النظرية بصيغة أفقية وحسب، ولكن ارتكز الاختيار على تقديمها في بُعدها الدينامي، أي في تطورها من الاقتراحات الرئيسة الأولى التي صاغها أ. ج. غريماس في كتاب **علم الدلالة البنيوي** (1966)، إلى الاقتراحات التي غطّت مستويات المسار التوليدي في جانب التركيب السردي والخطابي (**السيميوطيقا: المعجم المُعقلن**، 1979).

كما تُعد هذه الرؤية أيضاً المُوجِّه الرئيس لاختيار الدراسات التحليلية، فقد تَعدّدت ما بين الدراسات التي تناولت الحكاية الشعبية إلى النصّ السردي المُتمثِّل في القصة القصيرة إلى مظهر خطابي من مظاهر الخطابات الاستهوائية.

لوحة الغلاف للفنان جياكومو بالا

ISBN 978-9953-68-863-3

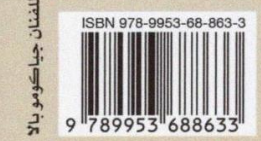

المركز الثقافي العربي

الدار البيضاء: ص. ب. 4006 (سيدنا)
بيروت: ص. ب. 113/5158
markaz.casablanca@gmail.com
cca_casa_bey@yahoo.com